جامعة المنوفية
كلية الآداب
مركز الخدمة للاستشارات البحثية
شعبة الدراسات التاريخية والأثرية

قراءة جديدة فى الفتح الإسلامى لمصر وموقف الأقباط واليهود منه

(١٩-٢١هـ/ ٦٤٠-٦٤٢م)

(دراسة تحليلية ونقلية مقارنة)

إعـــداد

د/ صلاح الدين محمد نوار
أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية المساعد
كلية دار العلوم – جامعة القاهرة – فرع الفيوم

تصـــــدير

« بسم الله الرحمن الرحيم »

﴿ نحمدك اللهم ونسعينك ونستهديك ، ونصلى ونسلم على خاتم أنبيائك ورسلك سيدنا محمد وبعد ﴾

فإن مجال الدراسات العربية والإسلامية يتسع ليشمل كل أثر علمى يخاطب الإنسان فى وجدانه وعقله ونشاطة المتعدد .

ويقدم المركز خدمته للباحثين فى هذه المجالات باللغة العربية واللغات الأخرى متبعاً فى ذلك مبدأ المنهج العلمى الذى ينهض به الأساتذة المتخصصون حيث يُحكِّمون فى الأعمال المقدمة للنشر بمجلة المركز ، ولا يجاز إلا العمل الملتزم بالتوثيق العلمى ، وأصالة المصدر ، وسلامة المقدمات ، وعدم التكلف فى الوصول إلى النتائج ، مع إعطاء الباحث حقه فى التعبير عن موقفه العلمى تجاه الموضوع المدروس ، ومسئولية الباحث عن هذا .

ومن ذلك نرى فى إصدرات مجلة المركز التنوع المفيد فى الموضوعات مع سلامة المعالجة مما يعين الباحثين وغيرهم على الإنتفاع بهذه الثمرات المحكَّمة .

كما نرى هذا التلاقى بين الباحثين من داخل مصر وخارجها .

« ونسأل الله التوفيق والنفع بها »

إصدارات سابقة

العدد	إسم البحث	الشهر	العام
١	أضواء على أسباب الهجرة الجزائرية سنه ١٩٩١١م **د / وجيه على أبو حمزه**	ديسمبر	٢٠٠١
٢	الحدائق فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر **د / أحمد محمد حسن الدماصى**	يناير	٢٠٠٣
٣	التكايا فى مصر فى عصر عباس الأول **د / رسمية محمد على حجازى**	فبراير	٢٠٠٢

قراءة جديدة فى الفتح الإسلامى لمصر وموقف الأقباط واليهود منه

(١٩-٢١هـ/ ٦٤٠-٦٤٢م)

(دراسة تحليلية ونقدية مقارنة)

إعـــــداد

د / صلاح الدين محمد نوار

أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية المساعد

كلية دار العلوم – جامعة القاهرة – فرع الفيوم

العدد الرابع مارس ٢٠٠٢

قراءة جديدة في الفتح الإسلامي لمصر وموقف الأقباط واليهود منه

(١٩-٢١هـ/٦٤٠-٦٤٢م)

(دراسة تحليلية ونقدية مقارنة)

دكتور/ صلاح الدين محمد نوار

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المساعد

كلية دار العلوم – جامعة القاهرة – فرع الفيوم

أولا: أسباب الفتح الإسلامي لمصر[١]:

١ــ عوامل وأسباب خاصة بمصر: أحوال مصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية قبل الفتح

بانتصار الجيوش الإسلامية على الجيوش البيزنطية في موقعتي أجنادين عام ١٣هـ/ ٦٣٤م[١] ، واليرموك عام ١٥هـ/ ٦٣٦م [٢] تمكن المسلمون من اجتياح بلاد الشام شماله وجنوبه في زمن يسير [٣] ، وكانت آخر مدنه المفتوحة بيت المقدس عام ١٨هـ /٦٣٨م، وكانت قد تعرضت إلى حصار طويل امتد نحو عامين وانتهى باتفاق بين بطريرق المدينة والخليفة عمر بن الخطاب نفسه على تسليم المدينة للمسلمين مقابل ضمانات دينية واجتماعية منحت لسكان المدينة المقدسة [٤]، وبذلك حال العرب بين بيزنطة وبقية أملاكها في مصر وشمال افريقية [٥].

وكان من الطبيعي أن تتوجه أنظار الفاتحين الجدد إلى مصر من أجل تأمين فتوحاتهم في بلاد الشام، فكان فتح مصر ضرورة ملحة أيضا لتأمين المدينة المنورة حاضرة الخلافة الراشدة لقربها من بحر القلزم (البحر الأحمر)، وخوف الفاتحين الجدد من أن يرسل الروم حملة ضخمة من تلك الناحية تنتقم لهزائمهم وبما حل من ممتلكاتهم في بلاد الشام[٦]، على النحو الذى سنذكره في مكانه من هذه الدراسة[٧].

([١]) أود أن أقدم شكرى إلى الأخ الزميل الفاضل الأستاذ /صلاح المصري على ما أسداه لى من عون فى هذه الدراسة وبعض المراجع التى أعارنى إياها.

وكانت مصر في العقدين الأولين من القرن الأول الهجري / النصف الأول من القرن السابع الميلادى مهيأة تماما ومستعدة لقبول الحدث الجديد ونفض سلطان بيزنطة والدخول في حوزة المسلمين، وساعدت عوامل كثيرة على ذلك ، فمن الناحية الاقتصادية كانت مصر ولاية رومانية منذ انتصار أوكتافيوس Octavius(أوكتافيان الذى لقب بأغسطس قيصر)على كليوباترا السابعة في موقعة أكتيوم البحرية سنة ٣١ق.م واستيلائه على مصر سنة٣٠ ق.م، ووضعه نهاية عملية لأسرة البطالمة هناك [٨]. وخلال خضوع مصر للرومان حتى عام ٢٨٤م لم يدع الرومان وسيلة إلا وأبتكروها لاستغلال موارد مصر إلى أقصى حد ممكن خاصة وأن مصر كانت بمثابة مزرعة قمح الإمبراطورية الرومانية، ولهذا قاموا بتنظيم استغلال واستنزاف موارد مصر الاقتصادية حتى يعم النفع فقط على سكان الإمبراطورية دون السكان الوطنيين[٩].

ولم يكن الأمر أقل سوءا عندما دخلت مصر في فلك الإمبراطورية البيزنطية ما يقرب من ثلاثة قرون ونصف (٢٨٤-٦٤٠م)، ومن الواضح أن مصر كانت بالنسبة لبيزنطة سلة الخبز التى تمدها بالمؤن اللازمة، ولذلك حرص البيزنطيون على أن يكون النظام الإداري والاقتصادي في مصر في خدمة هذا الغرض[١٠]، فكانت العلاقة بين مصر والقسطنطينية مادية بحتة ولم يكن يعني الروم إلا ما ترسله مصر من غلال وأموال[١١].

وسار الروم في مصر على نفس خطى الرومان من قبل فلم يدعوا وسيلة إلا وابتكروها لاستغلال موارد البلاد إلى أبعد حد ممكن [١٢]، وأثقلت ضرائب الروم كاهل الرعايا المصريين، وحولت حياتهم إلى لون من البؤس والشقاء [١٣] ، في حين جرى إتباع نظام الموظفين غير المأجورين الذين أذاقوا الأهالي الهوان للحصول على الأموال والهبات، وزاد العبء على الفلاحين وصغار الملاك [١٤]. وكان نظام جباية الضرائب الذى شمل ضريبة الأرض وضريبة الرؤوس وضرائب أخرى

مختلفة تركت للسلطة المالية التى اشتطت في إرهاق المزارعين مع إعفاء كبار الملاك من تلك الضرائب، مما أثار شكوى الفلاحين وتذمرهم بعد أن زاد العبء عليهم وعلى صغار الملاك ودفعتهم المظالم الكثيرة في جباية الأموال إما إلى الفرار من أراضيهم فاستولى عليها الإقطاعيون وكبار الملاك، وإما أن يضعوا أنفسهم تحت حماية أمير من الأمراء وهو ما يعرف بنظام الحماية، وهم في ذلك كان كالمستجير من الرمضاء بالنار أو أشبه بمن يلقى نفسه فى النهر هربا من الأسد فيلتقطه التمساح، إذ أنه بمضى الوقت أصبحت الأرض ملكا للأمير الذى وضع الفلاح نفسه تحت حمايته، وتحول المزارع من مالك إلى مجرد قن fief أو أجير لهذا الأمير، وتكونت بذلك الإقطاعات الكبيرة الموزعة بين عدد من الأسر الغنية، وأصبحت البلاد في القرن السابع الميلادى تحت نظام أشبه بالنظام الإقطاعى والذى اختفت فه طبقة صغار الزراع[١٨] وكان من نتائج تلك الأحوال وهذه الإجراءات أن تدهورت الزراعة وتأخرت الصناعة وانحطت التجارة وكسدت الحالة الاقتصادية وتدهورت في مصر بوجه عام .

ولم تكن الأحوال السياسية والإدارية في مصر بأحسن حالا ، فقد أدى التقسيم الإدارى لمصر بدوره إلى أضعاف سلطة الدولة ، فقد قسمت مصر إلى خمسة أقسام إدارية كبرى هى:

١- الإسكندرية وهى أهم أقسام التنظيم الإداري لمصر البيزنطية ، وكانت حاضرة مصر ومركز الحاكم البيزنطى فيهاAugustae Duke .
٢- شرقى الدلتا .
٣- غربى الدلتا يسمى ليبيا.
٤- مصر الوسطى : ويشمل الفيوم وما حولها ويسمى أركادياArcadia
٥- بقية البلاد حتى آخر حدودها الجنوبية(٢٠).

وكان يحكم كل إقليم أمير يعرف بالدوق يكاد يكون مستقلا بإقليمه، ويجمع في يديه السلطتين المدنية والعسكرية، ويعتبر الرئيس الأعلى للإدارة والقضاء والشرطة. وكان الغرض من هذا التقسيم أضعاف مقاومة المصريين والمحافظة على الأمن والنظام فى البلاد، إلا أن هذا النظام الإداري في نفس الوقت عمل على فصم عرى الوحدة الإدارية في البلاد وإضعافها.

وكان الروم منذ احتلالهم مصر يعتبرون أنفسهم هم سادة البلاد الحقيقيين، وكانت كل إصلاحاتهم وأعمالهم في مصر ترمى إلي هدف واحد وهو تنظيم استغلال البلاد لمصلحتهم الخاصة، كما أغفلوا الروح المعنوية للمصريين، فحرموا عليهم الاشتراك في حكم البلاد، في بداية احتلالهم لمصر أو الانخراط في الجيش حتى لا تتوفر لديهم القوة الحربية الكفيلة بتخليص البلاد من نير الاحتلال البيزنطى، مقتدين بذلك بما فعله الرومان من قبل[٢٢].

وكان الإمبراطور البيزنطى يرسل بدله حاكما يتولى حكم مصر نيابة عنه ، كانت مدة حكمه قصيرة ، ركز جهوده فيها على جمع المال ليعوض ما دفعه ثمنا لمنصبه [٢٣]. ويذكر أحد المؤرخين المحدثين أن النظام الحكومي في مصر ظل في روحه واتجاهاته قائما على نفس الأسس التى أخذ بها الرومان عن البطالمة مع إدخال بعض التعديلات الطفيفة عليها ، وكان أهم تعديل هو ما أحدثه الإمبراطور جستنيان من تركيز السلطتين الإدارية والدينية العليا في أيدى شخص واحد كما كان الأمر فى ولاية أبو ليناريس Apollinaris سنة ٤٥١م [٢٤]، وخاصة بعد تفجر ذلك الصراع المذهبى الخطير بين الكنيسة المصرية وكنيسة القسطنطينية حول طبيعة المسيح على النحو الذى سنوضحه في مكانه المناسب من دراستنا تلك

ولم تكن الأحوال العسكرية لمصر بأفضل من الأحوال الاقتصادية والسياسية والإدارية، فمن المعروف أن الجيش البيزنطى في مصر لم يزد عن ثلاثين ألف جندى ، كانت تعوزه الوحدة والانسجام ، كما كانت تتقاسمه المنازعات والأحقاد

الشخصية ، ومع أن الجبش البيزنطى كان تحت رئاسة " سيد جند الشرق" Magister militum per orientem ومقره القسطنطينية ؛ لكنه لم يكن له قائدًا أعلى في مصر ، بل كان يخضع لخمسة قواد كلهم على قدم المساواة [٢٥]. وكان الجيش مقسم تبعا للتقسيم الإداري، لذلك كان الجيش في مصر جيشا إقليميا مهمته الدفاع عن الجهات التى يرابط فيها، وكان جنوده مرتبطين بالإقليم المقيمين به[٢٦]. وحرى بالذكر أن الدولة البيزنطية غيرت سياستها التى اتبعتها في بداية احتلالها لمصر، الخاصة بعدم تجنيد المصريين الأقباط في الجيش مقتدين بما فعله الرومان قبلهم، والمرجح أن ذلك بسبب خوفهم أن تتوفر لدى المصريين القوة العسكرية التى تمكنهم من الثورة ضد الحكم البيزنطي والتخلص منه نهائيا ، على أن هذه السياسة تغيرت بعد ذلك إذ دلت أوراق البردي على أن معظم الجنود في هذا الجيش قبيل الفتح الإسلامي بسنوات قليلة كانوا من المصريين الأقباط ، وأنهم كانوا يجندون إما بالاقتراع أو بالتطوع أو بالوراثة ، وكان يسمح لهم الاشتغال بالزراعة أو التجارة ، كما كانوا يعملون بالقرب من بلادهم ، ولم يكن لهذا الجيش من الصفات العسكرية والكفاءة إلا حظ ضئيل إذ أغفل التدريب العسكري ونشر روح النظام بين الجنود[٢٨]، وكانت مهمة هذا الجيش الرئيسية هى مساعدة الموظفين والقضاء على قطاع الطرق وإخماد الثورات الدينية ، والاشتراك في جباية الضرائب[٢٩].

ويلاحظ أنه لما كان معظم الجيش من المصريين فإنه كان من المتوقع مشاركة مواطنيهم فيما يحسون به من آلام وغبن ويشاركونهم في كراهية البيزنطيين. ويضاف إلى ذلك أن الجيش لم يكن يخضع لقيادة موحدة – كما ذكرنا آنفا – بل كان كل دوق على رأس الجند المرابطين بدوقيته ، وعلى ذلك عندما جاء العرب لم يقاتلوا جيشا موحدا ، بل كان جيش كل إقليم ينتظر ظهور جيش العرب في إقليمهم ليدافعوه[٣٠].

أما من الناحية الاجتماعية فقد أصاب الخلل أيضا البناء الاجتماعي ، فاعتبر المصريون الطبقة السفلى من طبقات المجتمع ، وترتب على ذلك قيامهم بأشد الالتزامات قسوة وحرمانهم من حقوقهم الاجتماعية ومعاملتهم معاملة غير إنسانية(٣١)، في ظل انعدام المساواة بين الطبقات الاجتماعية في المجتمع البيزنطى، كانت حكومة البيزنطيين في مصر تميز تمييزا دقيقا وصارخا بين الإغريق بما فيهم المتأغرقين من سكان عواصم الأقاليم المختلطين بغيرهم من الأجناس وبين المصريين الأقباط الذين اعتبرهم الروم أنهم استسلموا بلا قيد أو شرط بعد الغزو البيزنطى (٣٢)، فحرموا نتيجة ذلك من الحقوق السياسية ، ومن ثم كان المجتمع المصري مجتمعا هرميا ينقسم إلى طبقات أحداها ممتازة والأخرى محرومة من الحقوق السياسة (٣٣).

وفيما له صلة بانهيار الأحوال الاجتماعية، فقد كانت الإسكندرية وبقية أجزاء البلاد على طرفى نقيض ،فالإسكندرية كانت تعتبر مدينة يونانية أجنبية عن مصر، حتى أن سكان البلاد من المصريين كانوا يعدون التوجه إلى الإسكندرية رحيلا عن مصر وخروجا منها(٣٤)، واشتهرت الإسكندرية بالبذخ الثراء ، أما بقية أجزاء البلاد فقد كانت أقاليم زراعية تتوزع الأرض فيها أسر قوية ، بينما أصبح الفلاح قناً تحت حماية الملاك الأقوياء وكانوا هم المحتلين ، ويقومون بابتزاز أموال البلاد دون أي محاولة لتوفير الرفاهية للرعية أو إصلاح الأمور بالبلاد(٣٥) وكانت السلطات البيزنطية تفرض قبضتها القوية على الإسكندرية، عاصمة البلاد ومنف وحصن بابليون ، وبعض المدن الحصينة الأخرى في طول البلاد وعرضها، وكان جند الحكومة وجباة الضرائب ينتشرون في تلك المدائن لجمع الأموال وإظهار هيبة السلطة الحاكمة ، في حين كان تجار الروم واليهود يحلون حيث شاعوا تحت حماية الجند الروم لينافسوا الأقباط منافسة شديدة (٣٦).

وفيما يتعلق بالأحوال الدينية فقد اضطربت شئون مصر الدينية وتفجر الصراع المذهبى العنيف في الداخل فزاد الطين بله. فالمعروف أن مصر كانت في طليعة البلاد التى تلقفت المسيحية منذ ظهورها في القرن الأول الميلادي[٣٧] ، ثم أخذت في الانتشار تدريجيا في كل أنحاء مصر منذ القرن الثاني الميلادي[٣٨]، إلا أن الأباطرة الوثنيين ناصبوها العداء حتى بلغ اضطهاد المسيحيين أقصاه[٣٩] أواخر القرن الثالث الميلادي وأوائل القرن الرابع في عصر الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م) ، وقابل المصريون ذلك الاضطهاد بكل قوة وعناد ، وسمى هذا العصر بعصر الشهداء لكثرة من عذب فيه من المسيحيين المصريين [٤٠]. وليس أدل على ذلك من أن الكنيسة القبطية بدأت تقويمها الذى سمته تقويم الشهداء بالسنة الأولى من حكم دقلديانوس عام (٢٨٤م) نتيجة لما تركه هذا الاضطهاد من أثر عظيم في نفوس القبط[٤١].

وقد اتخذت المسيحية في مصر منذ انتشارها شخصية خاصة ، إذ كان التعذيب الذى تعرض له المصريون المسيحيون، سببا في ظهور نظام الرهبنة وهو نظام أساسه مسيحى، ظهر في مصر قبل أي مكان آخر [٤٢]. فكان المصريون يهربون بعقيدتهم المسيحية إلى الصحارى ، بحيث أصبحت الرهبنة المثل الأعلى للمسيحية المصرية ، وينسب المؤرخون إلى الأنبا أنطونيوس الكبير المصري أنه أول من بنى الديارات وجمع الرهبان بمصر [٤٣].

ولم تلبث المسيحية أن أحرزت نصرا مبينا باعتراف الإمبراطور قسطنطين الأول (٣٢٣-٣٣٧م) بها دينا مساويا لغيره من الأديان الأخرى في الدولة البيزنطية، ثم جعل الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير (مؤسس أسرة ثيودوسيوس) (٣٧٩- ٣٩٥م) المسيحية الدين الرسمي الوحيد للدولة في جميع أنحاء الإمبراطورية البيزنطية بمرسوم عام ٣٨٠م [٤٤] ، وتحريم الديانات الوثنية من خلال مرسومين أصدرهما سنتى ٣٩٢م، ٣٩٤م[٤٥].

على أن المسيحيين ما كادوا يتخلصون من الاختلافات الدينية حتى وقعوا فريسة الخلافات المذهبية بينهم وبين الروم الحاكمين (٤٦)، إذ ثار النزاع والجدل منذ أيام قسطنطين الأول بين المسيحيين حول كنه المسيح وطبيعته وصفاته. وقد حاول قسطنطين الكبير ومن أتى بعده من الأباطرة التخفيف من حدة هذه النزاعات الدينية، وعقدوا من أجل ذلك المجامع الدينية، إلا أن أغلب الأباطرة الروم قد اتخذ سياسة مغايرة لمعتقدات المسيحيين في مصر، فاحتدم النزاع بين الفريقين، وبلغ ذلك النزاع الديني أقصاه بين كنيستى الإسكندرية والقسطنطينية منذ منتصف القرن الخامس الميلادى حينما اختلفت الكنيستان حول طبيعة المسيح (٤٧)، فذهبت الكنيسة المصرية وأتباعها إلى القول بأن للمسيح طبيعة واحدة Mono physite، أما كنيسة القسطنطينية وأتباعها فقالت بأن للمسيح طبيعتين ، ثم دعا الإمبراطور مرقيان Marcian (٤٥٠-٤٥٧م) إلى مجمع دينى في خلقدونيه بآسيا الصغرى عام ٤٥١م، فأقر ذلك المجمع مذهب الطبيعتين ، وقرر أن مذهب الطبيعة الواحدة كفر وخروج على الدين الصحيح ، كما قرر حرمان دسقوروس Discours بطرق الإسكندرية من رحمة الكنيسة(٤٨).

ولما لم يكن من شأننا أن نستفيض في ذكر مراحل وتطور الصراع بين الكنيستين المصرية والبيزنطية حول ذلك خشية أن تطول الدراسة عما هو مقدر لها ، خاصة، وأن المصادر القبطية والمراجع الحديثة حافلة بتفاصيل ضافية حول ذلك، فنقول أن مجمع خلقدونية المسكونى وقراراته أدت إلي تفجر صراع مذهبي خطير بين المسيحيين في الشرق والمسيحيين في بيزنطة، فتمسك المسيحيون في مصر بمذهب الطبيعة الواحدة للمسيح وعرفوا باسم المونوفيزيتيين ، وعرفوا أيضا بالأرثوذكس أصحاب الديانة الصحيحة أو أصحاب الأمانة المستقيمة، كما عرفوا أيضا باسم اليعاقبة نسبة إلى يعقوب البرادعى(٤٩) (أو براديوس) Jacob Baradeus . أما أتباع الكنيسة البيزنطية فقد قالوا بالطبيعتين الإلهية والبشرية

للمسيح وعرفوا باسم الملكانية أو الملكيين نسبة إلى الملك أى الإمبراطور البيزنطى، كما عرفوا أيضا باسم الخلقدونيين (٥٠)، وأصبح المذهب الملكانى هو المذهب الرسمى للإمبراطورية البيزنطية ،وبذلك أصبحت هناك أغلبية من أقباط مصر يعتنقون المذهب المونوفيزيتى وأقلية ملكانية من الإسكندريين المتأغرقين تتبع تعاليم مجمع خلقدونية المسكونى (٥١) ويذكر ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين بأنه كان يوجد عدد من الأقباط في مصر قد اعتنقوا المذهب الملكانى أو الخلقدونى (٥٢) وعلى الرغم من أن ذلك المؤرخ القبطى لم يورد سببا لاعتناق هؤلاء الأقباط للمذهب الملكانى المخالف تماما لمذهب إخوانهم من الأقباط الآخرين ، إلا أننا نرجح أن ذلك قد تم ربما تحت ضغط أو وطأة الاضطهاد البيزنطى لأقباط مصر المونوفيزتيين، أو ربما كان الدافع وراء ذلك هو تملق أو مداهنة حكام بيزنطة المسيطرون على مصر تحدوهم في ذلك رغبات أو أطماع سياسية ودينية .

وكيفما كان الأمر ، فقد وقع المصريون – أبناء الكنيسة الأرثوذكسية – تحت وطأة اضطهادات أباطرة الروم ، ويذكر اميلينو Amelineau في كتابه " دراسات في تاريخ المسيحيةفي مصر " بان حرمان ديسقورس بطرق كنيسة الإسكندرية وطرده من الكنيسة في مجمع خلقدونية ، كان فاتحة لكارثة عظيمة ظهرت بوادرها في منتصف القرن السابع الميلادى ، وانتهت بزوال سلطان المسيحية من مصر (٥٣)،وكان اميلينو محقا في رأيه فلم يكن هناك مجال لأن يتعايش المذهبان في مصر ، وأراد البيزنطيون أن يجبروا المصريين على اعتناق مذهبهم ، واتسمت العلاقات بين الجانبين بكثير من العنف والاضطهاد (٥٤).

ولقد صمد المسيحيون الأقباط للمحنة ووجدوا في الاضطهاد قوة روحية لم تزدهم إلا تشبثا بعقيدتهم الجديدة (٥٥)، واستمات أقباط مصر فى الدفاع عن عقيدتهم وكنيستهم والتي أصبح استقلالها أمرا حيويا بالنسبة إليهم (٥٦). وجرت أحداث كثيرة واضطهادات تحملها المصريون بصبر حتى إذا ما فتح الفرس مصر سنة ٦١٥م

وانتزعوها من أيدى الروم ، منتهزين في ذلك اضطراب الأحوال بها، حتى نعم المصريون في مدة حكم الفرس الذى امتد حوالي عشر سنوات، بالحرية الدينية ، وعين في عهدهم البطريق بنيامين ، الذى دان لسلطانه الروحى أهل البلاد والذى أعاد للكنيسة المصرية مركزها وقوتها ،وعاش في الإسكندرية وسط أقباط مصر آمنين مطمئنين في ظل الحكم الفارسى ،وذلك باعتراف المؤرخ الانجليزى الكبير الفريد بتلر [٥٧]، وهو الرأى الذى يدحض ما ذهب إليه المؤرخ بيورى Bury من أن الأقباط كانوا غير راضين عن حكم الفرس وغزوهم لمصر ، مما اضطر بنيامين نفسه إلى الفرار من مصر [٥٨]. ونحن نتفق تماما مع ما ذهب إليه بتلر في أن الغزو الفارسي كان بمثابة الإنقاذ والتحرر بالنسبة لأقباط مصر وبطرقهم من اضطهاد وظلم الروم لهم .

ومما يثير الدهشة والاستغراب تجاه أقباط مصر، بالرغم من أن الغزو الفارسي لمصر أدى إلى توقف اضطهادات الروم للقبط وشعورهم وبطرقهم بالأمان والطمأنينة في ظل حكم الفرس الذى استمر ما يقرب من عشر سنوات، إلا أن بعض المؤرخين المحدثين يشيرون إلى مدى سعادة المصريين بتتويج هرقل إمبراطورا عام ٦١٠م (حكم هرقل ٦١٠-٦٤١م) ونجاحه في طرد الفرس من مصر واستعادتها من جديد ضمن أملاك الإمبراطورية البيزنطية ٦٢٩م، وأنهم فرحوا بهذا النصر على اختلاف نحلهم من قبط وملكانيين ،وكذلك أظهروا سرورهم جميعا بما حل باليهود من النقمة من جانب الروم [٥٩]، ومعتقدين أن هرقل هو المسيح المخلص أو المنقذ The savior بالنسبة إليهم ، فقد عاد الاضطهاد الدينى بكل قسوته وعنفه ، وأكثر مما كان في العصر البيزنطى الأول بمصر ؛ لأن هرقل فشل في كسب ود المصريين أو وقف الصراع معهما ، لاسيما وقد ظلت مشكلة المذهب المونوفيزيتى تلقى بظلالها على العلاقات بين الجانبين ، وتسببت في تعرض المصريين لكره واضطهاد بيزنطة [٦٠].

وعندما حاول هرقل أن يضع نهاية للخلاف الدينى وذلك بأن أصدر صـــورة توفيق Mono theima تقضى بأن يمتنع الناس عن الخوض في طبيعة المســيح وصفته ، وأن يعترفوا جميعا بأن له إرادة واحدة ، لم يدرك أن مذهبه التوفيقى هذا قد يأباه أهل مصر ،ولم يعرف أن أهل مصر إذا رفضوا ذلك المذهب، كـــان شـــر الطرق إلى ضمهم إلى الجماعة أن يرغمهم عليه ويقذف به في حلوقهم إذ قد كرهوا مرارة مذاقه منذ ذاقوه ، ولكن مع سعيه هذا كان كمن يسعى إلى المصائب سعيا ، وأخفق الإمبراطور هرقل في سعيه لتوحيد المــذاهب فــي مصــر [٦١]. وقضـــى المصريون عشر سنوات أخرى – هي المدة التى مرت بين طرد الفرس ودخـــول المسلمين مصر – تحت الإرهاب والبطش فيما يعرف بالاضـــطهاد الأعظـــم [٦٢] فـــي خلالها استحل الروم قتل الأقباط وضربهم وتعذيبهم، وحتى إغراقهم في البحـــر [٦٣] وذلك على أيدي الحاكم العام الجديد لمصر الذى أرسله هرقل وجمع في يديه بـــين السلطتين الدينية والزمنية عام ٦٣١م والذي كان يعرف باســـم قيـــرس Cyrus [٦٤] ، والذي عُرف عند مؤرخي العرب باسم المقـــوقس [٦٥]. ويـــذكر أحـــد المـــؤرخين المحدثين أن المصريين هم الذين سموا قيرس هذا باســـم المقـــوقس ســـخرية [٦٦]، ويذكر ابن وصيف شاه في جواهر البحور أن اسمه الحقيقى جريج بـــن مينـــا [٦٧] ويعارض بتلر هذه التسمية الخاصة بالمقوقس [٦٨] . ويسميه الكندى ابـــن قرقـــب اليونانى [٦٩]، وهى التسمية التى عارضها بتلر أيضا وأدحضها فـــي كتابـــه(٧٠). ويذكر الواقدى أنه كان يسمى المقوقس بن راعيل ، وكان هذا الملك (أي المقوقس) من أهل الرأى والتدبير والفضل والحكمة ، وكان من أعلم أهل زمانه [٧١]، وكانت شخصية هذا الرجل في التاريخ سرا خفيا استعصى علـــى المـــؤرخين القـــدامى والمحدثين وأثار حيرتهم دون أن يعرفوا اسمه أو لقبه حتى أوائل القرن العشـــرين حتى أكد الفريد بتلر بعد دراسة تحليلية ونقدية متعمقة بأن قيرس هو نفسه المقوقس دون سواه [٧٢].

ويذكر ألفريد بتلر بأن هرقل كان من أحسن الناس قصدًا عندما بعث المقوقس هذا كحاكم عام على مصر، ولكن ما قام به هرقل بتعيين هذا الرجل كان خطأ كبيرًا وكانت له أسوأ العواقب، وكان كمن يسعى إلى المصائب سعيا باختياره المقوقس دون سواه إذ كان هذا الرجل نحسا أنكد النقيبة، عسف في الحكم حتى صار اسمه للقبط كريها عندهم مدة عشر سنين (٧٣)، تفنن خلالها في تعذيب واضطهاد الأقباط، ولهذا يذكر بتلر في موضع آخر من كتابه أن اختيار هرقل لقيرس كان سببا في ضياع مصر فيما بعد مثلما كان اختيار صفرونيوس للولاية الدينية على بيت المقدس سببا في ضياع فلسطين ، وكانت كل منها تمثلان أشأم زلتين لهرقل (٧٤).

وقد أخذ قيرس المصريين بأحد أمرين إما الدخول في مذهب هرقل الجديد، وإما الاضطهاد ، ولذلك فإنه في نفس اليوم الذى وفد فيه قيرس إلى الإسكندرية في خريف عام ٦٣١م هرب البطريق بنيامين إلى الصحراء توقيا لما سيحل به وبطائفته من الشدائد ، وظل مختفيا تماما حتى دخل المسلمون مصر (٧٥) . ويذكر المؤرخ القبطى المعاصر يوحنا النقيوسي(٧٦) كيف أن قيرس بدأ يصب نقمة الاستعباد على رؤوس الأقباط في كل نواحى حياتهم العامة والخاصة ، وبشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ البلاد (٧٧)، وعمل بكل وسائل الترغيب والترهيب لضم المصريين إلى مذهب الدولة، وقاسي الأقباط جميع أنواع الشدائد من جراء مذابح واضطهادات قيرس ،وصمد كثيرون ضده ومن بينهم الأب مينا أخو البطريق بنيامين ، الذين عذبوا ثم قتلوا غرقا ، كما يذكر ساويرس بن المقفع(٧٨) ، ويؤيده في ذلك بتلر (٧٩) . ويذكر ابن المقفع أن هرقل كان بمثابة ذئب ضار يفتك بالقطيع ولا يشبع نهمه ، وما كان ذلك القطيع إلا طائفة الثيودوسيين (٨٠) (أى الاقباط) (٨١) . وتؤكد المصادر القبطية – التى انفردت وحدها بذكر هذه الاضطهادات للأقباط في مصر – إن المصريين الأقباط لم يزدهم هذا الإرهاب إلا تمسكا بعقيدتهم فيما عدا

فئة قليلة من الموظفين والأغنياء وبعض الأساقفة (٨٢)، الذين لم يستطيعوا تحمل الاضطهاد أو الفرار بمذهبهم من مصر، فتحولوا إلى المذهب الجديد(٨٣).

وبذلك بدا الأمر واضحًا أن مصر قد انفصلت تماما من الناحية الروحية عن الدولة البيزنطية، وأن سيف قيرس قطع آخر ما كان يربط المصريين (٨٤) على الدولة البيزنطية من أسباب الولاء(٨٥).

ويلاحظ أن المصادر الإسلامية التى لدينا وتناول بعضها أحوال مصر قبل الفتح الإسلامي، لم تشر على الإطلاق إلى اضطهادات الروم للأقباط في مصر أو أنها أكدت ما أوردته المصادر القبطية الأخرى عن عمليات التعذيب والقتل للأقباط، ولكن لدينا رواية فريدة انفرد بها الواقدى عن غيره من المصادر الإسلامية وحتى القبطية حول سياسة المقوقس تجاه أقباط مصر عندما ذكر في معرض حديثه عن فتح المسلمين لمصر " وكان المقوقس من أعلم أهل زمانه وكانت القبط معه في عيشة مرضية " (٨٦) ، والواقع أن هذا النص الفريد الذى ذكره الواقدى والذى ينص صراحة على أن سياسة المقوقس تجاه أقباط مصر كانت عادلة وأنه لم يكن هناك أى نوع من الاضطهاد أو التعذيب من قبل الروم أو المقوقس لأقباط مصر ، تناقض وتنفي تماما مع ما جاء في المصادر القبطية وعلى رأسها كتاب يوحنا النقيوس وساويرس بن المقفع ، التى استفاضت في ذكر ألوان العذاب والاضطهاد التى سامها الروم والمقوقس للأقباط نتيجة الخلاف المذهبى بين الفريقين ، وانساقت وراءها العديد من المراجع العربية والأوربية الحديثة وعلى رأسها كتاب بتلر . وقد يرى غالبية المؤرخين المحدثين أن مثل هذا النص من قبل الواقدى غير كاف أو غير حقيقي أو قابل للتصديق، خاص وأن الأقباط فيما بعد قد رحبوا بالفتح الإسلامى ، وأعانوا عمرو بن العاص في فتحه ، كما تزعم بذلك بعض المصادر القديمة والمراجع الحديثة . وبماذا يفسر هذا العون من أقباط مصر للمسلمين الفاتحين والذى حاولت المصادر الإسلامية أن تؤكده على أساس أن الدافع وراء

الأمر ذلك هو الاضطهاد الديني للأقباط في مصر على أيدى المقوقس وهو الـــذى سنعرض له بالنقد والتحليل في موضعه المناسب من هذه الدراسة والواقع أنه مـــن الصعب على الباحث أن يقطع برأى حول هذا الأمر أو في هذه القضية الحساســة والشائكة في تاريخ مصر قبيل الفتح الإسلامي لمصر؛ لأن غالبية، بل كل المراجع العربية والأوربية الحديثة أجمعت على وقوع هذا الاضطهاد، استنادًا إلى المصادر القبطية وكأنها حقيقة مسلم بها غير قابلة للشك ولا وللنقض وأن هذا الاضطهاد كان السبب الرئيسى والهام وراء ترحيب الأقباط بالفتح الإسلامى مستندين في ذلك على بعض نصوص المصادر الإسلامية التى اتسمت - في رأيي - بالغموض والشـــك في مدى مصداقيتها (كما سنناقشه في نهاية هذه الدراسة). ولكن القراءة المتعمقة والمتأنية لنص الواقدى والذى يشير فيه بوضوح إلى مدى العلاقة الطيبة التى كانت بين المقوقس والقبط، ثم وأمام صمت المصادر الإسلامية التام عن الإشارة إلى أية تفاصيل أو حتى تلميحات تخص اضطهاد الروم والمقوقس للأقباط ، التى لو كانت قد وقعت لسارعت المصادر الإسلامية القريبة من الفترة مثل كتب الواقدى والكندى وابن عبد الحكم وغيرها ، إلى تسجيلها والاستفاضة فيها ، كل هذا يجعلنا مترددين في القبول بمدى صحة هذه الروايات التى ذكرتها المصادر القبطية حـــول ألـــوان وفنون التعذيب والقتل التى كالها الروم والمقوقس للقبط في الثلاثين سنة الأخيرة من الحكم البيزنطى لمصر، ويؤكد وجهة نظرنا هنا المقاومة المستميتة التى أبداها أقباط مصر جنبا إلى جنب مع الروم ضد الحصار الإسلامي للعديد من المـــدن والقـــرى ذات القلاع والحصون القوية التى حاول عمرو بن العاص الاستيلاء عليهـــا أثنـــاء عملية الفتح ، والتى أشارت إليها غالبية المصادر الإســـلامية فـــي العديـــد مـــن المواضع(٨٧) - على النحو الذى سنوضحه - في حينه خاصة وأن المصـــادر القبطية هى المصادر الوحيدة التى انفردت بذكر هذه الروايـــات دون المصـــادر الإسلامية الأخرى سواء كانت القريبة من الفترة موضوع الدراسة أو المـــتأخرة

عنها مما يجعلنا أيضا في حيرة من أمرنا حول تصديق مثل هذه الروايات القبطية ، وأن مسألة اضطهادات الأقباط هذه ما تزال بحاجة إلى مزيد من البحث والتقصي للتأكد من مدى صحتها مع مقابلتها بالمصادر الإسلامية الأخرى . ويؤكد وجهة نظرنا تلك أن المصادر القبطية نفسها لم تشر إلى وقوع اضطهادات لمسيحى الشام اليعاقبة الذين اعتنقوا نفس مذهب الطبيعة الواحدة، ولم تشر حتى المصادر الإسلامية من قريب أو من بعيد بالتلميح أو بالتصريح لمثل هذه الاضطهادات من قبل الروم للنصارى في بلاد الشام.

وكيفما كان الأمر فقد بدت مصر في الثلاثين سنة الأخيرة من الحكم البيزنطى لها متهالكة ضعيفة بعد أن اختلت أحوالها الدينية والاقتصادية والاجتماعية، وفر رجالها وكبار المسؤلين فيها واضطربت شئونها، ولم تعد إقليما بيزنطيا بالمعنى الصحيح ، وأخذت البلاد تتهيأ سياسيا ودينيا لهذاالحدث العظيم وهو انتقال السيطرة من أيدى البيزنطيين إلى أيدى المسلمين، وتمهد السبيل بذلك لفتح مصر على أيدى دولة ناشئة قوية هى دولة المسلمين الفتية ، ولذلك عندما جاء المسلمون إلى مصر لم يقاتلوا أمة بل كانوا يقاتلون جيش احتلال كان مكروها من أهل البلاد، ويؤكد هذه الحقائق – كما زعم بعض المؤرخين المحدثين- أننا نجد صدى ذلك في كتابات المؤرخين الأقباط في العصور الوسطى حيث يقررون أن انتصار المسلمين على الروم في مصر ، فيما بعد ، هو غضب من الناس على الروم (٨٨)، كما يتجلى لنا من ثنايا كتاباتهم مدى العداوة بينهم وبين الروم، ولذلك يقول حنا النقيوسى المؤرخ القبطى المعاصر لهذه الأحداث " أن جميع الناس يذكرون أن سبب انتصارت المسلمين على الروم في مصر هو استبداد هرقل والاضطهادات التى أنزلها بالأرثونكس والتى كان قيرس(المقوقس) هو الآلة المحركة لها " (٨٩) . ويؤكد على هذا أيضا ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين

حيث يذكر " أن الله كان يخذل جيوش البيزنطيين أمام المسلمين بسبب عقيدتهم الفاسدة " (٩٠).

٢- الفتح الإسلامى لمصر والعوامل التى هيأت له من قبل المسلمين ومراحل هذا الفتح (أواخر عام ١٨هـ/أواخر سنة ٦٣٩م) :

أ- مناقشة وتحليل لأهم الروايات حول استعدادات المسلمين لفتح مصر (ومؤتمر الجابية عام ١٨هـ /٦٣٩م): فتح مصر بين الحقيقة التاريخية والأسطورة الشعبية :

اختلفت روايات المؤرخين القدامى في أسباب فتح مصر والظروف التى أحاطت بفتحها في الجانب الإسلامى اختلافا بينا كما تضاربت الروايات فيما بينها حول المخطط أو المفكر وراء هذا الفتح الهام والخطير في التاريخ الإسلامى، كما اختلفت فيما بعد حول فتح الأندلس ، وهما أكبر فتحين في تاريخ الإسلام . ويبدو أن اختلاف هذه الروايات مرده محاولة المؤرخين المسلمين إحاطة هذين الحدثين بهالة من العظمة والخيال متناسين أن عظمة الفتحين في حد ذاتها تغنيان عن أية خيالات أو نبوات .

وإذا تصفحنا كتب التاريخ التى تناولت الفتوحات الإسلامية في شرق الدولة ومغربها، وبخاصة فتح مصر، يلاحظ أنها أحاطت هذه الفتوح بهالات من الخيال والنبوات والأساطير ، ونسبت إلى المسلمين وقوادهم أعمالا خارقة للبشر،واعتبرت هذه الروايات مقدمات بل وأحد أسباب الفتح الرئيسة كما لو كان الأمر يتعلق بمعجزة من المعجزات ، وسوف نعرض في هذه الوريقات بعض روايات الكتاب المسلمين التى احتوت هذه النبوات والأساطير والتى تنبأت بفتح المسلمين لمصر ، وسنرى مدى الاختلاف الواضح لهذه الروايات فيما يتعلق بعملية الفتح . ويلاحظ أنه قد يبدو للقارئ المتأمل لهذه الروايات بأن ذكرها في هذه الدراسة نوع من الاستطراد لا داعي له ، إلا أننا نرى أنه يرتبط ارتباطا قويا ومباشرا بهذه الدراسة

في محاولة لإظهار مدى حقيقة أو أسطورة هذه الروايات ، وخاصة وأن بعضها يحتوى على بعض الحقائق التاريخية التى تمثل أهمية كبيرة بالنسبة -لهذه الدراسة، والتى أغفلت كتابات المؤرخين المحدثين التى تناولت الفتح الإسلامي لمصر التعرض لها وضربت عنها صفحًا.

فالكندى صاحب كتاب " ولاة مصر" يسوق رواية تذكر أن عمرو بن العاص(٩١) الذى كان تاجرا في الجاهلية، وكان يختلف بتجارته إلى مصر ، حيث كان يتاجر في الأُدمُ والعطر فقدم مرة من ذلك ، فأتى الإسكندرية ، فوافق عيدا لهم (أى لأقباط مصر وروموها) ، يجتمعون فيه ويلعبون ، فإذا هموا بالانصراف اجتمع أبناء الملوك وأحضروا كرة لهم مما عملها حكماؤهم ، فتراموا بينهم ، وكان من شأنها المتعارف عندهم أن من وقعت في حجره ملك الاسكندرية، أو كما قالوا : ملك مصر فجعلوا يترامون بها ، وعمرو في النظارة (أى كان ضمن المشاهدين لها) فسقطت الكرة في حجره ، فتعجبوا لذلك وقالوا : ما كذبتنا هذه الكرة قط إلا هذه المرة ، وأنى لها الأعرابى يملك الإسكندرية ،هذا والله لا يكون ! ثم ضرب الدهر،حتى فتح المسلمون الشام ، ثم فتح عمرو مصر (٩٢) . ويؤيد صاحب الروض المعطار رواية الكندى حول فتح مصر وإن ذكرها في كلمات قليلة بقوله " كان عمرو بن العاص قد دخل مصر في الجاهلية وجرى له فيها خبر الكرة "(٩٣).

أما رواية ابن زولاق فهى تختلف تماما عن الرواية السابقة فيذكر رواية تقول " وكان عمرو بن العاص قد سافر في الجاهلية إلى بيت المقدس مع رفقاء له يرعون إبلا لهم ، فنزل على عمرو راهب في يوم شديد الحر وهو يرعى إبل أصحابه ونام عنده بعد أن سقاه ماء ،وخرجت حية تريد الراهب فقتلها عمرو، فانتبه الراهب فقال أحييتنى مرتين ، والله لأعطينك ديتى مرتين . كم الدية عند العرب ؟ فقال : مائة من الإبل . فقال لسنا أصحاب إبل ،ولكن أصحاب دنانير فقال له: الدية ألف دينار . فقال له: صر إلى مصر اعطينك ديتى مرتين ، فسار معه

عمرو إلى مصر ، فانتظر أصحابه ببيت المقدس فأعطاه ذلك ، ورأى عمرو طريق مصر وملكها (٩٤).

وهذه الرواية تحتوى من الأساطير أكثر مما تحتوى من الحقائق وغير مقبولة لدينا ، خاصة وأنها تفترض أو تؤكد أن عمرو بن العاص لم يكن قد ذهب إلى مصر على الاطلاق في الجاهلية، ولم يكن يعرف دروبها أو مسالكها أو الطرق المؤدية إلى مدنها وقراها، وأنه لم يختلف إلى الإسكندرية على الإطلاق في العصر الجاهلى ، مما يتعارض تماما مع ما ذكرته بقية المصادر وأجمعت عليه مثل رواية الكندى.

وفيما له صلة بذلك يذكر الواقدى رواية مثيرة وتثير الدهشة كأحد أسباب فتح مصر ، فيذكر أنه صنع في أيام راعيل أبي المقوقس هيكلا عظيما على أعمدة من نحاس بمكان يعرف بعين شمس وجعل عليه أشخاصا مجوفة وجعل وجهها على جهة مصر وكتب عليها بالقبطية " إذا دارت هذه الأشخاص إلى جهة الحجاز فقد قرب ملك العرب " قال : فبينما المقوقس راكب في بعض الأيام للصيد وقت هجرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وقد انتهى سيره إلى عين شمس ، إذ هو قد سمع أصواتا من الأشخاص قد علت ، ثم حولت وجهها نحو الحجاز ، فأيقن بتلف ملكه وزواله ، فعاد من ركوبه وهو قلق ودخل قصر الشمع وجلس على سريره وجمع القسوس والرهبان وكبراء القبط ، وقال لهم : يا أهل دين النصرانية اعلموا أن زمانكم قد مضى وهذا النبى المبعوث لا شك فيه وهو آخر الأنبياء ولا نبى بعده وقد بعث بالرعب ولابد لرجل من أصحابه أن يملك تحت سريرى ، فانظروا إلى ملككم وأصلحوا ذات بينكم وأرفقوا برعيتكم ولا تجوروا في حكمكم وأمنوا ضعفائكم وإياكم وإتباع الظلم ، فإن الظلم وبيل ومرتعة وخيم(٩٥).

وعن رواية ابن عبد الحكم فيبدو أنها كانت مصدرا أساسيا لروايتى كل من الكندى وابن زولاق ، وإن كانت رواية ابن عبد الحكم تتسم بتفاصيل ضافية أكثر مما جاءت في روايتى الكندى وابن زولاق ، فهو يشير في روايته تحت عنوان "

ذكر سبب دخول عمرو بن العاص مصر " أنَّ عمرًا كان قد دخل مصر في الجاهلية وعرف طرقها ورأى كثرة ما فيها وكان سبب دخول عمرو إياها كما حدثنا يحيى بن خالد الدروى أنه بلغه أن عمرًا قدم إلى بيت المقدس للتجارة في نفر من قريش فإذا هم بشماس من شمامسة الروم من أهل الإسكندرية قدم للصلاة في بيت المقدس [٩٦]، ثم تستمر الرواية على نفس منوال رواية ابن زولاق[٩٧]، وعندما سأله عمرو عن بلاده قال الشماس : مصر في مدينة يقال لها الإسكندرية ، فقال عمرو : لا أعرفها ولم أدخلها قط . فقال له الشماس: لو دخلتها لعلمت أنك لم تدخل قط مثلها . فقال عمرو: وتفي لى بما تقول وعليك بذلك العهد والميثاق. فقال له الشماس: نعم لك الله على بالعهد والميثاق أن أفى لك وأن أوصلك إلى أصحابك فقال عمرو كما يكون مكثى فى ذلك؟ قال:شهرا تنطلق معى ذاهبا عشرا أيام ،وتقيم عندنا عشرا وترجع فى عشر ولك على أن أحفظك ذاهبا وأن أبعث معك من يحفظك راجعا:فقال له عمرو: أنظرنى حتى أ شاور أصحابى فى ذلك فانطلق عمرو إلى أصحابه، فأخبرهم بما عاهده عليه الشماس.وقال لهم:تقيموا على حتى أرجع ولكم على العهد أن أعطيكم شطر ذلك على أن يصحبنى رجل منكم أنس به. فقالوا وبعثوا معه رجلا منهم، فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس إلى مصر حيث انتهى إلى الإسكندرية،فرأى عمرو من عمارتها وكثره أهلها وما بها من الأموال والخير وعمارتها وجودة بنائها وكثرة أهلها وما بها من الأموال فأزداد عجبا.ووافى دخوله الإسكندرية عيدا عظيما يتجمع فيه ملوكهم وأشرافهم ولهم أكره من ذهب يترامى بها ملوكهم وهم يتلقفونها بأكمامهم.وفيما اختبروا من تلك الاكره على وضعها من مضى منهم أنها من وقعت الاكره فى كمه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم. فلما قدم عمرو إلى الإسكندرية أكرمه الشماس الإكرام كله وكساه ثوب ديباج ألبسه إياه ، وجلس عمرو والشماس مع الناس في ذلك المجلس حيث يترامون بالأكرة يتلقونها بأكمامهم فرمى بها رجل منهم فأقبلت تهوى ووقعت في

كم عمرو فتعجبوا من ذلك ، وقالوا : ما كذبتنا هذه الأكرة قط إلا هذه المرة أترى هذا الأعرابي يملكنا هذا لا يكون أبدا.

وتمضي الرواية في ذكر أن الشماس مشى في أهل الإسكندرية وأعلمهم أن عمرا أحياه مرتين وأنه ضمن له ألف دينار وسألهم أن يجمعوا ذلك فيما بينهم. ففعلوا ودفعوها إلى عمرو ، فانطلق عمرو وصاحبه وبعث معهما الشماس دليلا ورسولا، وزودهما وأكرمهما حتى رجع وصاحبه إلى أصحابهما ، فبذلك عرف عمرو مدخل مصر ومخرجها ، ورأى منها ما علم أنها أفضل البلاد وأكثرها مالا.[٩٨]

وهكذا جمعت رواية ابن عبد الحكم بين أمرين : ما يخص أحد رجال الدين المسيحي المصريين . مع عمرو بن العاص ، وخبر الكرة وهذه الرواية فيها من الأسطورة أكثر مما فيها من حقائق تاريخية، بل إنها تكاد لا تحتوى على أية حقائق على الإطلاق ، فقد احتوت على مجموعة من الترهات والأكاذيب؛ لأنها تنفى عن عمرو بن العاص أنه كان يختلف إلى مصر وأقاليمها وقراها وعلى رأسها الإسكندرية، وأكدت على ذلك في أكثر من موضع مما يتناقض تماما مع بقية روايات المصادر الإسلامية الأخرى القريبة من الفترة أو المتأخرة عنها، التي أكدت على نحو واضح وصريح أن عمرو بن العاص كان يختلف كثيرا إلى مصر في الجاهلية ، وكان يعرف دروبها وطرقها ومسالكها جيدا ، وأنه كان يختلف كثيرا إلى الإسكندرية ، وكان وجهه كتاجر مألوف لديهم تماما الدليل أنهم كانوا يدعونه لحضور أعيادهم في الإسكندرية بصفة خاصة[٩٩]. ويلاحظ أن ابن عبد الحكم يناقض نفسه في نفس هذا الموضع من كتابه عندما أشار بنفسه في بداية هذه الرواية وقبل أن يشرع في ذكر تفاصيلها وأكد على أن " عمر بن العاص كان قد دخل مصر في الجاهلية عرف طرقها ورأى كثرة ما فيها "[١٠٠]، وتأكد ذلك في أكثر من موضع من كتابه هو وغيره من المؤرخين اللاحقين لها وذلك عندما ذكر هؤلاء المؤرخين أسباب فتح مصر، وهى التى جاءت على لسان عمرو بن العاص

نفسه عندما اجتمع مع الخليفة عمر بن الخطاب في الجابية عام ١٨هـ/٦٣٨م حيث عرض عليه فكرة فتح مصر وأقنعه بها على أساس علمه التام بأحوالها السياسية والاقتصادية والعسكرية وأهميتها بالنسبة للمسلمين من الناحية الاستراتيجية والاقتصادية[١٠١]، على النحو الذى سنوضحه بعد قليل .

وعلى ذلك فإننا لا نقبل هذه الرواية من أن عبد الحكم ونشك في مدى مصداقيتها مع العديد من رواياته الأخرى التى تعرضت بعد ذلك لعمليات الفتح الإسلامي لمصر وموقف الأقباط من هذا الفتح، وقد يعتقد البعض بأن هذا الحكم على روايات ابن عبد الحكم يتسم بالقسوة على أساس أنه نقل رواياته عن تاريخ مصر الإسلامية المبكر من مؤلفات مؤرخين سبقوه وكانوا قريبين جدا من الفترة موضوع الدراسة وإن لم يكن بعضهم معاصرا وشاهد عيان لها – أمثال يزيد بن أبى حبيب ، وعبيد الله بن أبى جعفر، وابن لهيعة ، وعثمان بن صالح، ويحيى بن بكير. إلا أن هؤلاء المؤرخين الذين اعتمد عليهم ابن عبد الحكم لم يشر إلى أسماء مصادرهم الأمر الذى جعل بعض المؤرخين يزعم أن مؤلف ابن عبد الحكم قد جمع عن طريق الرواية الشفوية[١٠٢] ، وهو الرأى الذى نتفق معه تماما. ويضاف إلى ذلك إلى أن المنهج الذى اتبعه ابن عبد الحكم في كتابه هو نفس المنهج الذى كان متبعا لدى مدرسة مصر في التاريخ في القرن السادس الهجرى وهو المعروف بطريقة الإسناد التى جرى عليها رواة الحديث ، وبما هو معروف عن ابن عبد الحكم بعدم تمحيص أو نقد للروايات التاريخية التى ينقلها ، ويشترك معها في ذلك العديد من المؤرخين على رأسهم أبو المحاسن ، ولذلك ظلت نظرية نقد الروايات التاريخية نفسها أمرا لا يعرفه ابن عبد الحكم كما لم يعرفه معاصروه من مؤرخى القرن الثالث الهجرى، مما ترتب عليه تسرب العديد من الأساطير في بعض فصول كتابه خاصة ما يتعلق بتاريخ مصر القديمة[١٠٣] ، وكذلك تاريخ مصر في فجر الإسلام .

وقد يبدو مما سبق أنه نوع من الاستطراد يبعدنا عن موضـــوع الدراســـة ، ولكن يجب أن نتوقف قليلا لإظهار حقيقة روايات ابن عبد الحكم الخاصة بـــالفتح الإسلامي لمصر من حيث أسبابه ومراحله ومحاولة تمحـيص هـــذه الروايـــات وإخضاعها للنقد والتحليل للتوصل إلى الحقيقة التاريخية شبه الكاملة، ومعرفة الغث من السمين فيها ، خاصة وأنه يمثل عمدة المـــؤرخين لـــدى المـــؤرخين القـــدامى والمحدثين فيما يتعلق بالفتح الإسلامى لمصر .

واستكمالا لهذه الجزئية حول أسباب فتح عمرو بن العاص لمصر يطلع علينا ابن وصيف شاة برواية تتضمن قصتين. إحداهما : تذكر أنه كان في الكنيسة التـــى في داخل مصر المسماه الآن (أى وقت حياة المؤرخ) بالمعلقة صنم مـــن نحـــاس راكب على جمل من نحاس وهو في زى العرب ، على رأسه عمامة وفي رجليـــه نعلان من الجلد ، وكانت القبط والروم إذا اعتدى أحد على أحد وتظالموا فى شيء بينهم يحضرون إلى ذلك الصنم يقفون بين يديه ، ويقول المظلوم للصنم هذا ظلمنىء ، إذا لم تتصفنى منه قبل أن يجيئ هذا الرجل العربى فيأخذ حقي منك رضيت أو لم ترض بها[١٠٤] (يعنون عمرو بن العاص). أما القصة الثانية فتـــذكر أنـــه كـــان بالإسكندرية باب مغلق عليه أربعة وعشرون قفلا، عزم على فتحها المقوقس فمنعوه القساوسة والرهبان، ثم قالوا : من تقدم من الملوك لم يفتح هذا الباب ويضع كل واحـــد عليه قفلا ، وأنت الأخر اجعل لك عليه قفلا ونحن نعطيك ما خطر لك من المال الذى ظننت أنه فيه فامتنع وفتحه ، ودخل فيه فلم يجد فيه شيئا من المال، لكن رأى منقوشـــا على حيطانه تصاويز من العرب راكبين على خيول وعلى رأسهم عمـــائم وســـيوف مقلدين بها وكتابة في صدر المكان : " تملك العرب المدينة في هذه السنة " . وكان كل من ملك مدينة الإسكندرية من ملوك القبط يجعل له قفلا على ذلك البـــاب ولا يفتحـــه، وتلك الأقفال بعدد من ملك الإسكندرية من ملوك الأقباط[١٠٥].

وهكذا يتضح لنا من تلك الرواية أنهـــا مختلقـــة ومـــن ابتكـــار القصـــاص والإخباريين ، ويبدو فيها الخيال الجامح بشكل واضح ، وممـــا يثيـــر الدهشـــة أن القصة الثانية التى أوردها ابن وصيف شاة وتخص بيت الإسكندرية المغلق هذا ، قد اقتبسها القصاص والإخباريون مع تغيير في أسماء الأماكن والأشخاص ليجعلوهـــا ضمن الأسباب التى أدت إلى فتح العرب لأسبانيا ،كما أوردها مؤرخـــو المغـــرب والأندلس وذلك فيما يعرف بأسطورة بيت الحكمة [١٠٦]، والتى اختلطت بالتـــاريخ الأسبانى كما لو كانت حقيقة تاريخية ، وممـــا دعـــا المـــؤرخين المحـــدثين إلـــى إنكارها[١٠٧].على أن أكثر تلك الروايات إثارة تلك التى وردت حول أرمانوسة ابنة المقوقس حاكم مصر البيزنطى ، التى وردت في كتاب الواقدى ، وتضمنت تفاصيل كثيرة للغاية يضيق المقام من ذكرها، والتى ربطت بين زواج أرمانوسة بقسطنطين ابن هرقل (يقصد هرقلوناس) وفتح مصر التى يبدو فيها الخيال والمبالغـــة بشـــكل واضح[١٠٨]، ومما يثير الدهشة أن هذه القصة نقلها الإخباريون العرب مع تغيير في الأسماء والأماكن وبعض الأحداث وربطوا بينها وبين فتح العرب لـــبلاد المغـــرب فيما يعرف بقصة ابنة جرجير البيزنطى حاكم إفريقية ،كما أنه من نفـــس روايـــة أرمانوسة استوحى المؤرخون الأندلسيون المغاربة قصة فلورندا Florenda ابنـــة يوليان (يليان) Julien حاكم سبته Ceuta ، وربطوا بينها وبين الفتح الإسلامي لأسبانيا، بل واعتبروها أحد الأسباب المباشرة والهامة التى أدت إلى تدخل المسلمين في أسبانيا فيما بعد[١٠٩] .

وبذلك يمكن القول أن مثل هذه الروايات الخاصة الفتح الإســـلامي لمصـــر تنقصها الدقة في أغلب الأحيان، ويكتنفها الغموض، بسبب ما يغلب عليها من طابع أسطورى، ولا تقدم لنا إلا قدرا ضئيلا للغاية من المعلومات الايجابية أو الحقـــائق التاريخية ، والتى نسبت على المسلمين وقوادهم أعمالا خارقة للبشر، وكـــأن فـــتح مصر يتعلق بمعجزة من المعجزات . والحقيقة أن هذه الأسطورة لا تنطـــبقعلـــى

الواقع التاريخي، لأن القيادة العليا للمسلمين كانت حريصة كل الحرص على سلامة أرواح جنودها ، فلم تقدم على أى عمل حربى إلا بعد دراسة شاملة وتدبير محكم ووضع الخطط العسكرية الدقيقة المناسبة لجميع احتمالات النصر والهزيمة حفاظا على أرواح المسلمين، وتأكد هذا الأمر مرارا في مؤتمر الجابية، وفي المراسلات التى كان يرسلها الخليفة عمر بن الخطاب إلى قائده عمرو بن العاص أثناء العمليات العسكرية لفتح مصر [١١٠] ، التى يأمره فيها بأخذ الاحتياطات والحذر من العدو حفاظا على أرواح المسلمين ولا يترك أى شيء للصدفة " فاستعمل النشاط في أمرك ولا تأمن لعدوك واستعمل الحذر فإن الإمام ما يكون إلا على حذر [١١١].

والحق يقال أن هناك عوامل سياسية واستراتيجية واقتصادية حتمت على المسلمين فتح مصر، ومن هذه العوامل ما جاء على لسان عمرو بن العاص نفسه [١١٢]، باعتباره قائدا قديرا سياسيا بعيد النظر ، ففتح مصر كان ضرورة حتمية بعد فتح الشام وفلسطين ، ذلك لتأمين الفتوح الإسلامية بالشام ، وللإفلات من تطويق الروم للمسلمين من جهة الجنوب الغربى ، خاصة بعد أن فر أرطبون الحاكم السياسى لمدينة بيت المقدس إلى المسلمين وأنه كان يعد العدة هناك لشن هجوم مضاد على المسلمين في بلاد الشام ،لذلك كان على المسلمين أن يوقعوا به قبل أن يستفحل أمره [١١٣]، ولذلك فإن تأمين سلامة العرب في بلاد الشام كان رهناً بالاستيلاء على مصر ، والحيلولة بين البيزنطيين وبين اتخاذها قاعدة عسكرية أو رأس جسر للهجوم منها على بلاد الشام [١١٤].

ويضاف إلى ضمن هذه الأسباب السياسية والاستراتيجية إدراك المسلمين أن بقاء مصر في أيدى الروم يهدد سلطانهم في بلاد الشام بالزوال كما أن فتح مصر بالنسبة للمسلمين كان يمثل أهمية كبرى باعتبار أن مصر تمثل البوابة الرئيسية التى ينطلق منها المسلمون فيما بعد ـ لفتح شمال أفريقيه وأسبانيا . وتذكر إحدى المؤرخات المحدثات أن فتح مصر كان ضرورة قصوى لتأمين وحماية المدينة

المنورة حاضرة الخلافة الإسلامية؛ لأنها قريبة من القلزم (السويس الحالية)، ولأنه لا يستبعد أن يرسل الروم حملة من تلك الناحية إلى المدينة المنورة عبر البحر الأحمر تنتقم لما حل بممتلكاتها في بلاد الشام [١١٥]. ويؤيد وجهة النظر تلك أن أحد المؤرخين المحدثين يذكر أن فتح مصر كان ضرورة فعلا لتأمين المدينة المنورة عاصمة الخلافة الراشدة؛ لأن موضع مصر وتحكمها في البحر الأحمر يهدد الجزيرة العربية نفسها [١١٦]. ومن المعروف أن مصر وبلاد الشام كانتا وما زالتا تربطهما مصالح سياسية وحربية وتجارية واحدة وكثيرا ما ارتبط الشام ومصر في وحدة تاريخية وثيقة، وكان مصيرهما واحد خلال فترات طويلة من التاريخ القديم والوسيط.

ولا شك أنَّ الموقع الجغرافي لكل من مصر وبلاد الشام هو الذى حتم عليها هذا التعاون والالتقاء إلى أبعد مدى [١١٧]. ويذكر المؤرخ كايتانى leone Caetani أن ثروة مصر الطبيعية العظيمة حتمت عليها منذ القدم ألا تعيش في عزلة عن بقية العالم، ولذلك ارتبط مصيرها السياسي دائما بمصير الامبراطوريات والأمم التى تسيطر على البحر المتوسط خاصة على سوريا وفلسطين [١١٨].

وبالإضافة إلى هذه العوامل هناك عامل اقتصادى، فمصر كانت تمثل حقلا خصبا تتوفر فيه حاجة المسلمين من الماء والغلال. والواقع أن العرب كانوا على علم تام فيه بعظم ثروة مصر وأهمية موقعها الجغرافى ، فقد اختلف إليها في العصر الجاهلى عدد كبير من العرب للتجارة نذكر منهم عمرو بن العاص [١١٩]، وعثمان بن عفان [١٢٠]، والمغيرة بن شعبة [١٢١]. ويذكر الواقدى أن العديد من القبائل العربية كانت تقيم في العديد من مدن الحدود الشرقية لمصر في الجاهلية وحتى دخول المسلمين مصر [١٢٢]، وكانت هذه القبائل التى يطلق عليها الواقدى " أقوام من العرب المختلطة " [١٢٣]، قد هاجرت في الجاهلية البعيدة من بلاد العرب ودخلت جنوب فلسطين ثم تسربت إلى شبه جزيرة سيناء، ثم إقليم الشرقية ومنها

قبائل راشدة ولخم [١٢٤] ، وقضاعة [١٢٥]، وغيرها من القبائل التى انتشرت أيضا من الصحراء الشرقية حتى صعيد مصر [١٢٦]، ولابد أن كثيرا من الأعراب والتجار العرب كانوا يفدون إلى الصعيد بطريق البحر الأحمر ووديان الصحراء الشرقية حتى أن المؤرخ الجغرافي سترابون قال عن مدينة قفط koptos في الصعيد أنها مدينة نصف عربية [١٢٧]، ويؤكد ذلك أيضا ماذكرته المصادر من أن العديد من بطون قضاعة مثل بلى كانت تنزل في سيناء وأن أراضيهم أمتدت إلى برزخ السويس [١٢٨]، وليس ببعيد أن جماعة منهم قد تجاوزوا إلى الصحراء الشرقية ، ولا ندرى أى قبائل من العرب عناهم سترابون (٦٦ق.م-٢٤م) وبلنيوس (حوالى ٧٠م) وهما مؤرخان يونانيان عاشا في أوائل العصر المسيحى ، حيث ذكرا أن العرب تكاثروا في أيامهما بالعدوة الغربية من البحر الأحمر ،حتى شغلوا ما بينه وبين النيل في أعلى الصعيد ، وأصبح نصف سكان قفط منهم – كما ذكرنا آنفا – وكان لهم جمال ينقلون عليها التجارة والناس بين البحر الأحمر والنيل[١٢٩].

ويلاحظ أن مصر شرقها وجنوبها كانت غاصة بالقبائل العربية، وخشية أن يطول البحث عما هو مقدر له لاستفضنا في ذكر أهم القبائل العربية الأخرى التى أقامت في مصر[١٣٠]، ولكننا نضرب بعض الأمثلة لنوضح أن صلة العرب بمصر لم تكن وليدة الفتح الإسلامى لها، وأن هجرات العرب إلى مصر كانت من أقدم العصور فى الجاهلية البعيدة ، وأن الهجرة إلى مصر كانت أمرا ميسورا في خلال تلك العصور وقبيل ظهور الإسلام ، وذلك لوجود قنطرة ثابتة مفتوحة للعبور منذ القدم وهى شبه جزيرة سيناء ، وفى هذا الصدد كانت بعض الموجات العربية النازحة إلى مصر لا تتجاوز منطقة الوجه البحرى أو جزءا منها ، وبعضها الآخر كان يتوغل إلى أن يصل إلى صعيد مصر الأعلى ، فلم يكن أثر العرب مقصورا على جهة معينة من مصر ،

ويمكن القول استنادا إلى المصادر وعلى رأسها كتاب البيان والإعــراب ، أن مصر قد تعربت فعليا قبل الفتح الإسلامى لها ، ويلاحظ أن الموجات العربية المهاجرة إلى مصر في الجاهلية الأولى أو في الجاهلية الثانية وقبيــل الفــتح الإسلامى ، أشبه ما تكون بالجاليات ، لأنها عاشت حينئذ في كنف حكومــات غير عربية ، ولأنها كانت تحمل معها ألسنة مختلفة عن اللغة الرسمية لمصر ، كما أنها كانت مفرقة الأهواء السياسية والدينية، ولا يجمع بينها منزع دينــى واحد ولا وجهة سياسية(١٣١)، وهذا يفسر لنا عبارة الواقدى أنه سكن مصــر " أقوام من العرب المختلطة ، ومن المهم جدًا أن نذكر أن هذه القبائل القاطنة في الحدود الشرقية لمصر وفي العديد من مناطق الوجه البحرى ستكون خير عون لجيوش الفتح الإسلامى لمصر وهو الأمر الذى أكده ابن عبد الحكم في أحــد مواضع كتابه عندما ذكر أن عمرو بن العاص عندما وصل إلى منطقة جبــل الحلال في الحدود الشرقية لمصر قبيل وصوله العريش " نفرت معــه قبائــل راشدة وقبائل من لخم (١٣٢)، على النحو الذى سنوضــحه مــن مكانــه بهــذه الدراسة. وقبل أن نختتم هذا العنصر الخاص بأسباب فتح مصر يضاف إلــى العوامل السابقة عاملا أكثر أهمية مما سبق ، وهو العامل الدينى إذ أن فــتح المسلمين لمصر يحقق لهم أهم هدف من أهداف الفتوح الإسلامية وهو نشــر الإسلام في بقعة جديدة من بقاع الإمبراطورية البيزنطية .

ثانيا: التخطيط لفتح مصر ومناقشة وتحليل لأهم الروايات حول ذلك :

أ- (مؤتمر الجابية عام ١٨هـ/٦٣٩م) :

اختلفت روايات المؤرخين المسلمين اختلافا بينا حول التخطيط لفتح مصــر في ذلك المجلس العسكرى الأعلى الذى عقد في الجابية في الجولان جنوبى دمشق عم ١٨هــ/٦٣٩م(١٣٣)برئاسة الخليفة عمر بن الخطاب القائــد الأعلــى لجيــوش الإسلامية وكبار القادة العسكريين في بلاد الشام ، كما تضاربت روايــات هــؤلاء

المؤرخين حول صاحب فتح مصر : إذا كان عمر بن الخطـــاب أو عمـــرو بـــن العاص ، ويمكن تقسيم المؤرخين في ذلك إلى فريقين : يرى الفريق الأول وعلـــى رأسه ابن عبد الحكم الذى يورد لنا العديد من الروايات المختلفة ، وتؤكد أن فكـــرة فتح مصر كانت من وحى عمرو بن العاص ، أو أنها كانت فكرة طارئـــة عنـــت لعمرو وحسنها للخليفة عمر بن الخطاب (١٣٤). ويؤيد هذا الرأى أحـــد المـــؤرخين المحدثين الكبار (١٣٥)، ففي الرواية الأولى يشير ابن عبد الحكم أن عمر بن الخطاب عندما قدم إلى الجابية خلا به عمرو بن العاص حيث عمل على اقناعه بضـــرورة فتح مصر وحرضه عليها قائلا " إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهـــم ، وهى أكثر البلاد أموال ، وأعجزها عن القتال والحرب (١٣٦)، ثم تمضى الروايـــة لكى ترمى الخليفة عمر بالتردد والتخوف من الدخول في مغامرة جديدة فد تنتهـــى بكارثة ،وأنه كان كارها لغزوها إشفاقا على المسلمين ، فلم يزل عمرو يعظم أمرها ويهون عليه فتحها حتى اضطر الخليفة إلى الاستجابة إليه أمام إلحاحه الشديد ، فعقد له أربعة آلاف رجل من قبيلة عك ، وقيل ثلاثة آلاف وخمســـمائة ،واتفـــق معـــه الخليفة على أن يشرع في السير ، ثم يرسل إليه عمر كتابا برأيه النهـــائى ، فـــإذا وصله الكتاب يأمره بالقفول عن مصر قبل أن يدخلها فعليه أن يرجع ، أما إذا كان قد دخلها قبل أن يصله كتاب الخليفة فليمض في خطته ، فسار عمرو بجيشه فـــي جوف الليل ولم يشعر به أحد من الناس ، ويبدو أن عمر بن الخطاب عـــدل عـــن موافقه بعد أن استخار الله (١٣٧)، فكتب إلى عمرو على الفـــور يـــأمره بـــالقفول ، وأدرك الكتاب عمرا وهو برفح ، فخاف عمرو إن هو أخذ الكتاب وفتحه وجد مـــا يدعوه إلى العودة ، فلم يأخذه من الرسول ودافعه وواصل سيره حتى دخل حـــدود مصر ، ونزل بقرية فيما بين رفح والعريش ، فأمر بالكتاب فقرأه على المسلمين ، فقال عمرو : ألستم تعلمون أن هذه القرية من مصر ؟ قالوا: بلى ، قال : فإن أمير المؤمنين عهد وأمرنى إن لحقنى كتابه ولم أدخل أرض مصـــر أن أرجـــع ، ولـــم

يلحقني كتابه حتى أرض مصر فسيروا وأمضوا على بركة الله [١٣٨]. ويؤيد هذه الرواية العديد من المؤرخين القدمي أمثال الكندى[١٣٩]، وابن زولاق[١٤٠]، وأبو المحاسن[١٤١]، والمقريزى[١٤٢]، والحميرى[١٤٣]، وفي رواية ثانية يزعم ابن عبد الحكم أن عمرو بن العاص سار إلى مصر سرا على رأس جيش صغير دون استئذان الخليفة، ثم كتب إلى الخليفة يستأذنه وهو في طريقه إلى مصر، وجاء رد عمر وهو دون حدود مصر، فقرأه فإذا فيه : من عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص . أما بعد، فإنه بلغنى أنك سرت ومن معك إلى مصر، وبها جموع الروم، وإنما معك نفر يسير،ولعمرى لو كان ثكل أمك ما تقدمت، فإذا جاءك كتابى هذا فإن لم تكن بلغت مصر فارجع . فقال عمرو: الحكم لله، أية أرض هذه ؟ قالوا من مصر [١٤٤]، فتقدم إلى الفرما، وبها جموع الروم، فقاتلهم فهزمهم [١٤٥]، ويؤيد هذه الرواية البلاذرى[١٤٦]، والكندى[١٤٧]، والمقريزى [١٤٨]

وفي رواية ثالثة يزعم ابن عبد الحكم أن عمرو بن العاص، أثناء وجوده في قيسارية ،أرسل سرا إلى الخليفة عمر وهو بالجابية يستأذن منه في فتح مصر ،ثم خرج في سرعة مع أصحابه الذين ترددوا بعض الشيء " فتنحوا كالقوم الذين يريدون أن يتنحوا من منزل إلى منزل قريب، ثم سار بهم ليلا، فلما فقده أمراء الجند استنكروا الذى فعل، ورأوا أن عمرو بن العاص قد غرر بهم ،فرفعوا ذلك إلى الخليفة عمر بن الخطاب، فكتب إلى عمرو يوبخه قائلا : " إلى العاص بن العاص أما بعد، فإنك قد غررت بمن معك ،فإن أدركك كتابى ولم تدخل مصر، فارجع ،وإن أدركك وقد دخلت فامض وأعلم أنى ممدك" [١٤٩].

وعلى هذا النحو أكدت هذه الروايات بما لا يدع مجال للشك أن فكرة فتح مصر كانت فكرة عمرو بن العاص وحده دون بقية القادة الآخرين وأنه كان أكثر تحمسا لهذا المشروع وأشدهم حرصا على إتمامه لما كان يعرفه عن مصر من رخاء وثراء وضعف عن الدفاع عن نفسها، وأن فكرة الفتح إنما أثيرت لأول مرة

في مؤتمر الجابية عام ١٧هـ أو ١٨هـ / ٦٣٨ م أو ٦٣٩م، ويؤيد وجهة النظر تلك بعض المؤرخين المحدثين [١٥٠]، وعلى رأسهم الفريد بتلر[١٥١]، والذى يؤكده اعتمادا على المصادر الإسلامية مثل معجم البلدان لياقوت الحموى [١٥٢]، أن عمرو ابن العاص كان قد أفضى برأيه إلى عمر بن الخطاب في فتح مصر منذ كانا في بيت المقدس ، ولكن الخليفة رأى أن وقت ذلك لم يحن بعد ، فلما ظهر العرب في بلاد الشام وانتهت الحرب أو كادت، عاد عمرو إلى عرض رأيه ، وجعل يبين للخليفة ما كانت عليه مصر من الغنى ، وما كان عليه فتحها من السهولة ، وأنه ليس في البلاد ما هو أقل منها قوة ، ولا أعظم منها غنى وثروة[١٥٣].

أما الفريق الثانى من المؤرخين وعلى رأسهم الواقدى[١٥٤] وابن عبد الحكم نفسه[١٥٥]، فينسب فكرة فتح مصر إلى الخليفة عمر بن الخطاب وليس عمرو بن العاص . ففي حين يرى بعض المؤرخين من هذا الفريق ، أن هذه الفكرة قد واتت عمر بن الخطاب وهو ما يزال في المراحل الأخيرة من فتح بلاد الشام ، وبالتحديد عند فتح عمرو العاص قيسارية حيث أصدر إليه الخليفة أمرا عن طريق القائد العام للجيوش الإسلامية في بلاد الشام أبى عبيدة بن الجراح بأن يسير عمر بن الخطاب إلى مصر بأمر من عمر بن الخطاب[١٥٦] ويذكر الواقدى في موضع آخر من كتابه أن ذلك الأمر قد تأكد في ذلك الكتاب الذى أرسله عمر بن الخطاب مع رسول يسمى عرفجة بن مازن إلى أبي عبيدة بن الجراح ،والذى يقول له في نهايته " وإذا قرأت كتابى هذا فأمر عمرو بن العاص أن يتوجه على مصر بعسكره ويقدمهم عامر بن ربيعة ومشايخ من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يفضى بهم عند مشورته [١٥٧]، وأن أبا عبيدة بن الجراح بعد أن قرأ الكتاب على قادته وجنوده وآخرهم خالد بن الوليد ، أنفذه إلى عمرو بن العاص يحثه على المسير إلى أرض مصر ، فلما وصل الكتاب إلى عمرو أخذ على نفسه المسير إلى مصر ، وسار معه يزيد بن أبى سفيان ، وعامر بن ربيعة العامرى ، وجماعة من الصحابة ، وسار

معه رجل أسلم من الروم يسمى يوقنا في أربعة آلاف من أصحابه(١٥٨) . أما بقية المؤرخين الاخرين من هذا الفريق ، ومنهم ابن عبد الحكم فيذكر أن عمر بن الخطاب قد فكر في فتح مصر بعد انتهاء فتوحات الشام بأكملها، وبالتحديد بعد فتح بيت المقدس ، وأرسل إليه عمر خطابا يحمله رسول يسمى شريك بن عبدة(١٥٩)آمرا إياه " أن أندب الناس إلى المسير معك إلى مصر ، فمن خف معك فسر به. فندبهم عمرو ، فأسرعوا إلى الخروج مع عمرو" (١٦٠) ويؤيده فى هذا الجزء من الرواية بقية المؤرخين (١٦١) ؛ لأننا نجد بعد ذلك ابن عبد الحكم قد استكمل هذه الرواية حيث يشير ويؤكد بل ويصر للمرة الثانية على تردد عمر بن الخطاب وندمه على أنه أمر عمرو بن العاص بالخروج إلى مصر ، خاصة بعد أن استشار عثمان بن عفان ، فحذره عثمان من مغبة هذه الخطوة ، وما يترتب عليها من مخاطر، وذكر له بأن عمرو بن العاص فيه جرأة وتهور، وأنه سيعرض المسلمين إلى الهلاك من أجل تحقيق طموحات خاصة لا يدرى مدى نجاحها أو فشلها ، فندم عمر بن الخطاب على كتابه إلى عمرو إشفاقا مما قاله عثمان ، فكتب إليه إن أدركك كتابى قبل أن تدخل مصر ، فارجع إلى موضعك ،وإن كنت دخلت فامض لوجهك(١٦٢).

وعلى هذا النحو أجمعت تلك الروايات على أن فكرة فتح مصر كانت بمشورة وأمر من عمر بن الخطاب. ويلاحظ أنه قبل أن نتعرض بالتحليل والنقد لتلك الروايات السابقة نود أن نشير إلى أن المؤرخ ابن الأثير قد أتى برواية حول هذا الأمر اتسمت بالغموض، فلم تحدد بوضوح من صاحب فكرة فتح مصر، فتقول الرواية " فإنه لما فتح عمر بيت المقدس وأقام به أياما، وأمضى عمرو بن العاص إلى مصر، واتبعه الزبير بن العوام مددا له"(١٦٣).

وفي قراءة جديدة ومتأنية ومتعمقة لنصوص المصادر الإسلامية السابقة، فيلاحظ أن هذه المصادر لم تحسم موضوع صاحب فكرة فتح مصر، كما أن

المؤرخين المحدثين لم يحاولوا حسم هذا الموضوع أيضا؛ لأن معظمهم اتخذ جانب الفريق الأول من المؤرخين الذي يؤكد على أن عمرو بن العاص صاحب فكرة فتح مصر وليس الخليفة عمر بن الخطاب (١٦٤)، وانساق بعضهم وعلى رأسهم الفريد بتلر وراء روايات ابن عبد الحكم التى اتهمت الخليفة الراشد الثانى بالتردد ثم بالندم على أنه سير عمرو بن العاص إلى مصر، واعتبروها حقيقة لا شك فيها، وأن عمر أرسل وراء عمرو يأمره بالرجوع إذا كان ذلك مستطاعا بغير ضرر لاسم العرب(١٦٥) ويلاحظ أن هذا الفريق من المؤرخين المحدثين لم يحاول حتى أن يتعرض بالنقد و التحليل لروايات الفريق الثانى من المؤرخين التى تشير إلى أن فكرة الفتح كانت بمشورة عمر بن الخطاب بل ضربوا عنها صفحا، بل ويرى أستاذنا الدكتور عبد العزيز سالم أن موافقة عمر بن الخطاب لعمرو بالمسير لفتح مصر كانت مشروطة حتى يترك لنفسه فرصة استخارة الله والتفكير في الأمر، وقد يكون قد اتفق مع عمرو على أن يكتب إليه بما استقر عليه رأيه أثناء المسير لفتح مصر (١٦٦)، وهذا اتهام وتأكيد بمدى تردد الخليفة الراشد الثانى.

ويعارض فريق من المؤرخين المحدثين روايات الفريق الأول وعلى رأسها روايات ابن عبد الحكم، ويرى أن هذه الروايات، وأمثالها التى ينسجها مؤرخو العرب، ربما يقصد منها أن يضعوا هالة من العظمة فوق عظمة الفتوحات خاصة على القائد الشهير عمرو بن العاص، وأنه لا يعقل أبدا أن فتح مصر بهذه السهولة وبهذا الاستخفاف، ولا يعقل أن يسير عمرو إلى مصر سرا بدون استئذان خليفة كعمر بن الخطاب (١٦٧)، بل إن أحد المؤرخين المحدثين ينحى باللائمة على ابن عبد الحكم ويعتقد أنه تجنى على الحقيقة والتاريخ، وأنه ينسب الفضل إلى رجل واحد ، ويظهر خليفة المسلمين بمظهر الرجل المتردد في أغلب الأمور على أساس أن ابن عبد الحكم في روايته تأثر بالأحداث التى ظهرت في العصر الأموى وكان هدفها إبراز عمرو بن العاص ليجعلوا منه فاتحًا عظيما أمثال خالد بن الوليد وغيره

من الفاتحين ، مع ما عرف عن العصر الأموى من تجن على خلفـاء المسـلمين وخصوصا الراشدين ، وأنه إذا كان بعض الكتاب أو المؤرخين المحدثين يقولـون بذلك ، فهم يتبنون وجهة نظر ابن عبد الحكم دون فحص أو تمحيص (١٦٨).

والواقع أننا لا نقبل روايات مؤرخي الفريق الأول الذى ينسب فكـرة فـتح مصر إلى عمرو بن العاص وحده دون الخليفة عمر بن الخطاب وعلـى رأسـها روايات ابن عبد الحكم الذى اشتهر في روايات بأنه مجرد ناقل لها عن سابقيه دون فحص أو تمحيص ، خاصة وأن نظرية نقد الرواية التاريخية مدى ملائمتها للحقائق التاريخية أمرًا لا يعرفه ابن عبد الحكم ، كما لم يعرفه معاصروه مـن مـؤرخى القرن الثالث الهجرى باستثناء المؤرخ الواقدى الذى يمكن الاعتداد برواياته فيمـا يتعلق بفتح مصر. كما أننا لا نقبل وجهات نظر المؤرخين المحدثين وعلى رأسهم بتلر، الذين أيدوا روايات ابن عبد الحكم في نسبة فكرة فتح مصر إلى عمرو بـن العاص دون أن يحاولوا تحرى الدقة أو الصدق فى رواياته أو روايات معاصريه ، أو من جاء بعده ، وذلك بمقارنتها بروايات الفريق الثانى من المؤرخين الذى يشير إلى أن صاحب فكرة الفتح هو الخليفة عمر بن الخطاب ، فليس مـن المعقـول أن يكون فتح مصر بهذه السهولة وهذا الاستخفاف بأوامر الخليفة عمـر مـن جانـب عمرو ، ولا يعقل أن يسير عمرو إلى مصر سرا بدون اسـتئذان الخليفـة القائـد الأعلى للقوات الإسلامية ، كما أننا نرفض اتهامات ابن عبد الحكم للخليفة عمر بن الخطاب بالتردد في اتخاذ القرارات، أو الندم عليها ، أو أنه ليس بحازم مع قـواده؛ لأنه بذلك يجافى الحقيقة الخاصة بشخصية وأخلاق وصفات ثانى الخلفاء الراشدين المشهور بحزمه واتخاذ قراراته بعد تفكير عميق دون تردد خاصـة فـي ميـدان الحرب والقتال؛ لأنه لم يكن يترك لقادة المسلمين شـاردة ولا واردة إلا تدارسـها معهم ؛ لأن القيادة العليا للمسلمين المتمثلة في الخليفة عمر كانـت حريصـة كـل الحرص على سلامة أرواح جنودها ، فلم تكن تقدم على أية عمل حربـى إلا بعـد

دراسة شاملة لجميع احتمالات النصر أو الهزيمة حفاظا على أرواح المسلمين وتأكد هذا الأمر في مؤتمر الجابية ، وفي المراسلات بين الخليفة عمر وقائده عمرو بن العاص أثناء العمليات العسكرية لفتح مصر ، وذلك على النحو الذى أكده الواقدى والذى يأمر فيها عمر القائد عمرو "بأخذ الاحتياطات والحذر من العدو حفاظا على أرواح المسلمين ولا يترك أي شيء للصدفة (١٦٩)" وهو النص الهام الذى يدحض كل روايات ابن عبد الحكم ومن معه من المؤرخين القدامى والمحدثين وعلى رأسهم بتلر.

وحتى لو سلمنا جدلا بصدق روايات ابن عبد الحكم وغيره من المؤرخين القدامى الخاصة بتردد الخليفة عمر إزاء إلحاح عمرو بن العاص بل وانصرافه عن الاستجابة لرغبته، فقد كان هذا التردد أمرا طبيعيا، لأن المسئولية تقع في آخر الأمر على عاتق الخليفة ولخوفه من فتح جبهة جديدة في وقت كانت جيوش العرب موزعة في جبهات متعددة وهو الأمر الذى أكده أستاذنا الدكتور عبد العزيز سالم(١٧٠). وربما كان هذا التردد من قبل الخليفة من باب خديعة الروم، وإخفاء الأهداف الحقيقة من مسيره قوات ابن العاص نحو مصر، وقد يكون عمر بن الخطاب رغم اقتناعه بضرورة فتح مصر أراد أن يتريث قليلا، حتى يتيح لجيوشه في الشام وقتا للراحة من عناء الحرب ولذلك تردد قبل السماح لعمرو بالمسير، وبذلك لا يمكن أن نتقبل بسهولة أن عملا ضخما كهذا يتم دون اقتناع تام من الخليفة أو دون دراسة موضوعية، ولا شك أن الخليفة عمر بن الخطاب كان على علم تام بمقصد عمرو بن العاص، عندما خرج من الشام سنة ١٨هـ/٦٣٩م متجها نحو مصر، خاصة وأن الخليفة نفسه كان يدرك أن فتح مصر ضرورة استراتيجية للمسلمين، بعد أن انتزعوا بلاد الشام من أيدى بيزنطة.

كما أننا لا نتفق مع الروايات التى قالت بأن فكرة فتح مصر كانت فكرة عمر ابن الخطاب وحده دون عمرو بن العاص وبقية القادة المسلمين، فإن نفس هذه الروايات تؤكد أن عمر بن الخطاب قد عرض هذه الفكرة وتدارسها مع بقية القادة

والجند في بلاد الشام ، وتمثل ذلك في تلك الرسالة الهامة - التى سبق وأن ذكرناها- [١٧١] التى وجهها عمر إلى القائد العام للجيوش الإسلامية في بلاد الشام (أبو عبيدة بن الجراح) ، يخبره بأن يأمر عمرو بن العاص بالسير إلى مصر لفتحها[١٧٢]، وذلك بعد استطلاع آراء القادة الآخرين ، وبالفعل نفذ أبو عبيدة توصيات الخليفة عمر " فلما قرأه جمع المسلمين وقرأه عليهم ، ومن الغد أتى خالد بن الوليد من طرابلس ، فقرأ عليه الكتاب ، وأنفذ إلى عمرو بن العاص يحثه على المسير إلى أرض مصر[١٧٣]، وهذه النصوص تؤكد أن عمر بن الخطاب لم يكن ينفرد برأى ، بل كان يتدارسه بعناية كاملة مع القادة المسلمين . وهذه النصوص من جانب الواقدى تدحض الرأى الذى ذهب إليه ابن عبد لحكم ومن نقل عنه من المؤرخين مثل أبو المحاسن عندما أشار إلى أن عمرو بن العاص قد فاتح الخليفة وحده - دون علم بقية القادة المسلمين - في فتح مصر " فلما كانت سنة ثمانى عشرة قدم عمر إلى الجابية خلا به عمرو بن العاص فاستأذنه في المسير إلى مصر " [١٧٤].

وعلى الرغم من أن البعض يرى أن فتح مصر لم يرجع الفضل فيه إلى عمرو بن العاص ولا عمر بن الخطاب وحدهما، وإنما كان أمرا تدارسه القادة المسلمون بعناية كاملة، ووضعوا له الخطط والضمانات الكفيلة بنجاحه [١٧٥]، إلا أننا نميل إلى الجمع أو التوفيق بين آراء أو روايات فريقي المؤرخين القدامى حول فتح مصر بأنها كانت فكرة كل من عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص معا في محاولة لحسم هذه القضية ، وكان لكل منهم أسبابه أو مبرراته في التفكير لفتح مصر ، وإن كنا نعترف بأن عمرو بن العاص كان أسبق زمنيا من الخليفة عمر بن الخطاب في التفكير في فتح مصر وذلك طبقا لروايات مؤرخى الفريق الأول وعلى رأسه ابن عبد الحكم . ولا نغالى إذا قلنا أن تفكير عمرو بن العاص في فتح مصر يرجع منذ أن كان عمرو يختلف إلى مصر في الجاهلية في مرحلة صباه

وشبابه حيث كان يتاجر هناك في الأدم والعطر، وبحكم تجارته كان عليه أن يطوف معظم أقاليم مصر وصولا إلى الإسكندرية، الذى تردد عليها كثيرا، وأصبح وجهه كتاجر مألوفا هناك لدى القبط والروم ، كما أكدت بذلك المصادر الإسلامية(١٧٦)، بحيث أصبحت مصر هى حلم صبا وشباب عمرو بن العاص مثلما كانت بلاد الشام هو حلم صبا وشباب عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، ووقعت مصر في قلبه ومشاعره موقعا حسنا ، بل أصبحت مصر هى حبة قلب عمرو بن العاص ،ولكن كان عمرو يدرك أن ظروف العرب السياسية في الجاهلية – قبل ظهور الإسلام – لم تكن متاحة أو مهيئة لتحقيق حلم صباه وشبابه في امتلاك مصر ،ولكن مثل هذا الحلم ينبأ عن مدى طموحات عمرو بن العاص السياسية ، والتى بدأت تتضح مع اعتناقه الإسلام في صلح الحديبية ، ثم بعد أن أصبح أحد القادة الكبار العاملين تحت إمرة أبو عبيدة ابن الجراح في فتح بلاد الشام، حيث بدأ يرى أن الظروف والأحوال السياسية أصبحت مهيأة أو متاحة لتحقيق حلمه الكبير في فتح مصر، ولكنه كان يفكر في اللحظة المناسبة التى يفاتح فيها الخليفة عمر بن الخطاب في هذا الأمر .

ويؤكد رأينا فيما يخص الطموح السياسى والقوى لدى عمرو بن العاص ليس فقط في فتح مصر، ولكن أيضا في حكمها هو وأعقابه، مما أكدته المصادر الإسلامية فيما بعد عندما ذكرت العديد من الأقوال التى جاءت على لسان عمرو بن العاص ومنها " أن ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة "(١٧٧). ويؤكد على ذلك ما ذكرته الروايات فيما بعد أنه أثناء النزاع بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان على الخلافة ، حيث عرض عمرو بن العاص على معاوية الوقوف بجانبه في مواجهة على بن أبى طالب وذلك مقابل أن يعطيه معاوية مصر " طعمة له " فوافق معاوية على أن يعطى أهلها عطاءهم وما بقي فله " (١٧٨) وبالفعل عندما استتب الأمر لمعاوية وأقام الدولة الأموية على أنقاض دولة الخلافة الراشدة ، جعل

مصر طُعمة لعمرو بن العاص بعد عطاء جندها ، والنفقة على مصلحتها لمدة سبع سنين [١٧٩] ، كما يؤكد وجهة نظرنا حول الطموح السياسى القوى لعمرو بن العاص في مصر، أنه بعد نجاح عمرو في استعادة الإسكندرية من أيدى الروم فيما يعرف بفتح الإسكندرية الثانى والأخير أثناء خلافة عثمان بن عفان ، فـأراد عثمـان أن يجعل مصر مناصفة بينه وبين عبد الله بن سعد أبى سرح على أسـاس أن يجعـل عمرو على الحرب وعبد الله بن أبي سرح على الخراج ،فأبى عمرو بشـدة إلا أن تكون مصر بأكملها له ، كما كان الأمر من قبل في ولايته الأولى ، وعبر عن ذلك في بيان جزل عندما قال " أنا كماسك قرنى بقرة والأمير يحلبها"[١٨٠]، (أى عبد الله بن أبى سرح) ، فما كان من الخليفة عثمان إلا أن جعل ولاية مصر كاملة لعبد الله بن أبى سرح دون عمرو[١٨١].

وعلى هذا النحو كانت طموحات عمرو السياسية في مصر، وهذا يفسر أنـه انتهز اللحظة المناسبة، بعد انتهاء فتوحات الشام فطرح الفكرة على الخليفة عمـر مرتين: الأولى منذ أن كان في بيت المقدس مع الخليفة عمر بعد فتحهـا ، ولكـن الخليفة رأى أن وقت الفتح لم يحن بعد [١٨٢]. أما المرة الثانية فقـد جـاءت بعـد انتصار المسلمين في بلاد الشام وانتهت العمليات العسكرية هناك أو كادت، فسـار الخليفة إلى دمشق، فأعاد عمرو عرض الفكرة، وذلك أثناء انعقاد المجلس العسكرى الأعلى في الجابية، واستعرض القادة خطة الفتح التى أقرها عمر مع كبار قـواده، وكان عمرو بن العاص عالما تماما بأحوال مصر السياسية والاقتصادية العسكرية باعتباره قائدا وسياسيا بعيد النظر، وكان على ثقة تامة من ذلك، كما أنه كان يعتقد أن أقباط مصر على الأقل سيقفون موقفا حياديا في الصراع بين المسـلمين وبـين الروم أثناء عملية الفتح، ولكن فيما بعد سيثبت أن اعتقاد عمرو بن العاص حـول موقف الأقباط الحيادى أثناء الفتح غير صحيح ، كما سنوضحه في حينه. وبـذلك أدرك عمرو ضرورة فتح مصر من الوجهة العسكرية، وما يزال يلح على الخليفة،

والخليفة منصرف عن الاستجابة إلى أن انثنى أمام إلحاحه الشديد وأذن لـــه، كمـــا أكدت بذلك رواية ابن عبد الحكم [١٨٣].

والواقع أن هذا الطموح السياسى لعمرو بن العاص الذى كان يعد أحد كبـــار دهاة العرب، ليس بمستغرب عنه؛ لأنه عندما وجد اللحظة المناسبة لطرح فكرة فتح مصر على الخليفة عمر وجد القبول لديه لأن الخليفة فكر في نفس الأمر أثناء فتح الشام – كما سنوضح بعد قليل – لتلتقي أفكار الخليفة وأحد قادته، ربما كان الـــدافع أيضا وراء تفكير عمرو ، بعد انتهاء العمليات العسكرية في بلاد الشام ، أنه كـــان يعمل على الحصول على ميدان جديد يظهر فيه نشاطه العســكرى ويحقـــق فيـــه طموحاته السياسية ، خاصة بعد أن ساءه أن آلت ولاية الشام إلى معاوية بن أبى سفيان ، بعد وفاة أخيه يزيد ، فأحب أن يكون فتح مصر من نصيبه .ويؤكد وجهة نظرنا تلك ما ذكره بعض المؤرخين ومنهم ابن عبد الحكم نفسه من أن عثمان بـــن عفان نصح عمر بن الخطاب – عندما استشاره فى فكرة فتح مصر ومسير عمرو إليها فقال له:" إن عمراً لمجرأ وفيه إقدام وحب للإمارة، فأخشى أن يخرج فى غير ثقـــة ولا جماعة ، فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لا يدرى تكون أم لا" [١٨٤]. وبـــذلك أكدت هذه الروايات أيضا أن عمرو بن العاص هو الذى سبق إلى إبداء وجهـــة نظـــره حول فتح مصر ، أو أنه سعى ليكون قائد الحملة عليها لعلمه التام بأحوالها لكثرة تـــردده عليها قبل الإسلام .

أما فيما يتعلق بعمر بن الخطاب فقد اختلفت الروايات حول الوقت الذى فكر فيه الخليفة الراشد الثانى فى فتح مصر، فبعض المؤرخين يرى أنه قرر ذلك بعـــد انتهاء فتح الشام بأكمله وعودته إلى دمشق لتدارس بعض الأمور العسكرية الخاصة بجيوش الفتح [١٨٥]، وفى حين انفرد الواقدى برواية مؤداها أن عمر بن الخطاب قد فكر فى فتح مصر والجيوش الإسلامية لم تنته بعد من فتح بلاد الشام ، بل إنه فكر فى ذلك وعمرو بن العاص ما يزال بعد يحاصر مدينة قيسارية [١٨٦] .

ونحن نميل إلى رواية الواقدى التى تؤكد أن عمر بن الخطاب قد فكر في مرحلة مبكرة من الفتح الإسلامي للشام بضرورة فتح مصر كضرورة استراتيجية بعد استكمال فتح بلاد الشام وفلسطين وذلك لتأمين سلامة العرب هناك، خاصة أنه كان يعرف أن الروم لن يقفوا مكتوفى الأيدي أمام هزائمهم المتتالية، وأمام تقليص نفوذهم فى بلاد الشام على أيدي المسلمين ، ولهذا كان يدرك أن بقاء مصر في أيدي الروم يمثل اكبر خطر على الفتوح الإسلامية هناك، ولا يبعد أن يرسل الروم حملة ضخمة برية وبحرية من مصر لاستعادة ملكهم الضائع فى بلاد الشام . وربما هو الذى أدرك كقائد كبير وسياسى له فكر استراتيجي عميق أنه لابد أيضا من تأمين المدينة المنورة، عاصمة الخلافة، وذلك لقربها من الشواطىء المصرية، ولم يستبعد إمكانية أن يرسل الروم حملة بحرية خلال بحر القلزم (البحر الأحمر)، أو حتى عبر البحر المتوسط (بحر الروم)، وتنتقم لما حل بممتلكاتها فى بلاد الشام، وترد الاعتبار إلى الإمبراطورية البيزنطية.

والمؤكد فيه أن كل هذه الأمور كانت تدور فى رأس الخليفة عمر، ولكنه كان ينتظر اللحظة المناسبة التى يفاتح فيها قادته بمثل هذه الأمور، وكانت اللحظة المناسبة بعد تثبيت المسلمين لأقدامهم فى بلاد الشام، ولهذا أرسل هذا الكتاب إلى أبى عبيدة بن الجراح، يطلب منه عرض هذه الفكرة على بقية القادة المسلمين وأنه قد اختار عمرو بن العاص بصفة خاصة ليكون على رأس تلك الحملة[١٨٧].

ويبدو أن عمر بن الخطاب كان يدرك بثاقب بصيرته، أو يعرف ما كان يدور فى رأس عمرو بن العاص فيما يتعلق برغبته الشديدة فى فتح مصر، لأنه من المرجح أن يكون عمرو بن العاص قد فاتح الخليفة فى ذلك ليس فى نهاية فتوحات الشام كما ذكرت غالبية المصادر، بل ربما فى بداية فتوحات بلاد الشام، وبذلك التقت أفكار كل من الخليفة والقائد فى فتح مصر، وإن كان هناك اختلاف حول أهداف كل منهما من وراء عملية الفتح ؛ ففى حين كان هدف عمر بن الخطاب من

فتح مصر – بجانب ما ذكرناه آنفاً – نشر الدين الإسلامي فى بقعة من أهـم بقـاع الإمبراطورية البيزنطية – وهى مصر – باعتبارها البوابة الرئيسة لفـتح شـمال أفريقية فيما بعد ، فإن من أهداف عمرو بن العاص كان تحقيق طموحاته السياسية منذ أن كان شاباً ثم أحد القادة الفاتحين فى فتح وامتلاك مصر، ولذلك كان اختيـار الخليفة لعمرو بن العاص كقائد للحملة يدل على حسن التفكير والتدبير من الخليفـة عمر، فبجانب أن عمرًا زار مصر كثيراً فى الجاهلية وكان ملماً بأحوالها ومتتبعـاً لأخبارها أظهر خبرة كبيرة فى الحرب والقتال ضد الروم فى بلاد الشام ، وفى فهم تكتيكات الروم العسكرية فى قتال وحصار المدن أو الحصون الساحلية ، وكانـت أقوى القلاع والحصون فى مصر تقع إما على نهر النيل أو على سـواحل البحـر المتوسط ، كما سنوضح فى حينه . كما أن اختيار عمرو بن العاص إنما يدل على أن خطة فتح مصر وضعت فى أيدي أمينة كانت على دراية تامة بأهدافها الحقيقية.

ويضاف إلى ذلك أن كلاً من عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص، بعـد اتفاقهمـا على فتح مصر مع بقية القادة العسكريين، اتخذوا من الضمانات ما يكفل لهم النجاح فى فتح مصر، من ذلك ما أشار إليه المؤرخ بتلر إذ ذكر أن المسلمين وهم فى بلاد الشام بدأوا يعدون العدة فعلاً لشن حملة كبيرة على مصر، وذلك بما يمكن أن نسميه بالحرب النفسية التى تسبق عادة الحملات العسكرية، فأشـاعوا أنهـم قـادمون لا محالة، ويبعثون لاستطلاع أحوال البلاد المصرية، بل ويعملون على إيجاد أنصار أو عيون لهم من الأقباط المصريين أنفسهم كما ذكر أو أكد على ذلك بتلر [١٨٨].كما يشير ابن دقماق أيضا إلى أن المسلمين، فيما بعد استعانوا بجماعة من الروم الذين أسلموا وقد سماهم فى كتابه[١٨٩]، كما أن عمرو بن العاص مهد لعملية الفتح بـأن أرسل كتيبة من هؤلاء الروم المسلمين لتمهد الأمور أمام الجيش الفاتح وذلك بقيادة رجل يسمى عبد الله بن يوقنا (ولعله يوحنا) ، وكان الهدف من ذلك أيضا تحسس أخبار الروم ومعرفة مدى حصانة أو مناعـة أو نقـاط الضـعف فـى دفاعـات

وتحصينات الروم على حدود مصر الشرقية على النحو الذى أكده الواقــدى[١٩٠] .
كما استخدم عمرو كذلك بعض الفرس المسلمين الذين كانوا باليمن وقت الاحــتلال الفارسى لها ثم أسلموا بعد ذلك، وكانوا على دراية كاملة بالخطة الفارسية القديمــة التى اتبعت فى فتح مصر[١٩١]. وهذا كله يؤكد أن فتح مصر لم يكن فتحاً سهلاً أو ارتجالياً ، كما حاولت غالبية المصادر أن تصوره إنما كان يســير وفقــاً لخطــة مدروسة بعناية أقرها الخليفة عمر مع كبار قواده .

ب- بداية الفتح الإسلامي لمصر (مسير عمرو إلى مصر وأهم مراحل الفتح ومناقشة وتحليل لأهم الروايات التى قيلت حول ذلك) :

فى سنة ١٨ هــ / ٦٣٩م سار عمرو بن العاص من قيسارية بفلسطين إلــى مصر على رأس جيش صغير يُقدر ما بين ثلاثة آلاف وخمسمائة إلى أربعة آلاف مقاتل[١٩٢] . ويذكر بتلر أن حجم هذه القوة كانت لا تعدو أن تكون كتيبة من جنــد الصحراء مع عظم المهمة التى خرجوا من أجلها وهو فتح مصر[١٩٣]. وفى حــين أن ابن عبد الحكم يذكر أن جند عمرو كانوا كلهم من قبيلة عك اليمنية[١٩٤]،ويــذكر الكندى أن ثلثهم كانوا من قبيلة غافق[١٩٥] (أحد قبائل الأزد اليمنية).

وبذلك أكدت هذه المصادر أن أغلب الجند تحت قيادة عمرو كانوا من قبائــل يمنية[١٩٦] ويبدو أنه كان هناك مغزى كبير من وراء أن القوة التى ســتبدأ عمليــة الفتح الكبرى لمصر من القبائل اليمنية خاصة قبيلتى غافق ، وعك ، لما لدى هؤلاء من خبرة ومهارة فى حصار الحصون والمدن الساحلية، كما أنهم شاركوا عمرو بن العاص فى فتح العديد من المدن الساحلية فى بلاد الشام مثل قيسارية [١٩٧] ، كمــا كانوا على دراية كاملة ببناء المدن وتخطيطها ، وإلمام بالزراعة ، ولذلك كانوا أقدر العناصر على تفهم أمور إقليم مثل مصر ومعالجة شؤونها [١٩٨] . وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على عمق النظرة الاستراتيجية العميقة لدى كل من الخليفة عمر بن الخطاب وقائده عمرو بن العاص، كما يدل أيضا على سلامة تفكير عمرو بصــفة

خاصة، كقائد عربى محنك. ويبدو أن هذه هى السياسة التى اتبعها المسلمون فيما بعد عند فتحهم بلاد المغرب والأندلس، عندما أرسل موسى بن نصير الطالعة الإسلامية لفتح أسبانيا بقيادة طارق بن زياد على رأس سبعة آلاف رجل من البربر ومعهم قلة ضئيلة للغاية من العرب عام ٩١هـ/٧١١م، على أساس أن البربر كانوا يختلفون كثيرا إلى أسبانيا – قبل الفتح الإسلامي للمغرب نفسه، ثم قبيل فتح أسبانيا،

وكانوا يعرفون جيداً الدروب والطرق والمسالك المؤدية إلى القرى والمدن الكبرى فى الأندلس (١٩٩). ويذكر بتلر أن غالبية جند عمرو بن العاص كانت تربطهم به روابط النسب والولاء (٢٠٠). ويذكر ابن دقماق أنه كان من جيش عمرو جماعة ممن أسلموا من الروم وقد سماهم فى كتابه (٢٠١)، كما ذكر أيضا أنه كان مع الجيش جماعة ممن أسلموا من الفرس الذين كانوا يحتلون اليمن زمن البعثة النبوية، وأنهم أسلموا بعد ظهور النبى صلى الله عليه وسلم، واشترك بعض هؤلاء الجند فى جيش عمرو (٢٠٢)، ويذكر بتلر أن هؤلاء الفرس المسلمين ربما جاءوا مع الإمدادات التى بعث بها الخليفة عمر إلى عمرو بن العاص أثناء حصار حصن بابليون(٢٠٣). ويلاحظ أنه على الرغم من أن عمرو بن العاص قد حاول أن يحيط تحركاته نحو مصر بمزيد من الكتمان والسرية لدرجة أنه فضل أن يسير فى جوف الليل كى لا يشعر به أحد من الروم أو الأقباط(٢٠٤)، وعلى الرغم من أن بعض المصادر تذكر أن الروم والقبط وعلى رأسهم المقوقس بن راعيل، لم يكن لديهم أي علم من مسير جيش عمرو بن العاص أو بداية تحركاته على حدود مصر الشرقية (٢٠٥) – حتى بلغ الموضع الذى بنيت عليه الفسطاط فيما بعد (٢٠٦)، بحيث توحى أن توغل عمرو بن العاص داخل مصر كان أمرًا يسيراً دون أن يجد أدنى مقاومة، إلا أن بعض المصادر الأخرى وعلى رأسها كتاب الواقدى تؤكد لنا أن أهل مصر من الروم والأقباط قد أنذروا بغزوة العرب، وسمع المقوقس بمسير هؤلاء أولى البأس عن طريق ابنته أرمانوسة – إذا سلمنا بصحة قصة هذه الابنة –

عندما أرسلت إلى أبيها تعلمه أن العرب متوجهون مع رجل يقال له عمـرو بـن العاص (٢٠٧). أو عن طريق جواسيس للمقوقس كانوا موجـودين عنـد الحـدود الشرقية لمصر (٢٠٨) . ولا ننسى هنا فرار أرطبون ، الحاكم السياسى لمدينة بيـت المقدس ، بعد سقوطها بأيدي المسلمين ، إلى مصر حيث أخبر المقوقس بـالخطر القادم من قبل المسلمين،وإن عليه إعداد العدة لمواجهة ذلك الخطر الزاحـف علـى مصر من بلاد الشام (٢٠٩) . ويجب ألا ننسى ما سبق أن ذكرناه من أن المسـلمين وهم فى بلاد الشام، كانوا يشنون على مصر ما يسمى بالحرب النفسـية ، عنـدما أشاعوا بأنهم قادمون لا محالة ويبعثون البعوث لاستطلاع أحوال البلاد المصرية . ولهذا بدأ المقوقس يتخذ سلسلة من الإجراءات الدفاعية تحسباً لأى هجوم إسلامي ، وشملت هذه الإجراءات تحصين الحصون والقلاع الموجودة بالمدن الكبرى وترميم أسوار كثير من المدن التى كانت غزوة الفرس هدمت بعضاً منها (٢١٠) . كما قـام بحفر خندق عظيم حول حصن أم دنين (٢١١)، وكذلك حول حصن بـابليون (٢١٢) . ولم يكتف المقوقس بذلك بل بدأ يجيش الجيوش ضد عمرو بن العاص ، كما يذكر ابن عبد الحكم (٢١٣) . بل ووصل الأمر إلى حد أن كـل مـن المقـوقس وابنـه اسطوليس قد أرسلا إلى ملك النوبة المسيحى المسمى جلباب وإلى مازع بن قـيس ملك قبائل البجة يستنفرونهما ويطلبون منهما العون العسـكرى ويطلبـون منهمـا إرسال جيوشهما الضخمة فى مواجهة الزحف الإسلامى على مصر علـى النحـو الذى أكده الواقدى فى روايته الفريدة (٢١٤) التى انفرد بها دون غيره من المصـادر الإسلامية. وصحيح أن ملك النوبة وزعيم قبائل البجة المسيحيين لم يستجيبا لنـداء المقوقس بسبب قيام الحروب بين الجانبين فيما بعد (٢١٥) ؛ إلا أن هـذه النصـوص توضح مدى الاستعدادات الضخمة التى اتخذها المقوقس لمواجهة الفتح الإسـلامى لمصر ، وهو الذى سيتضح فيما بعد بتلك المقاومة القاسية والقوية التـى واجههـا

العرب منذ دخولهم الفرما حتى حصارهم للإسكندرية ، ويوضح ويؤكد أن فتح مصر لم يكن بالسهولة التى حاولت بعض المصادر أن تصورها .

ويلاحظ أن المقوقس لم يكتف باستنفار كل القوى المسيحية فى مصر شمالها وجنوبها ، إذ تذكر رواية الواقدى الهامة أن المقوقس أرسل يستنجد أيضا ببقايا العرب المتنصرة حلفاء الروم فى بلاد الشام ، وكان عددهم يصل إلى أكثر من ثلاث آلاف رجل [٢١٦] ، وربما يقصد الواقدى بهؤلاء بقايا العرب الغساسنة حلفاء الدولة البيزنطية الذين كانوا يمثلون قوة حاجزة بين بلاد العرب والنفوذ البيزنطى فى بلاد الشام . ويبدو أن هؤلاء العرب المتنصرة (الغساسنة) ، بعد هزيمة الروم وسقوط الشام بأكملها فى أيدي المسلمين ، أدركوا أنهم لا مقام لهم هناك ، ففكروا فى الرحيل أو الهجرة إلى مصر – درة التاج البيزنطى فى شمال أفريقية – فى الوقت الذى وصلتهم فيه استغاثة أو دعوة المقوقس إليهم للوفود إلى مصر ، وللانضمام إلى الروم والأقباط فى مواجهة الغزو الإسلامى القادم على مصر على النحو الذى أكده الواقدى فى نصه الفريد [٢١٧] . ويبدو أن استنفار المقوقس لهؤلاء العرب المتنصرة جاء من منطلق قدرتهم فى فن الحرب والقتال ضد المسلمين ، خاصة وأنهم خاضوا العديد من المعارك ضد المسلمين فى بلاد الشام قبل فتحها على أيدى المسلمين. ويؤكد تلك الاحتياطات والاستعدادات القوية التى اتخذها المقوقس لمواجهة الزحف الإسلامى القادم على مصر ، ما ذكره الواقدى فى تلك الرواية الفريدة التى يشير فيها إلى أن المقوقس ، عندما بلغته أنباء انتصارات المسلمين المتتالية فى بلاد الشام ، والهزائم التى نزلت بجيوش هرقل ، بعث المقوقس رسله إلى جميع أطراف بلاده مما يلى الشام ، يطلب من قادتهم هناك منع أي أحد من الروم ولا غيرهم . القادمين من الشام لدخول أرض مصر لئلا يتحدثوا بما صنع المسلمون بجنود هرقل ، فيفت فى عضد قومه وجنوده [٢١٨].

وفى الوريقات المتبقية من هذه الدراسة لن نتعرض بالتفصيل للعمليات العسكرية التى قام بها جيش الفتح بقياده عمرو بن العاص خاصة وأن المصادر العديدة التى لدينا حفلت بتفاصيل ضافية عن عمليات الفتح ، ولكننا سنتعرض فى عجالة للفتح الإسلامى لبعض المدن والأقاليم الهامة فى مصر فى محاولة لحسم بعض القضايا الخاصة بالفتح الإسلامى لهذه المدن والأقاليم، ثم نعرض بعد ذلك لأهم نقاط الدراسة ألا وهى موقف الأقباط واليهود من الفتح الإسلامى لمصر . وإظهار حقيقة هذا الموقف خاصة وأن النصوص الإسلامية والمسيحية القبطية القريبة من الفترة أو المعاصرة لها قد تضاربت فيما بينها حول ذلك . كما أن الكثير من نصوص المصادر الإسلامية يكتنفها الغموض ، خاصة وأنه تيسرت لنا نصوص جديدة توضح موقف هؤلاء الأقباط واليهود وحتى موقف المرأة القبطية نفسها من الفتح الإسلامى خاصة أثناء حصار المسلمين للإسكندرية، آخر معاقل الروم فى شمالي مصر ، بالإضافة إلى مناقشة آراء المؤرخين المحدثين حول ذلك ومحاولة استخراج الحقائق شبه الكاملة من ثنايا نصوص المصادر ثم نقد وتحليل تحليل لآراء المؤرخين المحدثين حول بعض القضايا الحساسة والشائكة للفترة موضوع الدراسة .

على أية حال ففى أواخر سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م ، خرج عمرو بن العاص من قيسارية بجيشه الصغير الذى كان يتكون من الخيالة الخفيفة والسريعة الحركة [٢١٩]، متخذاً الطريق الذى سار فيه كل قادم لمصر من الشرق حتى وصل إلى العريش[٢٢٠]، التى دخلها دون مقاومة فى ١٠ ذي الحجة عام ١٨ هـ /١٢ ديسمبر ٦٣٩م وهناك قضى بها عيد الأضحى [٢٢١]. ويذكر بتلر أنه على الرغم من أن العريش كانت مدينة محصنة وذات أسوار قوية ، إلا أنها كانت خالية تماما من أية حامية بيزنطية تدافع عنها فى مواجهة أى جيش غاز [٢٢٢] . ويذكر ابن عبد الحكم أن جيش عمرو ابن العاص قبل وصوله إلى العريش عند منطقة تسمى جبل الجلال ، انضمت إليه

قوات أخرى من قبائل راشدة وقبائل لخم ، الذين كانوا فى المناطق التـــى تفصـــل فلسطين عن شبه جزيرة سيناء (٢٢٣) ، مما زاد بالتالى من حجم قواته ، وكانوا خير عون لهم أثناء عملية الفتح . ويذكر بتلر أن هذه القبائل انضمت إلى الجيش الفاتح حباً فى القتال وطمعاً فى الغنائم (٢٢٤) .

ثم تطلع علينا المصادر البيزنطية وعلى رأسها كتاب "ثيوفـــانيس" بروايـــة غريبة وتثير الدهشة مؤداها أن عمرو بن العاص لم يكمل فتحه لمصـــر ، بـــل إن المقوقس نجح فى دفع غزوة العرب لمصر وذلك مقابل جزية من المال وعدهم بها لمدة عشر سنوات وذلك بأوامر من الإمبراطور هرقل نفسه (٢٢٥) . ويلاحظ أن هذه الروايات البيزنطية الغريبة لم ترد على الإطلاق فى المصادر الإسلامية أو القبطية أو حتى السريانية . وقد تصدى لهذه الروايات الفريد بتلر أدحضها واعتبرها خطـــأ تاريخياً فاحشاً وقلبًا للحقائق التاريخية ، كما أنها أضلت كل من حققها واهتدى بها من المؤرخين المحدثين أمثال جيبونGibbon ، بيورىBury.

وسرعان ما غادر عمرو العريش غرباً سالكاً طريقاً رملياً بعيداً عن البحـــر حافلاً ببعض القرى والعيون المائية (٢٢٦)، حتى وصل إلى مدينة بلوز أو الفرما كما سماها العرب (٢٢٧)، وهى مدينة حصينة تقع شرقى بور سعيد الحالية، وكانت تعتبر مفتاح مصر من الشرق وكانت تتصل بالبحر عن طريق خليج ، كمـــا كـــان أحـــد فروع النيل وهو الفرع البلوزى يصب فى البحر قريباً منها (٢٢٨) ، وكانت الفرمـــا مدينة قديمة قوية التحصين ، بها عدد من الحصون والكنائس والأديرة(٢٢٩) . ولـــم يكن لدى جيش عمرو شىء من عدة الحصار ، وما كانوا ليستولوا على المدينة إلا بالمواجهة وفتح الأبواب ، أو بالصبر عليها إلى أن يضطر الجوع أهلها أن ينزلوا إليهم ، فحاصرها عمرو نحو من شهر قاتله الروم قتالاً شديداً (٢٣٠) ، حتى سنحت له فرصة اقتحامها عندما خرجت حاميتها لقتاله ، فتبعهم العرب وملكوا الباب قبـــل أن يغلق (٢٣١) . وهكذا فتحت الفرما بعد شهر من حصارها عام ١٩هـ/ ٦٤٠م كما

أجمعت غالبية المصادر الإسلامية .[٢٣٢] وهذه الروايات تدحض ما ذكرته إحدي المؤرخات المحدثات التى ذكرت أن عمرو بن العاص دخل مدينـــة الفرمـــا دون مقاومة تذكر [٢٣٣] .

ويزعم بعض المؤرخين وعلى رأسهم ابن عبد الحكم فى روايات ، مشكوك فى صحتها، أن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعواناً وأنهم ســـاعدوا المسلمين أثناء حصار المدينة وذلك بناء على كتاب من الأب بنيامين أو كما تسميه المصادر الإسلامية ابوبنيامين[٢٣٤] أو أبو الميامين[٢٣٥] ، بطرق الأقباط الأرثوذكس، حيث وجه إلى الأقباط فى مصر يعلمهم فيه أنه لا يكون للروم دولة وأن ملكهم قد انقطع، وأمرهم بتلقى عمرو والترحيب به[٢٣٦] .

وقد اتهم المؤرخ بتلر الروم بالتقاعس عن نجدة الفرما وأن مسؤولية سقوطها بأيدى المسلمين تقع على عانقهم دون غيرهم، وأنه كان فى مقدورهم إنقاذ المدينـــة أثناء الحصار الإسلامى لها، وأن تسليمهم لها أول ما ارتكبوه من أخطاء فى هـــذه الحرب [٢٣٧] ، بل ويذهب بتلر إلى حد بعيد عندما يذكر أن تقاعس الروم عن نجدة الفرما تمثل خيانة عظمى من قيرس (المقوقس) للدولة البيزنطية ، بل ويؤكـــد أن تقاعس المقوقس عن إنقاذ الفرما كان متعمداً لأنه كان قد عزم على فصل بطرقـــه الإسكندرية وشقها عن القسطنطينية بالاتفاق مع العرب وإعانتهم على دولته، ويذكر بتلر أن هذا هو التفسير الوحيد والمنطقى الذى يفسر سلبية المقوقس تجـــاه ســـقوط الفرما [٢٣٨] .

على أن هذا الحكم من بتلر على موقف الزوم والمقوقس من سقوط الفرمـــا يتسم بقسوة شديدة ، فقد نسى بتلر كيف أن الروم والمقوقس كانوا على علـــم تـــام بمجىء المسلمين – كما أكدنا آنفاً – ويؤكد على ذلك الاستعدادات التـــى اتخـــذها المقوقس نفسه من تحصين وتقوية حصون وأســـوار العديـــد مـــن المـــدن داخـــل مصر[٢٣٩] ، وهو الأمر الذى أكده بتلر نفسه عندما ذكر أن أهل مصر نذروا بغزوه

العرب وسمع المقوقس بسير هؤلاء الأعداء أولى البأس ، فأعد وسائل الدفاع وجيش الجيوش لمواجهة المسلمين (٢٤٠) و لم يكتف بذلك بل استنفر ملوك النوبة وقبائل البجة بجنوب مصر والعرب المتنصرة بالشام (٢٤١) ، وهذه شواهد وأدلة تدحض رأى بتلر وتؤكد عدم تقاعس الروم والمقوقس . ويبدو أن بتلر لم يحسن قراءة نصوص المصادر الإسلامية التى أكدت بوضوح مدى القتال الشديد الضارى الذى أبداه الروم فى الفرما أثناء الحصار الإسلامى لها ، والذى يفسر أيضا طول مدة الحصار الذى ظل ما يقرب من شهر سقطت المدينة بعده (٢٤٢). كما أن ما يدعيه بتلر من خيانة المقوقس بوجود تواطؤ بينه وبين المسلمين للعمل على فصل بطرقة الإسكندرية وفصلها عن القسطنطينية وإعانة العرب على الدولة البيزنطية نوع من الهراء والافتراء على الجانبين المتحاربين ، خاصة وأن المصادر الإسلامية وحتى القبطية لم تشر على الإطلاق إلى مثل هذا التواطؤ سواءً بالتصريح أو حتى بالتلميح ، ولذلك فإن ما ذكره بتلر حول أسباب سقوط الفرما بأيدى المسلمين لا يعتمد على أي أدلة أو أسانيد منطقية قوية ، ولو كان قد تحرى الدقة فى قراءة نصوص المصادر الإسلامية فلربما زالت دهشته وتعجبه من موقف المقوقس . ويلاحظ أن بتلر بهذا الرأى يحاول أن يلمح إلى عدم قدرة أو كفاءة المسلمين القتالية فيما يتعلق بحصار المدن ذات القلاع والحصون القوية أو حتى فى قتال الروم ، وهو تلميح مرفوض من جانبنا لأنه يبدو أنه نسى أو تناسى الخبرة الكبيرة التى اكتسبها المسلمون فى حرب الروم فى بلاد الشام وفى حصار وإسقاط المدن الساحلية .

على أية حال ، فإن عمرو بن العاص ، بعد فتح الفرما ، قام بهدم حصونها وأسوارها حتى لا يستفيد العدو من المدينة لو فكر فى العودة إليها لتملكها . ويعتبر فتح الفرما إنجازًا كبيرًا بالنسبة للجيش الإسلامى إذ أصبح ظهر القوات الإسلامية

آمناً وغدت خطوط مواصلاتها وإمداداتها آمنة أيضا[٢٤٣]، كما فقد الروم بذلك قاعدة من أهم قواعدهم فى مصر .

وتقدم عمرو بعد ذلك دون عائق ولم يجد إلا مقاومة ضعيفة للغاية حتى وصل الى بلبيس فى منتصف المحرم سنة ١٩هـ/ منتصف يناير سنة ٦٤٠م . وعبرت المصادر عن ذلك بقولها: " ثم مضى (عمرو) لا يدافع إلا بالأمر بالخفيف حتى بلبيس " [٢٤٤] ، فحاصرها عمرو شهراً حتى تمكن من الاستيلاء عليها بعد قتال شديد مع الروم [٢٤٥] ، خسر فيه المسلمون عدداً ليس بالقليل ، ويقال أن الروم خسروا ألف قتيل وثلاثة آلاف أسير [٢٤٦]، وبفتح بلبيس انفتح الطريق على مصراعيه أمام الجيش الفاتح إلى رأس الدلتا وحصن بابليون [٢٤٧] .

ثم مضى عمرو فى طريقه حتى أتى على أم دنين [٢٤٨] ، وهى قرية تقع على النيل شمال حصن بابليون[٢٤٩] ، وهناك اشتبك عمرو مع البيزنطيين فى قتال عنيف . ويبدو أن الروم بدأوا حينذاك يتنبهون للخطر ، خاصة وأن وقوع أم دنين فى أيدى المسلمين وهى فى موضع حصين يجاور مرفأ على النيل فيه سفن كثيرة، معناه وقوع هذه السفن وهذا المرفأ فى أيدي المسلمين وتحرك الروم لدرأ هذا الخطر ، فأسرع قيرس مع تيودور الذى تسميه المصادر الإسلامية المندقور الملقب الأعيرج، قائد الجيوش البيزنطية إلى حصن بابليون لتعبئة الجيوش لمواجهة المسلمين[٢٥٠].

وكان حصن بابليون يتسم بالمنعة والقوة وكان بمثابة نقطة الارتكاز الرئيسة للروم فى مصر ومركز الدفاع البيزنطى فيها . وكان من السهل على حامية حصن بابليون الاتصال بحامية أم دنين عن طريق النيل ، مما أعطى الجيش البيزنطى مرونة فى الحركة وسهولة فى مناوشة العرب ثم العودة إلى حصونهم[٢٥١] . وقام قتال عنيف بين الجانبين[٢٥٢]، وتشير رواية بعض المصادر مثل ابن عبد الحكم ويؤيده أبو المحاسن إلى الدور الكبير الذى قامت به قوات قبيلة لخم الملحقة بجيش

عمرو أثناء هذا القتال المرير بين جيش عمرو وبين حاميتى أم دنين وجيش حصن بابليون[٢٥٣]، ويبدو أن شدة القتال أوقعت العديد من الخسائر فى صفوف المسلمين فى الوقت الذى كان أجهدهم القتال من قبل أمام الفرما وبلبيس فى وقت أدرك فيه عمرو بن العاص أن حصن بابليون كان من المناعة والحصانة بحيث لا يمكن اقتحامه أو تخريب أبراجه[٢٥٤] بهذه السهولة خاصة بعد أن أقام الروم خندقاً حول الحصن وأحاطوه بحسك الحديد [٢٥٥] . وطال أمد الحصار ، وأبطأ عليه الفتح على حد تعبير المصادر الإسلامية [٢٥٦] ، فيما تعذر على عمرو فتحه كتب إلى الخليفة عمر يستمده فأمده بأربعة آلاف رجل [٢٥٧] وقيل أمده باثنى عشر ألفا [٢٥٨] مصحوبين بمنجنيق لدك أسوار الحصن[٢٥٩] ، وعلى رأسهم العديد من صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم) مثل الزبير ابن العوام والمقداد بن عمرو ، وعبادة ابن الصامت ومسلمة بن مخلد وقيل خارجة بن حذافة الرابع) [٢٦٠] ويبدو أن النجدة التى أرسلها عمر بن الخطاب قد تأخرت مما جعل عمرو بن العاص فى موقف حرج ولذلك لجأ إلى خدعة حربية لكى يوهم عدوة أن لديه قوة كبيرة يستطيع بها مواجهته ومواصلة حصار الحصن وذلك بأنه كان يصف جنوده يومياً في شكل مجموعات على أفواه الخندق المحيط بالحصن وعليهم السلاح ليرى العدو أنهم أكثر مما هم عليه[٢٦١]، ثم يطلع علينا المؤرخ الإنجليزى بتلر برأي يثير الدهشة مؤداه أن عمرو بن العاص فى انتظار وصول المدد من الخليفة أراد أن يشغل جنده، فعول على غزو إقليم الفيوم – على رأس جيشه الصغير حيث قضى هناك بضعة أسابيع غنم فيها العرب غنماً عظيماً [٢٦٢]، وإن عمرو بن العاص أنجز فى هذه الغزوة أكثر مما كان يطمع فيه [٢٦٣] على الرغم من أنه أخفق فى فتح مدينة الفيوم[٢٦٤] . وقد انساق بعض المؤرخين المحدثين [٢٦٥] وراء رأى بتلر هذا دون تمحيص أو تحليل لمثل هذا الرأى الذى تأكد خطؤه فيما بعد . بل إن أحد المؤرخين المحدثين يذكر أن هدف هذه الحملة على الفيوم هو تطويق حصن بابليون من ناحية

الغرب لكن المسلمين فشلوا فى تحقيق هذه الخطة [٢٦٦]، ونحن لا نتفق مع رأى بتلر ومن معه من بقية المؤرخين المحدثين العرب، فمن المؤكد فيه إن هذه الغزوة مشكوك فى صحتها أو فى وقوعها ، خاصة وأن المصادر التى لدينا لم تشر إلى مثل هذه الغزوة على الإطلاق باستثناء المؤرخ القبطي "يوحنا النقيوسى" [٢٦٧]إذ لا يعقل أن يخرج عمرو – وهو لم يسقط بعد أم دنين وحصن بابليون على رأس هذه القوة الصغيرة وهو فى وضع لا يحسد عليه وفى حاجة ماسة إلى المدد ليعبر النيل ويضرب في أرض مجهولة ، ويترك وراءه جيشًا بيزنطيًا كبيرًا وقوة متحصنة في بابليون ويستطيع في أي وقت أن يقطع عليه خط الرجعة وربما اختلط الأمر على يوحنا النقيوسي الذي نقل عنه بتلر هذه الرواية وانساق وراءهما بعض المؤرخين المحدثين فظن أن السرايا التي بعث بها عمرو بن العاص للحصول على الأقوات للجيش، والتي ربما تكون قد وصلت إلى ممفيس ، هي حملة على الفيوم كل هذه الأدلة تدحض رواية يوحنا النقيوسي ورأى بتلر كما أننا نرفض أيضاً الرواية التي ساقها يوحنا التي يشير فيها إلى قيام جيش عمرو[٢٦٨] . بإقتحام إحدى كور الفيوم وفتحها عنوة وقتل من وجدوه بها من رجال ونسوة وأطفال[٢٦٩]. فهذا يتعارض مع مبادئ الإسلام والمسلمين وما أوصى به الرسول صلى الله وعليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده بعدم قتل طفل أو امرأة أو ارتكاب مذابح داخل المدن المفتوحة وهذه الرواية القبطية بها من الأكاذيب أكثر مما بها من الحقائق ، وتعبر عن وجهة نظر مؤرخ قبطي متعصب يكره الإسلام والمسلمين ، وقد تصدى بتلر نفسه في كتابه لهذه الرواية وأدحضها بل واتهم يوحنا هذا بالخطأ وأنه كان مدفوعا في روايته تلك بكرهه لأعداء بلاده ودينه ، لأنه لو حدث شيء من ذلك ، لما تردد مؤرخو العرب في وصفه وتسجيله حتى ولوكان قاسيا عليهم[٢٧٠] .

على أية حال بوصول المدد إلى عمرو أصبح عدة الجيش الإسلامي ما يقرب من خمسة عشر ألفا[٢٧١] على رأسهم طائفة من أكبر فرسان المسلمين وصحابة

الرسول صلى الله وعليه وسلم ، وتمكن به عمرو من الاستيلاء على أم دنين ، في الوقت الذي وصلت فيه الروم بحصن بابليون إمدادات إضافية أيضاً ، بحيث قدرت عدد قوات الروم المدافعة عن الحصن بحوالي عشرين ألفاً بقيادة كل من تيودور(×) و المندقور على حد تعبير المصادر الإسلامية والمقوقس بن راعيل حاكم مصر البيزنطي[٢٧٢] . وعندما وصل المدد إلى عمرو بجمادى الآخر ١٩هـ - يونيو ٦٤٠م تقابل مع الروم في معركة رائعة وحاسمة تجلت فيها عبقرية عمرو العسكرية وهي معركة عين شمس (هليوبوليس) في رجب سنة ١٩هـ - يوليو ٦٤٠م[٢٧٣]، حيث أعاد تعبئة الجيش وتنظيم صفوفه ، وكانت خطته في ذلك تقوم على الاستطراد أي أن يغري الروم بالخروج من معقلهم المنيع في حصن بابليون ليقاتلوه على أرض مفتوحة أو في السهل بعيدًا عن جدران حصونهم وبالفعل خرجت قوات الروم من الحصن بغير ما نظام أو حذر دون أن يعرفوا بالكمين المعد لهم بقيادة تيودور ومعه بعض قادة آخرين أمثال تيودوسيدوي وأنستاسيوس ، فسار عمرو مع معظم جيشه للقاء الروم ولكن بعد أن أرسل تحت جنح الظلام كتيبتين من جنده إحداهما إلى أم دنين والأخرى بقيادة خارجة بن حذافة إلى مكان عند جبل المقطم قرب الموضع الذي فيه قلعة القاهرة اليوم ، وأمرهما جمة مؤخرة الروم في الوقت المناسب[٢٧٤] ويبدو أن الجيشين التقيا في مكان وسط بين معسكرى الروم والمسلمين عند الموضع المعروف اليوم باسم العباسة على أن اللقاء تم على غير ما يشتهي الروم ، فعندما بدأت المعركة واشتد القتال انقضت الكتيبتان وأحاطت بجيوش الروم ، ففت ذلك في عضدهم وتشتت شملهم وحلت بهم الهزيمة القاسية وقتل منهم الكثير ولجأ الباقي إلى حصن بابليون[٢٧٥] . وعلى هذا النحو أحرز المسلمون انتصاراً حاسماً ونهائيا على أكبر جيش من جيوش الروم في مصر.

ويلاحظ أن المصادر العربية التي تعرضت لهذه الموقعة تناولتها بإيجاز شديد كما أن ما أوردته من إشارات عنها يتسم بالغموض ولـم توضـح مـا إذا كانـت المعركة وقعت قبل سقوط حصن بابليون أم بعد سقوط الحصن مما يوقع الباحث في حيرة وارتباك ففي حين يذكر ابن زولاق أن المعركة حدثت قبل سـقوط الحصـن عندما ذكر خبر المعركة في كلمات قليلة ثم هزمهم (أي عمرو) إلى قصر الشمع نرى الطبري يشير إلى وقوع المعركة بعد فتح حصن بابليون[٢٧٦] في حين يشـير ابن الأثير[٢٧٧] أن المعركة وقعت قبل فتح حصن بابليون[٢٧٨]. وقد ناقش المـؤرخ بتلر مختلف هذه الروايات بالدراسة والنقد والتحليل ، ويرى أن المعركة وقعت قبل فتح حصن قصر الشمع (بابليون)[٢٧٩] ونحن نميل إلى الروايات القائلـه بحـدوث معركة هليوبوليس قبل فتح الحصن ، ونتفق مع رأي بتلر في ذلـك خاصـة وأن المعركة هليوبوليس تلك تمثل – في رأينا يوم الفصل في تاريخ مصر ، بمعنى أنها معركة حاسمة وفاصلة في تاريخ الصراع الإسلامي البيزنطي حول مصر كما أنها حددت مصير مصر بالنسبة للمسلمين . وكانت بمثابة نذير ببداية أفول نجم الـروم في مصر، كما أنها أدت إلى تغيير موازين القوى السياسة والعسكرية بين المسلمين والروم ، فأصبح ميزان القوى يميل بقوة بجانب المسـلمين دون الـروم ، وذلـك بالنظر إلى النتائج الهامة العديدة التي ترتبت على هذه المعركة الفاصلة فبدأ الروم بعدها يلتزمون بموقف الدفاع عن بقية كيانهم في مصر بعد أن كانوا يقفـون فـي العديد من المراحل في موقف الهجوم على القوات الإسلامية الفاتحة، كما أن هـذه المعركة قد مكنت المسلمين من إعادة سيطرتهم بقوة على أم دنين ، وتثبت أقدامهم في عين شمس (هليوبوليس) على النحو الذي أعترف به بتلر نفسـه [٢٨٠].ومـن نتائج هذه المعركة أن المسلمين أصبحوا يمتلكون ناحية شاطئ النهر من نـاحيتي الحصن من أعلاه ومن أسفله ، وبدأوا يحيطون بالحصن إحاطة السوار بالمعصم ، ولذلك نقل المسلمون عسكرهم هليوبوليس فضربوه في شمال الحصن وشرقه بـين

البساتين والكنائس ، وهو الموضع الذي عرف بالفسطاط فيمابعد[٢٨١] . وبدأ المسلمون يضيقون الخناق على الحصن بلاعائق أمامهم ، بعد أن قضى على جيش الروم فلم تبق منه إلا الفلول التي لاذت بالحصن ، أوهامت على وجهها في بلاد مصر السفلى ، على حد تعبير بتلر [٢٨٢]، وبذلك حددت هذه المعركة مصير حصن بابليون المنيع ونقطة ارتكاز الروم في مصر ومركز الدفاع البيزنطي فيها أمام الحصار الإسلامي، بحيث كانت عملية سقوطه مسألة وقت لا أكثر . ويذكر بتلر أنه لعل من النتائج الهامة والرائعة لمعركة هليوبوليس أن صدى هذا الانتصار انتشر في بقية أنحاء الأقاليم مصر الوسطى والجنوبية ، والتي لم تكن قد وقعت في أيدي المسلمين مما أدى إلى ازدياد الرهبه والخوف من العرب وغلب الرعب على كل بلاد مصر ، فأخذ الخلق يفرون من مدنهم ويفدون أفواجاً من كل حدب وصوب إلى الإسكندرية ، بعد أن هجروا أرضهم وبيوتهم وما فيها من زرع وضرع ومتاع[٢٨٣].

ويطلع علينا بتلر برأي ثان مؤداه أنه ضمن نتائج معركة هليوبوليس نجاح العرب في فتح العديد من الأقاليم المجاورة في مصر الوسطى وفي الوجه القبلي وعلى رأسها الفيوم بعد أن فرت منها حامياتها وأن العرب قصوا أسبوعين لفتح إقليم الفيوم وذلك بعد أن أحدثوا بأهله مقتلة عظيمة [٢٨٤]. وهكذا أخطأ بتلر ثانية في ذكر فتح العرب للفيوم وغيرها من مناطق مصر الوسطى والوجه القبلي وغيرها من أقاليم مصر ومدنها بعد معركة هليوبوليس وبنى حكمه هذا على رواية يوحنا النقيوسي المعروفة بعدم دقتها أوصحتها ، خاصة وأن المصادر الإسلامية لم تشر لمثل هذه الفتوحات على الأطلاق ، بعد انتصار هليوبوليس بل ذكرت أن ذلك تم بعد سقوط حصن بابليون في أيدي المسلمين على النحو الذي أكده ابن عبد الحكم[٢٨٥]، وابن الجوزي [٢٨٦]. وخان التوفيق بتلر في هذه المرة أيضاً ، فكان حريا به أن يعرف أن عمرو بن العاص ليس من السذاجة بحيث يقوم باجتياح هذه الأقاليم جنوب حصن بابليون ، دون أن يتبع هذه المعركة بإسقاط الحصن ، وإلا

كان الحصن بمثابة شوكة في ظهر القوات العربية أو قذى في أعينهم ، وهو الأمر الذى أكده بتلر بنفسه موضع آخر من كتابه ، عندما ذكر أن عمرو بن العاص لم يكن ليستطيع أن يسير حتى نحو الشمال تجاه الإسكندرية ويسقطها ويتـرك وراءه هذا الحصن الذي من الممكن أن يسبب إزعاجا كبيراً لدى القوات الإسلامية الزاحفة نحو الشمال أو نحو الجنوب(٢٨٧) . ولذلك فنحن نرى أن عملية الفتوح الإسـلامية لبقية أقاليم مصر الوسطى والوجه القبلي وغيرها من المناطق إنما تمت بعد فـتح حصن بابليون ، الذي كان يمثل عقبة كأداء أمام استكمال الفتح الإسلامي لمصر ، وبعد أن أمن المسلمون ظهورهم من ناحية الشمال والشرق على النحو الذي أكدته العديد من المصادر الإسلامية(٢٨٨) .

وهكذا وجد المقوقس نفسه ومن معه من الروم داخل الحصن فـي موقـف لايحسدون عليه . وكان المسلمون يعرفون تماما مدى مناعة هذا الحصن خاصـة وأن اتصاله بجزيرة الروضة ، كانت تزيد في قوة حصن بابليون وخطره الحربـي بأنها كانت في وسط النهر تملك زمامه(٢٨٩) ولذلك حرص العرب على فـتح تلـك الجزيرة قبل إسقاط الحصن ، وهو الأمر الذي أكده ابن دقماق الـذي يفهـم مـن رواياته أن المسلمين فتحوا جزيرة الروضه أثناء حصارهم لحصـن بـابليون وأن الروم لما غادروها هدم عمرو بعض أسوارها وحصونها(٢٩٠) وإذا صدقت روايـة ابن دقماق فإن فتح جزيرة الروضه تعتبر أحد النتائج الكبرى والهامة لمعركة عين شمس . ويذكر بتلر أن مناعة حصن بابليون أمام الحصار الإسـلامي كـان مـن الممكن أن يؤدي إلى طول مدة الحصار خاصة وأن المسلمين كانوا لاعلم لهم بحيل الحصار كما كانوا يفتقدون إلى آلات حصار الحصون(٢٩١) ورغـم أن المصـادر الإسلامية تشير إلى وضع العرب للمجانيق حول حصن بابليون(٢٩٢) فإنهـا كانـت غير ذات فائدة كبيرة للمحاصرين وعلى الرغم من أننا نتفق مع بتلر في جـزء أو بعض تصوره بالنسبة لوضع الحصن ووضع المسلمين حول الحصن، فإنه نسـي

مدى عزيمة المسلمين وقوتهم وعلى رأسهم عمرو والزبير بن العوام، الذين كانوا عازمين على فتح الحصن مهما كانت التضحيات، لإدراكهم مدى أهمية إسقاط الحصن كضرورة حتمية لفتح مصر (٢٩٣).

وكيفما كان الأمر ففيما يتعلق بفتح المسلمين لهذا الحصن الهام أو المفاوضات التي دارت بين الجانبين وانتهت بعقد معاهدة بابليون الأولى أو صلح بابليون،فإن المصادر الإسلامية والقبطية التي تعرضت لهذه الأمور وعلى رأسها كتاب ابن عبد الحكم والمؤرخ القبطي يوحنا النقيوسي قد حفلت بالعديد من الروايات المتضاربة المختلفه بل والمضطربة أيضا حول ذلك بطريقة تجعل الباحث في حيرة من أمره، ويجعل من الصعب التوصل إلى نتيجة حاسمة حول هذا الأمر وسط هذا الخضم من الروايات، خاصة وأن ابن عبد الحكم قد أورد أكثر من رواية حول هذا الأمر، فمنها من يذكر أن العرب حاصروا الحصن بضعة أشهر ثم اختلفت السفراء بين العرب لتحديد مصير الحصن ولكن المفاوضات انتهت بالفشل بين الجانبين ولكن المسلمين تمكنوا من فتح الحصن عنوة، فاضطر الروم في النهاية صاغرين بالموافقة على شروط المسلمين لتسليم الحصن وقبلوا دفع الجزية(٢٩٤) وتذكر روايات أخرى أن العرب فتحوا الحصن عنوة دون الدخول في مفاوضات وذلك بفضل بسالة الزبير بن العوام ثم عقد المسلمون مع المصريين والروم معاهدة أجازها عمر بن الخطاب(٢٩٥) . والواقع أن العديد من المؤرخين المحدثين الذين تناولوا فتح حصن بابليون لم يصلوا إلى حل حاسم أو رأي نهائي حول المصير النهائي لهذا الحصن إذا كان قد فتح صلحاً بعد مفاوضات بين الجانبين أو عنوة دون الدخول في مفاوضات أو حتى بعد فشل تلك المفاوضات(٢٩٦) أو حتى إعطاء صورة للموقف الحقيقي للاقباط الموجودين داخل الحصن من الحصار الإسلامي له .

والواقع أنه يمكن التوفيق بين تلك الروايات المتضاربة حول مصير حصن بابليون وموقف كل من المسلمين والروم والقبط من حيث إنه جرت مفاوضات

سرية بين الجانبين حول الحصن وأن الذى اقترح بدء هذه المفاوضات هم الـــروم أنفسهم وعلى رأسهم المقوقس الذي كان يدرك تماما أن هذا الحصن لـــن يطـــول صموده وأن نهايته محتومة معروفة خاصة وقد تقلص عـــدد الجنـــد البيـــزنطيين المدافعين عن الحصن من عشرين ألفا إلى حوالي خمسة أو ستة آلاف رجل كمـــا يذكر بتلر نفسه(٢٩٧)، خاصة وأن القوات البيزنطيه المدافعة عن الحصن لم تتلق أي مدد أو عون بشري أو عسكري من قبل الإمبراطورية البيزنطية(٢٩٨)، فـــي وقـــت أدرك فيه المقوقس أن العرب بعد فتحهم بلاد الشام وأجزاء من مصر وصار لديهم قواعد كبرى يمكنها أن تزود جيش الفتح بحاجته من الجند والذخيرة والمـــؤن دون انقطاع على النحو الذي حدث أثناء بداية حصار المسلمين للحصن، كما أن المقوقس كان يريد تجنب المزيد من سفك الدماء بلا طائل وعبر عن ذلك للقـــادة ورؤســـاء الأقباط داخل الحصن مستغلا في ذلك موسم فيضان النيل وارتفاع سياهـــه بشـــكل يمثل عقبة أمام المسلمين مما يـــدفعهم إلـــى قبـــول الصـــلح بشـــروط يرتضـــيها الطرفان(٢٩٩)، على أن تنسحب الحامية الموجودة في الحصن بموافقـــة المســـلمين أنفسهم ثم نقل هذه الحامية بذخيرتها كاملة إلى المعقل الأخير لهـــم بالإســـكندرية.

ويبدو أن المقوقس قد أخذ موافقة قائد الحامية البيزنطيه في بابليون، وكذلك أكـــابر القبط ورؤساهم على إجراء المفاوضات مع المسلمين(٣٠٠)، وأنه من أجل أن يحيط هذه المفاوضات بالسرية والكتمان، قرر المقوقس ومن معه من المفاوضـــين إدارة المفاوضات من مكان بعيد عن الحصن كي لا يفت فى عضد المدافعين عن الحصن فى حالة فشل المفاوضات،وبالفعل خرج المقوقس ومن معه من الروم وجماعة من أكابر القبط ورؤساهم تحت جنح الظلام إلى جزيرة الروضة دون أن يشعر بهم أحد وذلك لبدء المفاوضات من هناك، وذلك بعد أن ترك وراءه من يدير عملية الـــدفاع عن الحصن ممثلين فى أخلص رجاله(٣٠١).

وقد يتعجب البعض من موافقة المسلمين على إجراء التفاوض مع الروم في وقت كانوا هم فيه الجانب الأقوى والروم هم الجانب الأضعف، إلا أن تفسير ذلك أن الجانبين قد فكرا في هذه المرحلة في الحيلولة دون المزيد من سفك الدماء بينهما، وعلى ذلك اختلفت السفراء بين الجانبين، وبدون الدخول في تفاصيل ما دار من تلك المفاوضات بين الجانبين، خاصة وأن المصادر الإسلامية والقبطية حفلت بتفاصيل ضافية عن ذلك(٣٠٢)، فقد عرض المقوقس أمام إصرار المسلمين على القتال، أن يدفع لهم مبلغا من المال مقابل الانسحاب من أمام الحصن(٣٠٣)، ورفض المسلمون وعرضوا شروطهم المعهودة على المقوقس والروم وهى أما الدخول في الإسلام، أو دفع الجزية أو القتال(٣٠٤)، ورغم أن المصادر الإسلامية حاولت أن تظهر موقف المقوقس بالمرونة تجاه هذه المفاوضات؛إلا أن الروم والأقباط أنفسهم رفضوا هذه الشروط رغم محاولات المقوقس بإقناعهم بقبول بعضًا منها، واعتبروها إذلالا كبيرا لهم(٣٠٥)، واعتمد الروم والأقباط في موقفهم هذا على دخول موسم فيضان النيل وارتفاع مياهه مما يزيد الأمر صعوبة على المسلمين،(٣٠٦)وبالتالي يحصل الجانب الأضعف على أفضل الشروط من الجانب الأقوى، وتمسك كل فريق بموقفه وشروطه مما أدي إلى انهيار المفاوضات واستؤنف القتال من جديد (٣٠٧).

وفى تحليلة ونقده لتلك المفاوضات بين الجانبين اتهم بتلر المقوقس بالخيانة وأنحى عليه باللائمة بقيامه أصلا بإجراء تلك المفاوضات، وإرسال سفراء إلى الجانب الإسلامي، وإن إخفاقه في تلك المفاوضات كان يمثل كارثة عظيمة وخطبا جليلا على الروم في مصر وخيانة عظمي للإمبراطورية البيزنطية، وسيده هرقل(٣٠٨)ونحن لا نعرف سر هذا التحامل الشديد من بتلر على المقوقس في ثنايا مؤلفه عن فتح العرب لمصر. والواقع أن موقف المقوقس من تلك المفاوضات ومبادرته بها، كما أكدت المصادر الإسلامية، يتسم بقسوة حكم بتلر عليه، ويبدو أن

بتلر لم يدرك الحس السياسي والفكر العميق والواقعي الذي اتسم به المقوقس ، الذى كان يريد وضع نهاية للمزيد من سفك الدماء بين الجانبين، ورحب المسلمون بذلك، كما كان يدرك – كما ذكرنا آنفا- أن حصن بابليون لن يطول صموده،وأن نهايته محتومة بل ومعروفة ألا وهي التسليم، وكان تلك هي الدوافع الأساسية التي جعلته يفكر فى إجراء المفاوضات مع المسلمين، ولهذا فإن تصور بتلر وتحليله لموقف المقوقس يتسم بعدم الحيدة والقصور الشديد.

على أية حال فقد استؤنف القتال من جديد إذ تمكن الزبير بن العوام من ردم جزء من الخندق الفاصل بين الجيش وأسوار القلعة، ثم عمد الزبير بن العوام إلى اصطناع الحيلة،فتسور الحصن على سلم، ثم صعد وأصعد معه جماعة، وأمر المسلمين إذا سمعوا تكبيرة أن يجيبوه جميعا، فكبر الزبير وكبر من معه، فأجابهم المسلمون من الخارج ، فلما سمع البيزنطيون التكبير لم يشكوا لحظة فى أن العرب قد اقتحموا الحصن، وفر الحراس والمدافعون عن تلك الجهة، فنزل الزبير وأصحابه إلى باب الحصن وفتحوه وأضطر قائده إلى الاستسلام وذلك في ٢٠هـ/٦أبريل سنة ٦٤١م[٣٠٩].

ويلاحظ أن المصادر الإسلامية فى رواياتها توضح أن العرب قد استولوا على الحصن بأكمله. والواقع أنه من الصعب تقبل روايات المصادر الإسلامية بهذه الكيفية، ولربما لما قبل المسلمون بعقد معاهدة صلح مع الروم والأقباط والمقوقس، ولكن من المعقول والمقبول أن المسلمين بقيادة الزبير بن العوام تمكنوا من الاستيلاء على بعض أو أجزاء من حصن بابليون، مما اضطر معه قائد الحصن والمقوقس إلى الاستسلام للمسلمين، والخضوع للأمر الواقع، وقبول الشروط التي سبق وعرضها المسلمون من قبل، وذلك لمنع إراقة المزيد من الدماء وسبي النساء والأطفال ووافق المسلمون على ذلك، وبذلك تم فتح حصن بابليون بعد حصار يقرب من سبعة أشهر[٣١٠]، وعقد المسلمون مع المصريين معاهدة عرفت بمعاهدة

حصن بابليون الأولي، وهى المعاهدة التى أجازها عمر بن الخطاب، ولـم يقرهـا الإمبراطور البيزنطي هرقل[٣١١] وتنص على:

١- أن يفرض على جميع من بالديار المصرية من القبط ديناران ويستثني من ذلك الشيوخ والنساء والأطفال.

٢- اشترط عمرو على الأقباط أن يكون للمسلمين الحق فى النزول عليهم حيث نزلوا، ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفروضة عليهم.

٣- فى مقابل ذلك لا يتعرض المسلمين لأراضى أو أموال القبط .

وتعهد الأقباط أيضا بإقامة الإنزال للمسلمين والضيافة وإقامة الجسـور وإصلاح الطرق ما بين الفسطاط إلى الإسكندرية[٣١٢].

وتذكر المصادر الإسلامية أنه برغم هذا الصلح، فقد اشترط المقـوقس أن لا يبت فى أمر الروم نهائيا إلا بعد أن يكتب إلى هرقل بذلك، فإن قبـل الإمبراطـور سري هذا الصلح عليهم، وإن لم يقبل عادت الحالة بين الروم والعرب إلي ما كانت عليه[٣١٣]، ويفهم من هذا أن قبط مصر قد أصبح أمرهم مفروغا منه، بمقتضى هذا العهد بعكس الروم[٣١٤]. ويمكن القول أن معاهدة بابليون الأولي قد حددت مصـير مصر السياسي باعتبارها معاهدة تضمنت جوانب سياسية ودينية واقتصادية، وهذا الرأي يدحض ما ذهب إليه المؤرخ الإنجليزي بتلر من أن معاهدة بابليون الأولـي كانت معاهدة عسكرية أكثر منها معاهدة سياسية[٣١٥].

وفيما يتعلق بالنتائج المترتبة على سقوط حصن بابليون فى أيدي المسـلمين، وأهمية هذا الحصن بالنسبة للصراع الإسلامي البيزنطي فى مصر، فيمكن القول أن سقوط حصن بابليون يمثل أهمية كبري بالنسبة للفاتحين المسلمون يعادل فى أهميته انتصارهم الساحق فى معركة عين شمس لأنه كان يعنى سقوط مركز الدفاع الأول عن مصر وباعتباره نقطة الارتكاز الأساسية للروم فى مصر نظرا لموقعه علـى

رأس الدلتا ، وكونه يقع على الطريق الموصل إلى الإسكندرية عاصمة البلاد في العصرين اليوناني والروماني ثم العصر البيزنطي، وتمكن المسلمون بذلك من عزل الدلتا عن الصعيد، وانفتح الطريق أمامهم إلى الفيوم والوجه القبلي، وأمكنهم هذا أن يحصنوا هذه القاعدة ويستغلوها في إتمام الفتح،وأن يؤمنوا الطريق البري الذى يصل بين بلاد الشام ومصر، كما استطاع الفاتحون بذلك أن يسيطروا على كل الأقاليم الواقعة شرقي فرع دمياط وأن يوطدوا أقدامهم فى تلك البلاد، كما أدي هذا الفتح أيضا إلي فتح الطريق للزحف إلي الإسكندرية دون ما عوائق حقيقية، ولعل تعليق بتلر على نتائج فتح حصن بابليون المنيع بأيدي المسلمين كان رائعا عندما ذكر أن الروم ضعفت قواهم وخارت عزيمتهم عندما فتح العرب الحصن، فى حين أن العرب ازدادوا قوة وجرأة، وأصبح فى أيدي عمرو ملك الفرما وبلبيس وأثريب وعين شمس، وبسط سلطانه على الجانب الشرقي كله من الدلتا، فلما دان بفتح الحصن صار سلطانه ثابتا على مجمع النهرين وجمع فى يده أزمة النيل الأوسط(٣١٦) . ولعل خير ما نختتم به النتائج المترتبة على فتح عمرو لحصن بابليون ما ذكره المؤرخ القبطي المتعصب يوحنا النقيوسي بقوله"أن فتح الحصن للمسلمين لم يكن إلا عقاب لله على ما فعله الروم من الأفاعيل فى القبط(٣١٧).

وحري بالذكر أن بعض المصادر الإسلامية التى لدينا تشير إلي أن المقوقس أرسل كتابا إلي الإمبراطور هرقل يخبره بشروط معاهدة حصن بابليون الأولي، ويشرح له لماذا وافق على شروط هذه المعاهدة وساق له المبررات التى دفعته للتوقيع عليها، ولكن جواب هرقل على المقوقس جاء عنيفا إذ وجه اللوم له، وأتهمه بالتخاذل وطلب منه أن ينهض هو والروم لمحاربة العرب، تلك الفئة القليلة، وألا يرضوا كالقبط بالذلة ودفع الجزية للعرب(٣١٨) . ويذكر بتلر اعتمادا على بعض المصادر البيزنطية مثل ثيوفانيس ونيقفوروس،أن قيرس قد سافر إلى بيزنطة لينقل إلى هرقل شروط هذه المعاهدة بعد أن أرسل رسالة إلى هرقل تتضمن ذلك، إلا أن

هرقل طلب منه المجيء إلى القسطنطينية وهناك وجه إليه اللوم وأعلـن رفضـه لشروط المعاهدة، وأتهمه بالجبن والتخاذل وخيانة الإمبراطور وأمر بنفيه، وأرسل إلى الروم فى مصر يطلب منهم استئناف القتال(٣١٩).

وقد استغل عمرو بن العاص فرصة غياب المقوقس فى بيزنطة وحالة الشلل والذهول التى أصابت حاميات الروم فى بقية أنحاء مصـر نتيجـة للانتصـارين الكبيرين للمسلمين فى عين شمس وبابليون فأستولي على الفيوم(٣٢٠)وعين شـمس والأشمونيين وأخميم وقري الصعيد وتنيس ودمياط ودميرة وشـطا ودقهلـه وبنـا وبوصير (٣٢١) . ويلاحظ أن القوات الإسلامية قد قوبلت بمقاومة عنيفة أثناء فـتح هذه المدن والأقاليم خاصة عند فتح تنيس حيث قاتل المسلمون بقيادة عمير بن وهب الجمحى(٣٢٢)، جيشا ضخما يتكون من عشرين ألفا من العرب المتنصـرة والقـبط والروم بقيادة حاكم تنيس وكان يقال له أبي ثور وهو من العرب المتنصرة، ودارت بينهم حروب عديدة قبل أن يظفر بهم المسلمون ويهزموهم ويأخذوا حـاكم تنـيس أسيرا(٣٢٣)، ويلاحظ فى هذا النص السابق مشاركة الأقباط فى مقاومة المسلمين فى تنيس وهو الأمر الذى سنوضحه فى حينه.

وفى ربيع الأول سنة ٢٠هـ/٦٤٢م سار عمرو إلى الإسـكندرية، بعـد أن استخلف على حصن بابليون خارجه بن حذافة العدوى(٣٢٤)، وأشتبك عمـرو مـع الروم فى نقيوس الواقعة على الشاطئ الشرقي لفرع النيل الغربـي بـالقرب مـن منوف الحالية، وكانت من أهم الحصون الداخلية ذا منعة وقوة، أقام عندها الـروم حامية قوية وأسطولا ضخما، وكانت بها أديرة وكنائس ومدارس ومصـانع، بـل كانت مقر أحد كبار رؤوس الدين المسيحي فى مصر(٣٢٥)، ويذكر بتلر أن العـرب تمكنوا من دخول نقيوس دون مقاومة بعد أن أنسحب منها البيزنطيون، وفر قائـد حاميتها إلي الإسكندرية تاركا وراءه بقية جيشه وسفنه(٣٢٦)، ويلاحظ أن المصـادر الإسلامية لم تذكر شيئا على الإطلاق عن هذا الحدث، ويذكر يوحنا النقيوسي فـى

روايته عن استيلاء المسلمين على نقيوس أن المسلمين ارتكبوا بها مذبحة مروعة وأنهم قتلوا كل من وجدوه فى الطريق من أهلها وأنه لم ينج من دخل من الكنائس من سيوف المسلمين ولم يرعوا رجلا ولا امرأة ولا طفلا إلا وقتلوه، ثم انتشروا فيما حول نقيوس من البلاد فنهبوا فيها وقتلوا كل من وجدوه بها[٣٢٧] .

وهذه الرواية مرفوضة تماما من جانبنا ففيها من الأكاذيب أكثر مما بها من الحقائق بما هو معروف عن ذلك المؤرخ القبطي المتعصب من حقد دفين وكراهية لكل ما هو إسلام أو مسلمين، فإن أخلاقيات المسلمين فى الحروب ألا يقتلوا من استسلم وألا يقتلوا امرأة ولا طفلا ولا شيخا، يأمرهم بذلك دينهم ويحضهم عليه خلفائهم الأوائل وهو الأمر الذى لا يفهمه أو يدركه ذلك المؤرخ المتعصب .

وقد استولي عمرو بن العاص على بعض المدن والمواقع الحصينة الأخرى مثل ترنوط وكوم شريك، حيث لقي هناك مقاومة عنيفة من قبل الروم[٣٢٨] ثم اصطدم بجيش بيزنطي عند سلطيس(وصحتها سنطيس) الواقعة على بعد أميال جنوبي دمنهور الحالية، ولقي الجيش البيزنطي هناك هزيمة قاسية[٣٢٩] وتقهقر أمام الجيش الإسلامي وفر نحو الإسكندرية[٣٣٠]ثم التقى عمرو بن العاص بجيش من الروم والقبط عند الكريون حيث تجمعوا هناك بقيادة القائد البيزنطي ثيودور، ومعهم بقايا من الروم والأقباط ممن فروا من سخا وبلهيت والخيس وسلطيس فى محاولة يائسة منهم للحيلولة دون وصول عمرو إلى الإسكندرية[٣٣١]،خاصة وأن الكريون كانت أهم وآخر معقل بيزنطي دفاعي متقدم بالنسبة للإسكندرية، وكانت الكريون تشرف على ترعة الإسكندرية التى يعتمد عليها أهل الإسكندرية فى السقيا ونقل المؤن [٣٣٢]، وهناك قامت معركة حامية الوطيس استمرت ما يقرب من بضعة عشر يوما[٣٣٣]. ورغم أن بتلر يذكر أن تلك الواقعة قد انتهت بعدم انتصار طرف على الأخر بل تساوت فيها الكفتان [٣٣٤]،إلا أن المصادر الإسلامية وعلى رأسها كتاب البلاذري وابن عبد الحكم ذكرت أن المعركة انتهت بانتصار المسلمين على الروم

والقبط انتصارا حاسما [٣٣٥]، لدرجة أن عبد الله بن عمرو بن العاص الذى كان يقود مقدمة الجيش أصيب بجروح كثيرة وكاد أن يفقد حياته فى المعركة[٣٣٦]، ولدرجة أيضا أن عمرو بن العاص صلي بالمسلمين صلاة الخوف داعيا الله أن ينصرهم فى تلك المعركة[٣٣٧].وقتل من الروم مقتلة عظيمة في تلك الوقعة[٣٣٨] وتراجع بقية الجيش البيزنطي على أثره وتحصنت فلوله فى الإسكندرية[٣٣٩]. ويذكر بتلر أن خسائر كل من الجانبين كانت متساوية[٣٤٠] ، وهو بذلك يعارض ما أجمعت عليه المصادر الإسلامية من أن خسائر الروم كانت أكثر من خسائر العرب.

وباستيلاء العرب على حصن الكريون خلا أمامهم الطريق إلى الإسكندرية، ولم يبطئ عمرو إلا ريثما يستريح جنده من عناء القتال الأخير.

بعد نجاح عمرو بن العاص فى القضاء على المقاومة التى صادفها فى طريقه، وصل إلى الإسكندرية عام ٢٠هـ/٦٤١م،وألقي عليها الحصار. وكانت الإسكندرية آخر معاقل البيزنطيين وأهمها[٣٤١] ، وكان كل من البيزنطيين والعرب يدركون أهمية الإسكندرية بالنسبة إليهم، فالبيزنطيين كانوا يعلمون تماما أنه إذا ضاعت الإسكندرية ضاعت معها مصر إلى الأبد، والمسلمون بدورهم يعرفون جيدا أنه إن لم يتم استيلائهم عليها فلا فائدة من استيلائهم على مصر كلها إذ ستظل الإسكندرية شوكة فى جانبهم أو قذى في أعينهم وإنها ستبقى قاعدة عسكرية ينفذ منها البيزنطيون إلى البلاد فى أي وقت مما يهدد فتوحاتهم فى بقية أقاليم مصر، ولذلك يقال أن هرقل استعد للخروج لمباشرة حرب الإسكندرية بنفسه كما ذكر مؤرخو العرب، [٣٤٢] ولكن وفاته فى ٢٠هـ/١١فبراير ٦٤١م حالت دون قيامه بذلك[٣٤٣].

وقد استفاض المؤرخون العرب في وصف حصانة الإسكندرية ومناعتها فيقول الواقدي"كانت الإسكندرية عامرة كان فيها الخلق الكثير والمراكب"[٣٤٤]. ويقول ابن عبد الحكم: " إن الإسكندرية بها حصون مبنية لا ترام حصن دون

حصن "[345]، وبالفعل كانت الإسكندرية مدينة حصينة لها أسوار محكمة البناء ولها حصن منيع كان الفرس قد أقاموه فى فترة احتلالهم للإسكندرية فى شرق المدينـة من جهة الميناء الشرقية[346]، وكان الروم مسيطرون على البحر بأسـاطيلهم فـي وقت افتقد فيه المسلمون إلى القوة البحرية التى تمكنهم من حصـار الإسـكندرية بحرا، ولذلك كان المدد يأتي للإسكندرية للروم فى أي وقت دون مـدافع، وكانـت أسوار المدينة حصينة ضخمة يحيط بها من ناحية البر البحيرات مثل بحيرة مريوط وترعة الإسكندرية[347] ويقال أن حامية الروم المدافعة عن الإسكندرية كانت تتكون من خمسين ألف رجل [348].

ويطلع علينا المؤرخ الواقدى برواية مؤداها أنه أمام يـأس الـروم داخـل الإسكندرية من وصول أي عون عسكري من القسطنطينية بعد وفاة هرقل، فـإنهم اضطروا لطلب العون من حاكم إقليم برقة البيزنطي المدعو كيماويل،فأرسل إلـيهم نجدة تقدر بحوالى أربعة الأف رجل تـدعيما للـروم وحـاميتهم المدافعـة عـن الإسكندرية، [349] وقد أشارت بعض المصادر الإسلامية إلى مـدي الاسـتعدادات الضخمة التى اتخذها الروم للدفاع عـن الإسـكندرية أمـام قـوات عمـرو بـن العاص[350]، ولدينا نص هام يشير إلى دور الأقباط فى الدفاع عن الإسكندرية فى مواجهة الحصار الإسلامي لها[351].

غير أن عمرو بن العاص بحنكته العسكرية قد أدرك أنه من العبث مهاجمـة الإسكندرية عنوة، كما رأي أن الحصار قد يطول، فآثر أن يترك عليها فرقة مـن جيشه رابطت فيما بين مكان يسمي حلوة وهو موقع بشرق الإسكندرية إلى قصـر فارس[352]، ثم توجه بالجزء الباقي من جيشه لإخضاع ما تبقي من مـدن مصـر السفلي والوسطي وذلك طبقا للرواية القبطية[353]. ولما لـم يكـن مـن شـأننا أن نستفيض فيما دار من عمليات حصار للإسكندرية والصراع المرير خشية أن يطول البحث عما هو مقدر له، خاصة وأننا سنسلط الأضواء على موقف الأقباط واليهود

من الفتح الإسلامي لمصر، فقد تضاربت آراء المصادر حول فترة حصار عمـــرو ابن العاص للإسكندرية، فيذكر كل من البلاذري والكندي ويؤيدهما ابن الأثيـــر، أن عمرا حاصر الإسكندرية فترة ثلاثة أشهر قاتل أهلها خلالها قتالا شديدا، وفتحهـــا بالسيف وغنم ما فيها حتى اضطر المقوقس أن يصالحه عن أهلها ، وهذا هو الفتح الأول للإسكندرية (٣٥٤)، فى حين أن رواية ابن عبد الحكم تشير إلـــى أن مقاومـــة البيزنطيين فى الإسكندرية كانت عنيدة وأن عمرو بن العاص أقام علـــى حصـــار الإسكندرية بضعة أشهر،فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب قال: "ما أبطأوا بفتحهـــا إلا لما أحدثوا "(٣٥٥)وذكر أيضا أن عمرو بن العاص فتح الإسكندرية صلحا يوم الجمعة المستهل من المحرم سنة ٢٠هـــ/٦٤١م، وخلف بها ألف رجل من أصـــحابه ثـــم مضي عمرو ومن معه فى طلب من هرب من الروم فى البحر إلى الإســـكندرية، فقتلوا من كان فيها من المسلمين إلا من هرب منهم، وبلغ ذلك عمرا فكر راجعـــا، ففتحها وأقام بها (٣٥٦).

وهناك رواية أخري لابن عبد الحكم تذكر أن عمرو بـــن العـــاص حاصـــر الإسكندرية مدة أربعة عشر شهرا: منها تسعة بعد موت هرقل وخمسة قبل ذلـــك، وأنها فتحت فى يوم الجمعة أول محرم سنة ٢١هـــ/٦٤٢م(٣٥٧) ، ونحن نميل إلـــى الرواية الثانية لابن عبد الحكم حول حصار الإسكندرية الذى استمر أكثر من عام على أساس انه كان من المتوقع أن تلك المدينة الكبيرة المفتوحة على البر ، ستقاوم المسلمين طويلا بفضل أسوارها وتحصيناتها وقوة حاميتها البيزنطيـــة، وتكـــاتف الأقباط مع الروم فى مواجهة الحصار الإسلامي، وفعلا وقف المســـلمون أمامهـــا أكثر من عام، ولا عجب فقد كان الروم مسيطرين على البحر بأساطيلهم وكان المدد يأتي إليهم من هذا الطريق. على أن الظروف السياسية والعسكرية التى تعرضـــت لها الإمبراطورية البيزنطية وقتذاك ، وكذلك بالنسبة للأحداث الجارية داخل مدينة الإسكندرية نفسها، قد ساعدت العرب على فتح الإسكندرية، فساءت حالة الجـــيش

البيزنطي داخل الإسكندرية بسبب تنازع القادة البيزنطيين، وأنقسم الروم إلى أحزاب وشيع وكان حرصهم على القتال فيما بينهم أكثر من حرصهم على حرب العـــرب، بالإضافة إلى انقسام الرأي بالإسكندرية حول حصار العرب للمدينة(٣٥٨).

كما اضطربت أمور الدولة البيزنطية بعد موت الإمبراطور هرقل وضـــعف الحكومة البيزنطية فى ٢٣صفر عام ٢٠هـ/١١فبراير ٦٤١م، وصدق المؤرخ ابن العميد إذ قال "فوهنت شوكة الروم بموته.(٣٥٩)"ويعبر ابن عبد الحكـــم عـــن ذلـــك بقوله" فكسر الله بموته شوكة الروم".(٣٦٠) ويؤكد ابن عبد الحكم على ذلـــك عنـــدما ذكر أن أنباء وفاة هرقل ما كادت تصل إلى المسلمين النازلين علـــى الإســـكندرية حتى استأسدوا فى قتال المدينة وألحـــوا عليهـــا بالقتـــال فـــى محاولـــة ســـريعة لإسقاطها(٣٦١). والواقع أن وفاة هرقل كانت تمثل حدا فاصلا فى تقريـــر مصـــير مصر النهائي بأيدي المسلمين،إذ تولي الحكم بعد وفاته ابنـــاه قســـطنطين الثـــاني وهرقلوناس(أو هرقل الثاني)وتم تنصيب الإمبراطورة مرتينه Martine أم ولـــده هرقلوناس شريكة لهما فى الحكم co-empress، واضطرت الإمبراطـــورة إلـــى التفكير فى إنهاء الحرب مع المسلمين لانشغالها وساسة بيزنطة بالفتن الداخلية التى قامت من أجل العرش وصادفت سياستها هوى لدى المصريين وبعـــض الحكـــام البيزنطيين المسيطرين على مقدرات الأمور فى مصر، ويبـــدو أن قيـــرس أثنـــاء وجوده فى بيزنطة أقنع الإمبراطورة بضرورة التفاهم مع المسلمين فى مصر وعقد صلح معهم، مما دفع بتلر للمرة الثالثة إلى اتهام المقوقس بالخيانة للدولة البيزنطية من أجل تحقيق مصالح وأهداف سياسية ودينية خاصة به، بـــل وأتهمـــه بوجـــود صلات خفية بينه وبين عمرو بن العاص، وانه كان يسعى سعيا حثيثا لعقد الصلح مع المسلمين، ونجح بوسائله الخاصة فى استمالة الإمبراطورة مرتينه إلى رأيه، فى الوقت التى كانت هي نفسها تتجه وسياستها إلى الإذعان والتسليم بما يراه أنصارها مما يرون مصالحة المسلمين مهما كلفهم الأمر(٣٦٢).

وللمرة الثالثة اتسم حكم بتلر على المقوقس بقسوة لا مبرر لها، ولهذا فنحن نرفض رأي بتلر ويمكن الرد عليه ودحض رأيه برواية يوحنا النقيوسي، المصدر الرئيسي لبتلر والثقة لديه فى تناوله لأحداث الفتح الإسلامي لمصر، الذى يذكر أن المقوقس البطرك الخلقدونى، لم يكن هو الذى يرغب فى السلام وحده مع العرب وإنما كان هناك أيضا رغبة شديدة من سكان مصر والحكام، والقائد دومنتيانوسDomentianus، أحد حكام بيزنطة في مصر الذى كان مواليا للإمبراطورة مرتينه، فاجتمعوا واتفقوا مع قيرس على إنهاء الحرب بعقد صلح مع المسلمين[٣٦٣]، وتم تكليف قيرس بالعودة إلى مصر ومعه تفويض كامل من الإمبراطورة البيزنطية يخول له عقد الصلح وتسليم مصر للعرب[٣٦٤]،وبالفعل ذهب قيرس إلى عمرو فى بابليون ليفاوضه على الصلح، ورحب عمرو بذلك، وتم الاتفاق على عقد صلح أو معاهدة يمكن ان يطلق عليها معاهدة بابليون الثانية أو صلح الإسكندرية، لأنها كانت فى معظم شروطها خاصة بأهل الإسكندرية وحاميتها، وتم توقيع المعاهدة فى عام ٢٠هـ/نوفمبر ٦٤١م[٣٦٥]، ومن شروط هذا الصلح حسبما أورده يوحنا النقيوسي[٣٦٦]:

١- أن يدفع الجزية كل من دخل فى العقد، ونصت على دينارين يدفعهما كل بالغ.

٢- أن تعقد هدنة لمدة أحد عشر شهرا تنتهي فى أول شهر بابه القبطي الموافق أواخر ٢١هـ/٢٨سبتمر٦٤٢م، يتم خلالها جلاء الروم بأموالهم وأمتعتهم سواء عن طريق البحر أو البر، ويبقي العرب فى مواضعهم مدة الهدنة ولا يسعون لقتال الإسكندرية.

٣- أن لا يسعي الروم للعودة إلي مصر أو محاولة استردادها.

٤- أن لا يتعرض العرب لكنائس المسيحيين أو التدخل فى شئونهم الدينية.

٥- وأن يباح لليهود الإقامة فى الإسكندرية، وتذكر رواية ابن عبد الحكم أن عدد اليهود فى المدينة كان حوالي أربعين ألفا أوسبعين ألفا[٣٦٧].

٦- أن يقدم الروم للعرب ١٥٠ جنديا، و٥٠مدنيا كرهائن لتنفيذ شروط الصلح.[٣٦٨]

وهكذا ضمن المسلمون للأقباط الحفاظ على أرواحهم وأموالهم وكنائسهم، وأعطوهم الحرية الكاملة فى الاحتفاظ بدينهم وممارسة شعائرهم دون مضايقة[٣٦٩]، وقد أكد على ذلك المؤرخ القبطي المتعصب يوحنا النقيوسي عندما ذكر أن عمرو بن العاص لم يضع يده على شيئ من تلك الكنائس ولم يرتكب شيئا من النهب أو الغصب، بل إنه حفظ الكنئائس وحماها[٣٧٠]، ويلاحظ أن الجزية التى قررت على أقباط مصر فى صلح الإسكندرية تختلف عن جزية صلح بابليون وذلك أنه اشترط أن يدفع كل حسب مقدرته وبما لديه من الزرع والأرض.

ويعلق بتلر على صلح الإسكندرية بقوله أن هذا الصلح أكد بما لا يدع مجالا للشك الخيانة العظمي للمقوقس لدولة الروم، وأنه بذلك هدم سلطان الروم وضيع أمرهم فى مصر، وأنه خدع الإمبراطور هرقلوناس باغراءه أو إقناعه بعقد هذا الصلح مستغلا فى ذلك ضعف أمره وجهله بالأحوال فى مصر، ووقوعه تحت تأثير أمه الإمبراطورة التى كانت تسيره كيفما شاءت، وأنه يؤكد أيضا على صلته المريبة بالمسلمين على أساس أن الإسكندرية كانت من المنعة والحصنة بحيث لا تكاد تنالها قوة عمرو بن العاص وجنوده، خاصة وإنها كانت تتلقى المدد والعون من البحر، وكان الأسطول البيزنطي يذرع البحر المتوسط جيئة وذهابا، ويقدم العون البحري للمدينة فى وقت افتقد فيه المسلمون لمثل هذا السلاح البحري، كما أن الإسكندرية كان من الممكن أن تتحمل حصار سنتين أو ثلاث سنوات فى وقت افتقد فيه المسلمون إلى آلات الحصار ودك الأسوار التى تمكنهم من اقتحام المدينة، ولذلك فإن الأسباب أو المبررات التى ساقها المقوقس، واقتنع بها الإمبراطورة

الوصية على هرقلوناس بأن الجيش البيزنطي كان خائر الأنفاس،وأن الناس داخل المدينة أصبحوا شيعا وفرقا هي حجج واهية، فما كان ينبغي التفريط في المدينة مثلما فعل المقوقس الذى أسلمها للمسلمين خفيه وعفوا بلا أية ضرورة[٣٧١]. وهكذا يكشف بتلر للمرة الرابعة عن مدى كراهيته للمقوقس، ولم يجانبه الصواب في هذه المرة أيضا في تحليله وتعليقه على صلح الإسكندرية[٣٧٢].

وقد تضاربت روايات المصادر الإسلامية حول فتح الإسكندرية،إذ كان قد تم صلحا- طبقا لما ذكره المؤرخ القبطي- أو عنوة[٣٧٣]، بشكل يجعل الباحث في حيرة من أمره حول حسم هذا الموضوع خاصة وأن المراجع الحديثة أيضا لم تستطع حسم هذا الأمر، وإن اتفق أغلبهم على أن الإسكندرية بصفة خاصة قد فتحت صلحا[٣٧٤]، وسوف نعرض في السطور التالية بالنقد والتحليل لبعض المصادر الإسلامية في محاولة لحسم هذه القضية الخاصة بفتح الإسكندرية صلحا أم عنوة.

فابن عبد الحكم يورد لنا أكثر من رواية تؤكد فتح الإسكندرية كان عنوة بغير عهد ولا عقد وأنه لم يكن لأهل الإسكندرية صلح ولا ذمة[٣٧٥]، ويؤيده في ذلك الكندي الذى يؤكد فتح الإسكندرية عنوة بعد حصار ثلاثة أشهر[٣٧٦]. ويتفق ابن الأثير مع تلك الروايات، ويؤكد على فتح الإسكندرية عنوة ويؤكد على قوله بذلك أن المقوقس أثناء حصار عمرو للإسكندرية أرسل يطلب منه عقد صلح بينهما، فرفض عمرو ذلك[٣٧٧]، فقاتلهم المسلمون وحصروهم ثلاثة أشهر، وفتحها عمرو وغنم ما فيها وجعلهم ذمة[٣٧٨]، وقد أورد ابن الأثير رواية أخري تناقض روايته الأولي يشير فيها أن الإسكندرية فتحت صلحا، وأن المقوقس صالح عمرا على اثني عشر ألف دينار على أن يخرج من الإسكندرية من أراد الخروج ويقيم من أراد القيام[٣٧٩].

أما بالنسبة لرواية البلاذري فهو يذكر في أحد المواضع من كتابه أن الإسكندرية فتحت عنوة بعد فقال استمر ثلاثة أشهر" وفتحها عمرو بن العاص

بالسيف، وغنم ما فيها، واستبقى أهلها ولم يقتل ولم يسب، وجعلهم ذمة كأهل إليونة(حصن بابليون)، وكتب إلى عمر بالفتح مع معاوية بن حديج، ثم السكوني، وبعث إليه بالخمس(٣٨٠)، ويؤكد البلاذري على هذه الرواية حينما يذكر أن عمرو ابن العاص خطب مرة على المنبر فقال" لقد قعدت مقعدي هذا وما لأحد من قبط مصر على عهد ولا عقد،إن شئت قتلت،وإن شئت خمست،وإن شئت بعت،إلا أهل أنطابلس،فإن لهم عهدا يوفي لهم به"(٣٨١)وهذه الرواية أن صحت فإنها تؤكد أن القبط لم يكن لهم من الأمر شيء، وأن العقد إنما كان بين العرب والروم، ولقد كان هذا صحيحا فبالقراءة المتعمقة لشروط صلح الإسكندرية ،يوضح أن العقد كان بين العرب والروم وعلى أن القبط كانوا داخلين فيه، ويدلل البلاذري على هذا الرأي أيضا عندما يذكر أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلي ماوردان مولى عمرو بن العاص يأمره بزيادة الجزية على القبط، فأجابه وردان أنه لا يستطيع ذلك،لأن فيه نقضا للعهد الذى لهم(٣٨٢) ويدلل البلاذري على رأيه هذا بدليل آخر عندما يذكر رواية عن عروة بن الزبير يقول فيها"أقمت بمصر سبع سنين، وتزوجت بها فرأيت أهلها مجاهيد، قد حمل عليهم فوق طاقتهم،وإنما فتحها عمرو بصلح وعهد وشيء مفروض عليهم(٣٨٣).

وفى رواية أخري يذكر البلاذري أن الإسكندرية فتحت صلحا على أساس أن المقوقس صالح عمرا على ثلاثة عشر ألف دينار، على أن يخرج من الإسكندرية من أراد الخروج، ويقيم بها من أحب القيام، وعلى أن يفرض على كل حالم من القبط دينارين، فكتب لهم بذلك كتابه(٣٨٤).

أما رواية الواقدى فهي تتسم بالغموض إلي حد ما، فإنه يذكر أن الإسكندرية فتحت عنوة، إلا أن عمرو بن العاص عامل المصريين معاملة من فتحت بلادهم صلحا ليكسب محبتهم، وإن كانت رواية الواقدى تشير إلى شروط المسلمين بعقد الصلح أنها تتسم بنوع من القسوة ومنها أن يدفع الروم والقبط مائة ألف مثقال من

الذهب وفى حالة رفضهم الإسلام تؤخذ منهم الجزية عن السنة التالية من كل رجل وغلام بلغ الحلم أربع دنانير، وأن لا يركبوا دابة، ولا يعلو بمنازلهم على منازل المسلمين، ولا يرفعوا أصواتهم على أصوات المسلمين، ولا يبنوا كنيسة ولا صومعة ولا ديرا، ولا يجددوا ما دثر منها، وتلقوا المسلمين بالذل والانكسار وتسارعوا إلى قضاء حوائجهم وما يريدون فى إصلاح شأنهم، ومن أذنب منكم ذنبا حددناه(أي أقمنا عليه الحد)، ومن ارتد عن قولنا قتلناه وأن تشدوا الزنانير على حضوركم إظهارًا لدينكم، وان لا تظهروا ناقوسا ولا صليبا [٣٨٥].

ومن الصعب تقبل هذه الرواية من جانبنا خاصة وأنها تتعارض مع رواية غالبية المؤرخين المسلمين كما أنها تتعارض تماما مع ما ذكره المؤرخ القبطي المتعصب يوحنا النقيوسي، كما أن الواقدى نفسه يذكر فى نفس الموضوع أن المسلمين قد خففوا فيما بعد من شروط هذا الصلح عندما ذكر أنهم فرضوا الجزية على البالغين فقط وكل حسب طاقته، ومن كان معسرا ضعيفا فإنهم أعفوه من الجزية، وكذلك أعفوا اليتامي الفقراء والأرامل من القبط بصفة خاصة[٣٨٦].

وفيما له صلة برواية الواقدى، نجد أن رواية ابن زولاق شبيهه إلى حد ما برواية الواقدى فيما يخص نجاح المسلمين فى فتح الإسكندرية، ثم عقد عمرو صلحا مع المقوقس ليكسب محبة الروم والقبط فصار من جملة عمرو خلق من الروم والقبط[٣٨٧]، على أن رواية ابن زولاق تتسم باختصار شديد، كما أنها لم تشر إلى شروط الصلح بين عمرو والمقوقس، وبالتالي فهي لا تشفى غليل الباحث حول هذا الأمر.

وقد جاء فى كتاب الطبري ذكر شروط ذلك الصلح وإن كان يسميه صلح بابليون أو عين شمس بدل أن يسميه صلح الإسكندرية. والمرجح أن عمرو بن العاص قد أعطي نفس هذا الصلح لأهل الإسكندرية[٣٨٨] ونص هذا الصلح"بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطي عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم

وملتهم وأحوالهم وكنائسهم وصليبهم، وبرهم، وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ولا يسكنهم النوب(أهل النوبة)، وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا ما اجتمعوا على هذا الصلح، وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف[٣٨٩] وعليهم ما جنى لصوتهم، فإن أبي أحد أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدر ذلك، وذمتنا ممن أبي بريئة ،وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهي رفع عنهم بقدر ذلك، ومن دخل فى صلحهم من الروم والنوب فله مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم، ومن أبي واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه، أو يخرج من سلطاننا، عليهم ما عليهم أثلاثا فى كل ثلث جباية ما عليهم، على ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة خليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين ، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا، وكذا وكذا فرسا على ألا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة، وشهد عليه الزبير وعبد الله ومحمد وابناه، وكتب وردان وحضر[٣٩٠]". ويفهم من نص الطبري أن الإسكندرية قد فتحت صلحا[٣٩١]. وبمقارنة هذا النص للصلح بما جاء فى كتاب يوحنا النقيوسي، يلاحظ وجود اختلاف بين النصين، ولكن يمكن القول أن كلا النصين يكمل أحدهما الأخر واتفقا على أن الإسكندرية قد فتحت صلحا.

أما أبو المحاسن صاحب النجوم الزاهرة فيورد العديد من الروايات لعل أهمها تلك التى تشير إلي أن الإسكندرية قد فتحت صلحا ويذكر فيها أن شيخا من القدماء سأل عن فتح مصر فأجاب بأن أهل مصر كان لهم كتب ثلاث. فسأل: كيف كان صلحهم؟ قال: دينارين على كل إنسان جزية وأرزاق المسلمين.قلت:أفتعلم ما كان من الشروط؟ قال نعم: ستة شروط: لا يخرجون من ديارهم ولا تنزع نساؤهم ولا أولادهم، ولا كنوزهم، ولا أراضيهم، ولا يزاد عليهم[٣٩٢].

أما رواية ابن وصيف شاه فهي تتسم بالاضطراب وتشير إلى أن الإسكندرية سقطت عن طريق الخيانة من قبل أحد الأقباط الذين كانوا قائمين بالحراسة على

أحد أبوابها، فيذكر أن عمرو بن العاص حاصر الإسكندرية أشد حصار حتى أشرف على أخذها، فلما رأي المقوقس أن المسلمين أشرفوا على أخذها أرسل إليهم يطلب الصلح مقابل أن يدفعوا الجزية، وأنه أثناء المفاوضات الدائرة أتى رجلا يسمي ابن بسام كان على أحد أبواب الإسكندرية حيث تواطأ مع عمرو بن العاص على فتح هذا الباب للمسلمين فملكوها، وأسروا المقوقس(٣٩٣) وهذه الرواية من الصعب قبولها خاصة وإنها تشير إلى سقوط المدينة عن طريق الخيانة وهو الأمر الذى لم يذكر فى بقية المصادر الإسلامية وأن اتفقت مع رواية ابن عبد الحكم الذى يشير إلى دور ابن بسام هذا فى فتح الإسكندرية، ولكن رواية ابن عبد الحكم تؤكد أن ذلك حدث فى فتح الإسكندرية الثاني ٢٥هـ/٦٤٥م(٣٩٤).

أما المقريزى فقد أثبت فى كتابه العديد من الروايات وأوضحها بشكل بين وأسند كل رأي إلي صاحبه حيث ذكر بعض مواضع صالح العرب فيها القبط، ولكن قيل أن القبط جعلوا فى عقدهم العام شروطا ستة:

١-ألا يخرجوا من ديارهم.

٢- ألا يفرق بينهم وبين أزواجهم.

٣- ألا يطردوا من قراهم.

٤- ألا تنزع منهم أراضيهم.

٥- ألا تزاد عليهم الجزية.

٦- أن يحموا من عدوهم(٣٩٥).

وعلى هذا النحو تضاربت روايات المصادر الإسلامية والقبطية حول فتح مصر عامة والإسكندرية خاصة إذا كان قد تم عنوة أم صلحا. والمؤكد فيه أن الروايات التى ذكرت أن الإسكندرية قد فتحت عنوة غير صحيحة خاصة وأن الإسكندرية كانت من المنعة والحصانة بحيث لا تكاد تنالها قوة عمرو بن العاص ومن معه من الجنود، فكان دور أسوارها نحو تسعة أميال أو عشر :ثلاثة منها مما

يلي البحر،وأكثرها ما بقي منها تحميه الغياض والبحيرات، والترعـة[٣٩٦]؛ وكـان عمرو بن العاص يعلم ذلك تماما ولذلك كان عمرو في حصاره لها لم يكن ليقترب إلا من جزء يسير من تلك الأسوار، ولا نكاد نعرف في تاريخ مدينة الإسـكندرية أنها أخذت عنوة مرة واحدة بغير أن يكون أخذها بخيانة من داخلها. وهذا يفسر لنا استمرار حصار الإسكندرية لما يزيد عن عام ولذلك فنحن نعترف بإنه كـان مـن الصعب على عمرو فتح الإسكندرية بالسهولة التى صـورتها بعـض المصـادر، خاصة وأن آلات دك الأسوار التى كانت لدي جيش عمرو بن العاص كانت أقـل وأضعف من أن تقوم بتدمير أو دك أسوار وحصون المدينة، والتى وصفها ابن عبد الحكم من بقوله" إن الإسكندرية كان عليها حصون مبنيـة لا تـرام حصـن دون حصن"[٣٩٧].

ولم ينس عمرو بن العاص كقائد عسكري محنك أنه ما دامت أساطيل الروم تسيطر على مياه البحر المتوسط وتقوم بالدفاع عن الإسكندرية من ناحية البحر فى وقت افتقد فيه المسلمون إلى القوة البحرية التى تمكنهم مـن مواجهـة الأسـطول البيزنطي وحصار الإسكندرية بحرا، يجعل من الصعب للغاية إسقاط الإسـكندرية بهذه السهولة، ولهذا كانت الظروف السياسية فى بيزنطة، وكذلك الظروف السياسية والدينية المضطربة داخل الإسكندرية بعد موت الإمبراطور هرقل، وعزل المقوقس عن حكم الإسكندرية ونفيه، وانقسام المدافعين عن المدينة إلى شيعة وفـرق مـن العوامل الرئيسية التى ساعدت على فتح الإسكندرية صلحا.

ويبدو أن الأمر قد اختلط على هذه المصادر ، فخلطوا بين فتح الإسـكندرية الأول التى تم صلحا، وبين فتح الإسكندرية الثاني الذى تم عنوة، عندما أرسل الروم فى عهد الإمبراطور قنسطانز الثانى حملة بحرية ضخمة بقيادة مانويـل الخصـي تمكنت من الاستيلاء على الإسكندرية وبعض مدن مصر السفلي عام٢٥هـ/٦٤٥م، وتحرج موقف العرب فى مصر وكان الوالي وقتذاك عبد الله بن سـعد بـن أبـي

السرح من قبل الخليفة عثمان بن عفان ، واضطر الخليفة تحت إلحاح أهل مصر إلي إرسال عمرو بن العاص مرة أخرى إلي مصر لمحاربة الروم لما له من معرفة وخبرة بحربهم، وتمكن عمرو من القضاء على الحملة البيزنطية وهزيمة وقتل قائد جيش الروم وفتح الإسكندرية عنوة وهدم أسوارها وفاء لقسمه بأن يقوم بهدم أسوار المدينة إذا تمكن من فتحها ثانية(٣٩٨).

ويبدو أن القبط لعبوا دورا في اقتحام عمرو للإسكندرية، كما يذكر ابن عبد الحكم في روايته عن طريق أحد حراس القبط على أحد أبواب الإسكندرية ويسمي ابن بسامة (٣٩٩)، ويؤكد وجهة نظرنا هذه أن الإسكندرية فتحت عنوة في الفتح الثاني وليس في الفتح الأول ما ذكره البلاذري في إحدي رواياته نقلا عن موسي ابن على عن أبيه في قوله" أن عمرا فتح الإسكندرية الفتح الآخر عنوة"(٤٠٠)، ويؤكد وجهة نظرنا أيضا أن فتح الإسكندرية الأول لم يكن عنوة ما ذكره الخليفة عمر بن عبد العزيز قوله"أنه لم تفتح قرية في المغرب على صلح إلا ثلاثة: الإسكندرية، وكفرطيس، وسلطيس" (٤٠١) ولهذا فنحن نميل إلي إن الروايات التي ذكرت أن فتح الإسكندرية الأول تم صلحا وعلى رأسها رواية المؤرخ القبطي المتعصب يوحنا النقيوسي، ويؤكد وجهة النظر تلك أن البلاذري الذى لم يقدر على أن يمحو من ذهنه أن الإسكندرية لم تفتح عنوة مع إقراره بأن" عمرو بن العاص لم يقتل أهلها ولم يسبهم بل جعلهم أهل ذمة"(٤٠٢)، والفتح عنوة لا يتفق بحال مع جعل أهل المدينة أهل ذمة، فإقرار البلاذري بأن أهل الإسكندرية كانوا أهل ذمة دليل على أنه عندما ذكر فتح الإسكندرية عنوة إنما كان يقصد الفتح الثاني (٤٠٣).

ويؤكد على ذلك أيضاً ما ذكره البلاذري في روايته أن معاوية بن أبى سفيان كتب إلي وردان مولى عمرو ابن العاص يأمره بزيادة الجزية على القبط فأجاب وردان أنه لا يستطيع فعل ذلك، لأن فيه نقضاً للعهد الذي لهم (٤٠٤). وهناك دليل قوي يؤكد ما نقله البلاذري عن عقبة بن عامر الجهني قول (أنه كان لأهل مصر

عهد وعقد كتبه لهم عمرو بن العاص أنهم آمنون على أموالهم ودمائهم ونسائهم وأولادهم ، لا يباع أحد منهم ، وفرض عليهم خراج لا يزيد عليهم، وأن يدفع عنهم خوف عدوهم وقال عقبة (وأنا شاهد على ذلك)[٤٠٥] ويمكن القول أن أصح الروايات وأقواها التي تؤكد أن فتح الإسكندرية كان صلحاً وليس عنوة هي ما جاء في كتاب المقريزي الذي أثبت الآراء المختلفة وأوضحها بشكل جلي وأسند كل رأي إلى صاحبه[٤٠٦] . وخير تلخيص لما سبق كدليل قاطع على أن الإسكندرية فتحت صلحا ما قاله شيخ من القدماء إذ سمع أناسا يذكرون عن فتح مصر إنه لم يكن لأهلها عهد[٤٠٧]، فأجاب: (ما يبالي ألا يصلي من قال إنه ليس لهم عهد).

وكيفما كان الأمر ففي أواخر سنة ٢١ هـ / سبتمبر ٦٤٢ م تم جلاء الجند الروم عن مصر[٤٠٨] ، ودخلت مصر تحت لواء الإسلام بعد حرب دامت أكثر من عامين ،وبعد أن كانت مصر درة الدولة البيزنطية ، أصبحت أثمن جوهرة في الدولة الإسلامية بعد اقتطاعها نهائيا من الإمبراطورية البيزنطية. ويمكن القول أيضا أنه بفتح مصر تمكن المسلمون من السيطرة على أعظم موقع استراتيجي يمثل مفتاح الشمال الإفريقي بأسره، إذ مكن هذا الفتح العرب من السيطرة على شرق البحر المتوسط ، وفتح أمامهم الطريق غرباً حتى جبال البرانس وجنوبا إلى قلب إفريقية، فيعتبر فتح مصر بذلك أعظم الفتوحات الإسلامية أهمية وأبعدها أثرا.

وحرى بالذكر قبل الخوض في النقطة الأخيرة والهامة من هذه الوريقات. أنه عقب سقوط الإسكندرية أمتد نفوذ العرب تدريجيا إلى سائر الأقاليم في مصر[٤٠٩]، وأن السبب الذي حمل المسلمين على فتح مصر لتأمين فتوحاتهم في بلاد الشام ، جعلهم يتجهون إلى فتح برقة (أنطابلس) وطرابلس لتأمين مركزهم في مصر.[٤١٠]

والواقع أن برقة كانت تعتبر امتداداً طبيعياً لمصر واقليميا متمما لها، إذ هي تجاور لوبيا ومراقية، وهما كورتان من كور مصر الغربية[٤١١] فبعد الانتهاء من فتح مصر مباشرة، سار عمرو إلى برقة فيفتحها ويصالح أهلها على جزية يؤدونها

إليه وهي دينار على كل حالم [٤١٢] وفي سنة ٢٢ هـ / ٦٤٢ م غزا عمرو طرابلس وفتحها عنوة ويقال أنه فتحها عام ٢٣هـ / ٦٤٣ م[٤١٣].ويمكن أن نعتبر فتح برقة وطرابلس خاتمة لفتح وادي النيل كله.

ثالثا: موقف المصريين الأقباط واليهود من الفتح الإسلامي لمصر:

ونتساءل : ما هو موقف القبط واليهود المصريين من الفتح الإسلامي لمصر؟

وعلى الرغم من أن الإجابة على هذا التساؤل قد يبدو لكثير من الباحثين أنه لن يأتي بجديد خاصة وأن هذا الموضوع قد عالجه الكثير من المؤرخين القدامى والمحدثين، وعلى أساس إجماع المؤرخين المحدثين بصفة خاصة على أن القبط كانوا خير عون للفاتحين المسلمين، وقدموا لهم العون منذ دخولهم الحدود الشرقية لمصر حتى فتح الإسكندرية، ثم استكمال فتح بقية أقاليم مصر بعد ذلك[٤١٤]، استناداً إلى نصوص المصادر الإسلامية التي أقرت بذلك وأكدت على أن الأقباط كانوا بمثابة الطابور الخامس للمسلمين أثناء مراحل الفتح الإسلامي ضد الروم، وكأن هذه القضية قد حسمت وأن محاولة معالجتها من جديد نوعاً من العبث الذي لن يأتي بجديد. إلا أننا نرى أن هذا الموضوع بحاجة إلى معالجة جديدة وقراءة جديدة متأنية ومتعمقة بعيداً عن الحماس والعاطفة، لنصوص المصادر الإسلامية والقبطية، التي تناولت بين دفتيها موقف الأقباط، خاصة وأنه تيسرت لنا أيضاً نصوص جديدة أوضحت الموقف الحقيقي لهؤلاء القبط، كما أن نصوص المصادر الإسلامية ومعها المراجع الحديثة لم تشر على الإطلاق إلى موقف اليهود من الفتح الإسلامي لمصر وضربت صفحاً عن هذا الموقف، كما أن الدراسات الحديثة لم تتعرض على الإطلاق لموقف هؤلاء اليهود الذين كانوا يكونون جاليات كبيرة في بعض مدن مصر خاصة الإسكندرية[٤١٥]، وقد تيسرت لنا نصوص جديدة أوضحت إلى حد ما موقف هؤلاء اليهود من الفتح الإسلامي لمصر.

وقد تضاربت روايات المصادر الإسلامية مع المصادر القبطية حول حقيقة موقف الأقباط من المسلمين أثناء الفتح ، كما اختلفت آراء المؤرخين المحدثين من العرب والأوربيين في تحليلهم لموقف الأقباط من الفتح ، وإن أجمعت هـذه الآراء على أن القبط كانوا خير عون للمسلمين أثناء الفتح ، كمـا اختلفـت آراء هـؤلاء المؤرخين في تحديد الوقت الذي حسم فيه الأقباط موقفهم من الفتح الإسلامي إمـا بالإيجاب أو الحياد تجاه هذا الفتح . وفي الوريقات القليلة الباقية سـوف نعـرض لروايات المصادر الإسلامية والقبطية حول ذلك، وآراء المراجع العربية والغربيـة الحديثة حول ذلك، ثم نتعرض في ذلك في النهاية بالتحليل والنقد لهذه الروايـات، طبقاً لما تيسر لنا من نصوص وأدلة وشواهد جديدة من أجل حسم هذا الموضوع .

ذكرنا في بداية الدراسة حول أسباب الفتح الإسلامي لمصـر أن المسـلمين وعلى رأسهم عمرو بن العاص كانوا على علم تام بثراء مصر وخصبها إلى جانب ما كانت تعانيه من الاحتلال البيزنطي والعداء المذهبي القائم بين المصريين الأقباط وبين الروم، وتأكدهم من أن القبط إما سيقفون على الأقل موقف الحياد بينهم وبين الروم أو أنهم سيكونون عوناً للمسلمين. والواقع أن العرب في فتحهم لمصر إنمـا كانوا يحاربون البيزنطيين لا المصريين في وقت أنهكت المصريين الأعباء المالية والاضطهادات الدينية، حتى أن المؤرخين القبط في العصور الوسطي وعلى رأسهم يوحنا النقيوسي وساويرس بن المقفع أشعرونا بأن انتصار المسلمين في مصر هو (غضب الله على الروم)، ويتجلى في ثنايا كتاباتهم مدى العداوة بينهم وبين الروم، فيقول يوحنا النقيوسي أن انتصار المسلمين على الروم في حصن بابليون لم يكن إلا عقاب لله على ما فعله الروم من الأفاعيل في القبط [٤١٦] ويذكر في موضع آخر أن جميع الناس يذكرون أن سبب انتصار المسلمين على الروم هـو اسـتبداد هرقـل والاضطهادات التي أنزلها بالارثونكس والتي كان قيرس (المقـوقس) هـو الأداة المحركة لها[٤١٧]. كذلك يذكر ساويرس بن المقفع أن الله كان يخذل جيوش الـروم

أمام المسلمين بسبب عقيدتهم الخلقدونية الفاسدة(٤١٨)، وهكذا حاولت تلك المصادر القبطية أن توحي أن المصريين رحبوا بالعرب واعتبروهم منقذين لهم وأداة للخلاص من نير الحكم البيزنطى، كما أنهم كانوا قد سمعوا كثيراً عن عدل الإسلام وتسامح المسلمين، ولهذا فضلوا أن يعيشوا في ظل الإسلام عن أن يخضعوا لسلطات بيزنطية ظالمة، وأكد يوحنا النقيوسي وهو أحد رجالات القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي ، على ذلك عندما ذكر أنه منذ دخول العرب مصر، قبل أن يتم فتحها نهائياً، أسلم كثير من المصريين الأقباط وحاربوا مع العرب بعد إسلامهم ومن هؤلاء يوحنا أحد رهبان دير سيناء (٤١٩). وتتفق الرواية الإسلامية هنا مع الرواية القبطية التي تتمثل في رواية الواقدي الذي يشير إلى اعتناق الكثير من الأقباط للإسلام،وأنهم صحبوا الجيوش الإسلامية أثناء الفتح(٤٢٠) ، وقدموا لهم العون ودلوهم على عورات الروم . ولا توضح هذه المصادر إذا كان هؤلاء الأقباط قد انضموا إلى العرب بسب كراهيتهم للبيزنطيين أو بدافع من الحماس لنصرة الدين الجديد أو للسببين معاً. وبذلك أكدت الروايات القبطية والإسلامية أن الذين ساعدوا العرب هم المصريون الذين دخلوا الإسلام فقط دون الأقباط المسيحيين(٤٢١).

وعلى هذا النحو اتفقت الروايات الإسلامية مع المصادر القبطية في أن المصريين القبط عاونوا العرب ضد الروم منذ دخولهم مصر، ويذكر أن عبد الحكم ومن نقل عنه من المؤرخين أمثال المقريزي(٤٢٢)، وأبو المحاسن(٤٢٣)، والسيوطي(٤٢٤)، أثناء حصار عمرو لمدينة الفرما أنه كان بالإسكندرية أسقف القبط يقال له أبو بنيامين (بنيامين) (بطرق الأقباط الارثوذكس) كتب إلى القبط يعلمهم أنه لا تكون للروم دولة وأن ملكهم قد انقطع وهو يأمرهم بتلقي أعوانا لعمرو ، فيقال أن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ أعوانا لعمرو(٤٢٥) .

ويؤكد ابن عبد الحكم على ذلك في موضع آخر من كتابه، فيذكر أنه بعد فتح عمرو حصن بابليون وعقد الصلح مع المقوقس وزحف إلى الإسكندرية، خرج جماعة من الرؤساء الأقباط لازموا عمراً في الطريق وأثناء حصاره لها، وأنهم عاونوه معاونة صادقة فأصلحوا له الطرق وأقاموا له الإنزال والضيافة والأسواق مابين الفسطاط والإسكندرية[٤٢٦]، كما أمدوا العرب بالطعام لهم والعلوفة لخيولهم[٤٢٧]، وصارت لهم القبط أعواناً على ما أرادوا من قتال الروم[٤٢٨] ويبدو أن هذا العون من أقباط مصر للعرب كان يمثل جزء لا يتجزأ ضمن شروط صلح بابليون على النحو الذي سنوضحه في حينه . وهكذا أكدت هذه الروايات أن القبط لعبوا دوراً كبيرا في مساعدة العرب في فتح مصر منذ البداية حتى أتموا الفتح وأنهم كانوا بمثابة طابور خامس للمسلمين في مصر.

على أن ابن الحكم يذكر في موضع آخر من كتابة رواية تناقض تماما ما سبق ذكره، عندما يشير إلى أن أهل بعض القرى مثل بلهيب (أو بلهيت) وقرطسا وسلطيس (سنطيس) وسخا،وهي قرى في شمال الدلتا ظاهر وا الروم على المسلمين ، فأخذ عمرو أهلها سبيا حتى ردهم عمر بن الخطاب إلى قراهم وفرض عليهم الخراج[٤٢٩] . وقد أورد البلاذري رواية مشابهة تماما كرواية ابن عبد الحكم حول قتال سكان هذه القرى من القبط للمسلمين[٤٣٠].وتذكر إحدى المؤرخات المحدثات في تفسيرها لهذا النص من ابن عبد الحكم والبلاذري أن هذا الفريق من الشعب المصري كان صنيعة للبيزنطيين، أو ربما حارب معهم منتظراً أن يكون النصر للبيزنطيين لا للعرب[٤٣١] . ويبدو أن مقاومة الأقباط للمسلمين لم تقتصر على هذه القرى في الوجه البحري، بل امتدت لتشمل مدن كبرى أخرى مثل دمياط وتنيس والفيوم وغيرها من أقاليم مصر الوسطى والوجه القبلي كما تؤكد المصادر الإسلامية[٤٣٢]. وبذلك تؤكد المصادر والمراجع الحديثة أن معظم أهل مصر من

القبط عاونوا المسلمين وقدموا لهم كل عون متاح في حربهم مع الروم فيما عدا قلة انضمت إلى الروم.

وكما أختلف المؤرخون المسلمون والأقباط حول الأقباط المصريين ، اختلف المؤرخون المحدثون في توضيح موقف المصريين من القبط من المسلمين .فبينما يرى البعض مثل السيدة بتشر – Butcher في كتابها "تاريخ الأمة القبطية وكنيستها" أن الأقباط استنجدوا بالخليفة عمر ابن الخطاب لينقذهم من ظلم واضطهاد الروم[٤٣٣]، نجد أحد المؤرخين المحدثين يذكر أن الأقباط الذين أضناهم طول الاضطهاد والظلم من قبل السلطات البيزنطية واعتبروهم هراطقة في نظر الكنيسة البيزنطية، وأثقلت قواهم بالضرائب والمكوس، لذلك رحبوا بالعرب وتعاطفوا معهم واعتبروهم أداة للخلاص من نير الحكم البيزنطي ، في وقت سمعوا فيه عن عدل الإسلام وتسامح المسلمين ،ففضلوا العيش في ظل الإسلام عن الخضوع للروم .على أن صاحب هذا الرأي يذكر أن الأقباط لم يحددوا موقفهم القاطع من العرب إلا بعد سقوط حصن بابليون فحسموا أمرهم، ومالوا مع العرب ضد الروم[٤٣٤] . وتذكر إحدى المؤرخات المحدثات أنه كان هناك فريق من المصريين الأقباط وقفوا من العرب موقف الحياد عند دخولهم مصر لأنهم يعرفون أن ترحيبهم بالعرب معناه انتقالهم من تبعية إلى تبعية أخرى، فإنهم لم يكونوا في موقف يستطيعون معه طرد البيزنطيين والعرب في وقت واحد [٤٣٥].

ويرى فريق من المؤرخين العرب والأوربيين أن أقباط مصر لم يتحركوا لمساعدة البيزنطيين المعتدين على حرياتهم، لاسيما وأن الدين الجديد كان أساسه التسامح مع أهل الذمة وترك أمور عقيدتهم يمارسونها كيفما شاءوا، ورأى أقباط مصر أنهم تحت حكم بيزنطة خاسرون سياسيا ودينيا، فرحبوا بالفاتحين الجدد ولم يقوموا بأية محاولة لمساندة بيزنطة في صراعها مع المسلمين في مصر[٤٣٦] ، فرحبوا بالعرب وفتحوا لهم قلوبهم قبل أبوابهم[٤٣٧] . ويقول المؤرخ ستيفن

رنسيمان steven Runciman وبما أن الأقباط اعتبروا الإسلام اقرب إلى مبادئهم ومعتقداتهم من تعاليم خلقدونيــة المســكوني ممــا دفعهــم للترحيــب بالمســلمين ومعاونتهم[٤٣٨] . أما بالنسبة للمؤرخ الإنجليزي الكبير بتلر فهو يأتي برأى مغــاير تماما لجميع آراء المؤرخين المحدثين حيث يرفض تماما الروايات العربية والآراء القائلة بمساعدة المصريين الأقباط للمسلمين أثناء الفتح، ويعتبرها فرية واتهامــات ليس لها أساس رددها المؤرخون بأنهم كانوا (أي الأقباط) دائما يرحبون بــالغزاة الأجانب فرحبوا أولا بالفرس ورحبوا ثانيا بالعرب ،وكأنهم يتخلصبــوا مــن نيــر ليضعوا نيراً آخر على رقابهم . وأدحض بتلر ما أدعــاه المغرضــون مــن المؤرخين، وخلص إلى أن القبط إنما كانوا أمه شاعرة بوجودها متماسكة فيما بينها، متمسكة بمذهبها الديني، واتخذت ذلك المذهب رمزاً لاستقلالها، ولــذلك لــم تكــن لترضى بأن تفتح ذراعيها لكل سيد جديد . وتقف معه في وجه السيد القديم ، وكل ما فعلته أنها وقفت أو بقيت مكانها لا تحرك ساكنا برغبتها ، تاركة ميدان النضال بين المتنافسين[٤٣٩]، أي أن بتلر يريد يؤكد أن الأقباط وقفوا من الفــتح الإســلامي لمصر موقف الحياد منذ بداية الفتح إلى نهايته ، وهو بذلك يتفق في بعض من هذا الرأي مع آراء بعض المؤرخين العرب المحدثين[٤٤٠]، وقد استند بتلر في رأيه هذا على روايات بعض المؤرخين المسلمين والأقباط وعلى رأسهم يوحنا النقيوسي.

وقد حاول أحد المؤرخين المحدثين أن يوفق بين هــذه الروايــات المختلفــة والآراء المتضاربة، فيذكر أن المصريين الأقباط كانوا يعلمون أن العرب أصحاب دين جديد يخالف دينهم، وربما اعتقدوا أنهم غزاة جدد مثل الفرس جــاءوا لطــرد الروم ويحلوا مكانهم، فالأمر بالنسبة إليهم كان مجرد تغيير سيد بسيد، ولــذلك لــم يعنهم في أول الأمر، القتال الدائر بين الروم والعرب ، ووقفوا منه موقف الحيــاد مترقبين نتيجة هذا الصراع في مراحله الأولى ، ولما فتح المسلمون الفرما وبلبيس وأسقطوا حصن بابليون[٤٤١] وعقدوا صلح بابليون الأول الذي تضمن شروط تمنح

الأقباط امتيازات منها الحرية الدينية لهم داخل مصر وهي أمور لم يحلموا بها أيام الحكم البيزنطي ، وخلال مراحل الفتح الأولى لمس الأقباط المصريون في العرب أنهم قوم لم يعمدوا إلى السلب والنهب شأن الجيوش الغازية الأخرى كما وجدوا منهم شجاعة وتواضع وبساطة حيث وجدوا فرقاً كبيراً بينهم وبين الروم[٤٤٢] ، الذين ظلوا على معاملتهم للمصريين حتى وهم في أشد أوقات محنتهم، واستند هذا الرأي على ما ذكره بتلر اعتمادا على المؤرخ القبطي يوحنا النقيوسي. من أن الروم أخرجوا المصريين الذين لجأوا إلى حصن بابليون ،وأنهم اضطهدوا من بقي منهم بالحصن وأجبروهم على اعتناق مذهبهم ، ثم وضعوهم في السجون وأنزلوا بهم أشد العذاب، فلما كان يوم جلائهم عن الحصن ،صبوا نقمتهم على هؤلاء المسجونين فسحبوهم من سجونهم وضربوهم بالسياط وقطع الجنود أيديهم[٤٤٣]، مما دفع المؤرخ القبطي يوحنا النقيوسي للقول بأن فتح المسلمين لحصن بابليون كان عقابا من الله على ما اقترفة الروم ضد الأقباط[٤٤٤]. ومن هذه اللحظة حسم الأقباط أمرهم بالانحياز الكامل إلى جانب العرب خصوصا أهل مصر الوسطى والصعيد .

أما مصر السفلى (الوجه البحري) فانحاز الكثير من أهلها للروم نظراً لقربهم من العاصمة واختلاطهم بالروم ، وقد يكونون على مذهبهم الديني ، لذلك واستنادا على نص ابن عبد الحكم عندما خرج عمرو إلى الإسكندرية خرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد أصلحوا لهم الطرق لهم الأسواق وصارت القبط لهم أعواناً على قتال الروم[٤٤٥] .

والواقع أن القراءة المتعمقة والمتأنية لنصوص المصادر الإسلامية والقبطية وما تحت أيدينا من نصوص جديدة توضح وتؤكد أن المصريين الأقباط في موقفهم من الفتح الإسلامي لمصر انقسموا إلى فريقين: أغلبية رفضت الفتح الإسلامي لمصر ووقفت منه موقفاً معاديا تماما، بل وقاومت المسلمين بشدة منذ دخول جيش عمرو إلى العريش حتى فتح الإسكندرية وبقية أقاليم مصر الوسطى والعليا وبقية

أجزاء مصر الوسطى، والفريق الثاني وهم أقلية وقفت موقفا حيادياً منذ بداية الفتح إلى نهايته، وهي أقلية لا يعتد بها ولم تكن مؤثرة في الأحداث أو عمليات الفتح الإسلامي بين السرعة والبطء، مثلما كان الحال مع الفريق الأول من الأغلبية القبطية. ذلك أن نصوص تلك المصادر الإسلامية والقبطية التي حاولت أن تظهر الأقباط بمظهر المعين أو المساعد للمسلمين أثناء الفتح حتى نهايته، قد تضمنت في نفس الوقت أدلة وشواهد قوية تؤكد وجهة نظرنا في موقف الأقباط المعادي تماما للفتح الإسلامي، على أساس أن الأقباط شعروا بأنفسهم كأمة وكشعب أصيل أن يكونوا مجرد سلعة تنتقل من محتل إلى آخر، ولم يكن القبط ليرضون بأن يفتحوا أذرعهم لكل سيد جديد وتقف معه في وجه السيد القديم، لأنهم اعتقدوا كما أكدت ذلك العديد من المصادر وعلى رأسها كتاب ابن عبد الحكم بالتلميح والتصريح، أنهم لا يجب أن يظهروا بمظهر الدناءة والذلة أمام الفاتحين الجدد .

كما أن محاولة هذه المصادر في رواياتها التي يشك في أغلبيتها في إظهار الدور الذي لعبه الأقباط مع المسلمين في عمليات الفتح ، وتسهيل هذا الفتح ، تحاول أن تؤكد أن القادة والجند المسلمين لم يكن لهم دور في عمليات الفتح وأنه لولا دور هؤلاء الأقباط وما قدموه من عون للمسلمين ، فلربما تعثرت عملية الفتح لمصر وربما استغرقت سنوات وسنوات ، وأنساق وراء هذه الروايات أغلبية المؤرخين المحدثين الذين اعتبروها حقيقة غير قابلة للشك أو النقض[٤٤٦] ولذلك نحن لا نتفق مع روايات المصادر الإسلامية ولا آراء المؤرخين المحدثين من العرب والأوربيين حول هذا الأمر، خاصة وأنها اعتمدت على قراءة غير دقيقة لنصوص المصادر، كما أنهم أغفلوا قراءة نصوص جديدة احتوتها هذه المصادر.

فابن عبد الحكم في روايته التي نقلها عنه المؤرخون مثل المقريزي وأبو المحاسن والسيوطي وغيرهم، والتي أشارت إلى أن القبط الذين كانوا بالفرما ، يومئذ أعواناً لعمرو وذلك استجابة لطلب بنيامين الذي كان مختفياً بالإسكندرية[٤٤٧]،

يمكن دحضها بالنظر إلى فترة حصار المسلمين للفرما التي استغرقت حوالي شهر، وواجه المسلمون خلالها مقاومة قاسية ، ولو كان الأقباط عوناً للمسلمين لما استغرق حصار المدينة هذه الفترة الطويلة ولربما دل الأقباط المسلمين على عورات المدينة ، وتمكنوا من إسقاطها بسهولة في فترة قصيرة للغاية. كما أن تلك الرواية قد سبقها ابن عبد الحكم بكلمة يقال أو قيل (وفي المفهوم اللغوي فإن هذه الكلمة تحتمل من الشك أكثر مما تحتمل من اليقين ، ولعل ما أكد عليه ابن عبد الحكم من أن المسلمين أخذوا الفرما عنوة بعد قتال شديد يكفي لتفنيد هذا الزعم . ولو ساعد القبط العرب لما أحرق العرب السفن الراسية في ميناء المدينة وهدموا حصنها(٤٤٨). كما يؤخذ على هذه الرواية أنها ذكرت أن بنيامين بطريك الأقباط المذكور أنه كان مختفياً بالإسكندرية، وهذا خطأ تاريخي، فقد كان بنيامين كان مختفيا في الصعيد وليس في الإسكندرية، ولهذا فإن رواية ابن عبد الحكم برمتها لا يعتد بها . ولنا فوق ذلك دليل آخر يدحض هذا الزعم وهو ما قاله حنا النقيوسي عندما ذكر أن القبط لم يساعدوا المسلمين إلا بعد إن استولوا على الفيوم وإقليمها(٤٤٩).

كما أظهر القبط مقاومة عنيفة للمسلمين في عين شمس (هليوبوليس) ، كما يؤكد المؤرخ القبطي حنا النقيوسي(٤٥٠)، وكذلك في بلبيس حيث قوبل عمرو بن العاص بمقاومة شرسة من الروم والأقباط معاً بحيث تتطلب الأمر حوالي شهر لانتزاع المدينة بالقوة من أيدي المدافعين عنها(٤٥١). وعندما حاصر المسلمون حصن بابليون المنيع الذي كان يمثل نقطة الارتكاز للروم في مصر ومركز الدفاع البيزنطي فيها، قوبل المسلمين بمقاومة عنيفة وقتال يائس من قبل الروم والأقباط ورؤسائهم من رجالات الكنيسة القبطية، على النحو الذي أكدته المصادر الإسلامية "وكان به (بحصن بابليون) جماعة من الروم وأكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس، فقاتلوهم بها شهراً(٤٥٢)". والواقع أن هذه المقاومة من قبل المدافعين عن

الحصن ومنهم الأقباط كانت مؤثرة للغاية وأحدثت خسائر كبيرة في صفوف الجيش الإسلامي، لدرجة أن عمرو بن العاص اضطر لطلب العون العسكري والمدد من الخليفة عمر ابن الخطاب، فأمده بأربعة آلاف رجل[٤٥٣] على رأسهم كبار الصحابة المشهود لهم بالشجاعة والبراعة في فن الحرب والقتال مثل الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد، في محاولة لكسر عزيمة المدافعين عن الحصن وإسقاطه، خاصة وأن المصادر الإسلامية تؤكد بالتلميح والتصريح ومعها المصدر القبطي المعاصر تاريخ يوحنا النقيوسي، بأن شدة مقاومة الروم والقبط أدت إلى بطئ عملية الفتح الإسلامي وتأخير سقوط الحصن ، بحيث لم يسقط إلا بعد سبعة أشهر من الحصار والقتال[٤٥٤] . ولدينا رواية تؤكد على ذلك عندما يشير الواقدي إلى الدور الكبير الذي قام به الأقباط ورجال الدين منهم من قسوس ورهبان وشمامسة ومطارنة في تشجيع وتقوية عزيمة المقوقس والروم في مقاومة المسلمين[٤٥٥].

وهكذا أكدت هذه الروايات على الدور المؤثر للأقباط جنباً إلى جنب مع الروم في تأخير سقوط الحصن وتوقف عملية الفتح سبعة أشهر. وهذه النصوص تدحض الرأي الذي ذهبت إليه إحدى المؤرخات المحدثات بأن هذا الفريق من المصريين الأقباط الذين حاربوا المسلمين كانوا صنائع للبيزنطيين وأنهم حاربوا معهم منتظراً أن يكون النصر للبيزنطيين لا للعرب[٤٥٦]. وهو رأي لا يعتمد على أدلة أو أسانيد منطقية قوية، ويؤكد وجهة نظرنا تلك أنه أثناء المفاوضات التي دارت بين المقوقس وعمرو بن العاص لتسليم حصن بابليون وعرض العرب شروطهم لتسليم الحصن، ورغم الجهود التي بذلها المقوقس لإقناع من معه من الروم والقبط للموافقة على بعض هذه الشروط إلا أنه أخفق – كما تذكر المصادر الإسلامية – أمام رفض الأقباط ورؤسائهم داخل الحصن لهذه الشروط التي اعتبروها مذلة لهم وقالوا: " لن يرضى أحد بهذا الذل ، أما ما أرادوا من دخولنا في

دينهم ، فهذا ما لا يكون أبدا أن نترك دين المسيح بن مريم وندخل في دين غيره لا نعرفه، وأما من أرادوا من أن يسبونا ويجعلونا عبيداً فالموت أيسر من ذلك ، لــو رضوا منا أن نضعف لهم ما أعطيناهم مرارًا كان أهون علينا"[٤٥٧]. وبعد توقيــع معاهدة بابليون الأولى وتسليم الحصن إلى المسلمين، ولو سلمنا جدلاً بما ذكرته تلك المصادر من قيام رؤساء الأقباط بمرافقة عمرو وهو في زحفه إلـــى الإســكندرية وأثناء حصار لها ، وأنهم عاونوه معاونة صـــادقة ، فأصــلحوا الطــرق وأقــاموا الجسور وأمدوا العرب بالطعام لهم والعلوفة لخيولهم[٤٥٨]، فقد كـــان ذلـــك ضــمن الشروط الأساسية في معاهدة الصلح بين الجانبين ،وكان الأقباط مضــطرون إلـــى تنفيذها والوفاء بها ، وحتى هذه المساعدة كانت مساعدة قليلة لم تكن تعدو بعــض الأمور كما توضح المصادر .

كما أبدى الأقباط مقاومة عنيفة للمسلمين في العديد من مدن وقــرى الوجـــه البحري مثل طوخ وسلطيس (سنطيس) ودمســيس (قــرب ســمنود الحاليـــة) وقرطسا وبلهيب (أو بلهيت)[٤٥٩] ودمياط ودميرة وأشمون وتنيس[٤٦٠] ويقول ابن عبد الحكم: " إن سكان قرى بلهيب ودمسيس ومصيل وسلطيس ظاهروا الروم على المسلمين في جمع كان لهم"[٤٦١] بحيث أن العرب لم يستطيعوا فــتح هــذه المــدن والقرى إلا بعد أن أحرقوا المزارع وسبوا أهلها ، إذا صدقنا الروايات الإســلامية حول ذلك[٤٦٢] واستمر جيش من سكان الدلتا من الأقباط وبقايا الروم يحارب ســبع سنوات[٤٦٣] أو أثنى عشر عاماً[٤٦٤] . وعلى الرغم من أن أحد المؤرخين المحدثين يذكر أنه من المؤكد أنه لم يكن هناك جيش للمصريين الأقباط قبل الفتح الإســلامي وأن الروم كانوا يجمعونهم وقت الخطر مثلما يجمعون النوبيين (النواب) فلما جاء الفتح الإسلامي هب المصريون الأقباط للدفاع عن وطنهم[٤٦٥]، فإن هذا الرأي غير مقبول لدينا فقد نسي هذا المؤرخ أن هناك الكثير من المصريين الأقباط في جــيش البيزنطيين المدافع عن مصر قبل الفتح الإسلامي، على أن هذا الجيش من القــبط

والروم لم يكن له من الصفات العسكرية إلا حظ ضئيل، إذ أغفل التدريب العسكري ونشر روح النظام بين الجنود وأتخذ أفراد الجيش لأنفسهم مهن مدنية إلى جانب مهنة الحرب ، ولو كان هؤلاء الأقباط بالجيش قد دربوا تدريبا عسكريا يتسم بالكفاءة والبراعة ، فلربما تمكنوا من إعاقة الفتح الإسلامي وتأخيره سنوات عديدة ولكن على الرغم من ذلك ، عندما جاء الفتح الإسلامي ، هب المصريون الأقباط للدفاع عن وطنهم على النحو الذي أكدناه من قبل ، استنادا إلى المصادر . وهذا الرأي أيضا يدحض الرأي الذي ذهب إليه إحدى المؤرخات المحدثات التي ذكرت أن وجود الكثير من المصريين الأقباط في جيش الروم المدافع عن مصر كان من أسباب فشله في حمايتها من العرب لأنهم لم يخلصوا في الدفاع عنها(٤٦٦).

وتذكر المصادر الإسلامية والقبطية أن القبط قد انحازوا كلية وحاربوا مع الروم في العديد من أقاليم مصر الوسطى والصعيد(٤٦٧) . ويذكر أحد المؤرخين المحدثين أن الكثير من أهل مصر السفلى (الوجه البحري) انحازوا للروم وحاربوا معهم خوفا من الروم أنفسهم نظرا لقربهم من العاصمة واختلاطهم بهم، وقد يكونوا على مذهبهم الديني(٤٦٨).

ثم يطلع علينا المقريزي برواية مؤداها أنه أثناء حصار المسلمين لمدينة تنيس قوبلوا بمقاومة عاتيه من الروم والقبط معا، وأنه كان على تنيس رجل يقال له أبو ثور من العرب المتنصرة فلما فتحت دمياط، سار إليها (أي إلى تنيس) المسلمون ، فبرز إليهم نحو عشرين ألفا من العرب المتنصرة والقبط والروم ، فكانت بينهم حروب آلت إلى وقوع أبي ثور في أيدي المسلمين وانهزام أصحابه(٤٦٩). وهذا النص من المقريزي من الأهمية بمكان لأنه يدحض بقوة روايات وآراء المؤرخين القدامى والمحدثين حول معاونة القبط للمسلمين . ويظهر أن أغلب مؤرخي المسلمين لم يرضوا أن يذكروا هذه المقاومة إلا تلميحا، حتى لا يظهر المصريون الأقباط بمظهر المقاوم للمسلمين، خاصة بعد تحول مصر وأهلها

إلى الإسلام، واحتلت مركز الزعامة فيه. ويؤكد وجهة النظر تلك، مما وقع المؤرخون المسلمون من الاختلاف عند معالجتهم مسألة فتح مصر التي سبق أن قمنا بتحليلها – وهل كان بصلح أو عنوة، أو حتى هل كان للمصريين الأقباط عهد أو أن بعض المدن والقرى فتحت بالسيف، والبعض الآخر فتح صلحا[٤٧٠]. وقد تيسر لنا نص جديد وفريد أورده البلاذري بين دفتي كتابه، وهو المؤرخ الوحيد الذي أنفرد بذكر هذا النص الذي أغفلته كل المصادر الإسلامية، كما لم تهتم به المراجع الحديثة، والذي يشير إلى أن المقاومة المسلمين من القبط لم تقتصر على الرجال فقط بل شملت أيضاً النساء المصريات القبطيات. ويظهر النص بوضوح تام دور المرأة القبطية في قتال المسلمين والدفاع باستماته عن الإسكندرية أثناء حصار المسلمين لها حيث تسوق الرواية الإسلامية قصة طريقة تتلخص في أن المقوقس حينما شعر بخطورة الحصار الإسلامي للإسكندرية وتناقص أعداد المدافعين عنها وأصابتهم بالوهن أمام قوة الحصار، خاصة بعد أن أرسل إلى عمرو بطلب الصلح وعقد الهدنة معه وأبى عمرو، فأراد المقوقس بفطنته وذكائه أن يحتال على المسلمين وينزل الرعب بقلوبهم ، فأمر المقوقس النساء القبطيات أن يحملن السلاح ويقمن على السور المدينة مقبلات بوجوهن إلى داخله ونشر شعورهن، والوقوف مع الرجال من الروم والقبط على أسوار المدينة، مقبلين بوجوههم إلى المسلمين والسلاح في أيديهم، ليرهبوا المسلمين بذلك، وأنهم قاتلوا المسلمين من فوق أسوار الحصون ما يقرب من ثلاثة أشهر[٤٧١] . ويضيف البلاذري أن وقوف النساء القبطيات للقتال مع الرجال لم يرهب عمرو ولم تنطل عليه حيلة المقوقس بل أرسل إلى المقوقس يخبره بإكتشاف أمره " إنا قد رأينا ما صنعت وما بالكثرة غلبنا من غلبنا "[٤٧٢]. وهذه الرواية تدحض على نحو قاطع الروايات الإسلامية أو القبطية وكذلك آراء المؤرخين المحدثين من العرب والأوربيين الذين تمسكوا بالرأي القائل بمعاونة المصريين القبط رجالا ونساء للعرب الفاتحين في فتح مصر. وهذه الرواية

للبلاذري تؤكد أيضا أن النساء القبطيات أردن التشبه بالنساء المسلمات اللائي كن يجاهدن ويقاتلن مع الرجال في عهد الرسول صلى الله وعليه وسلم، وفي عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، وأن أصداء جهاد المسلمات قد وصلت إلى مصر، فأردن أن يقمن بنفس الدور. كما يلاحظ أن أصداء ما قامت به النساء القبطيات من مقاومة الفاتحين المسلمين أثناء حصار الإسكندرية قد طار صداها إلى أسبانيا أثناء الفتح الإسلامي لها بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير، وأثناء استكمال هذا الفتح في ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير، وأرادت المرأة القوطية المسيحية أن تقلد مثيلتها في الديانة من المصريات القبطيات، وتمثل ذلك في شرق الأندلس Ellevantحيث تركزت المقاومة هناك في كورة تدمير وقاعدتها الحصينة أوريولة orihuela فاستطاع أميرها القوطي تدمير[٤٧٣] (تيودوميرو) ابن عبدوش Teodomiro B.Ergobado بفطنته وذكائه من أن يحصل من عبد العزيز بن موسى بن نصير على شروط حسنة ضمنت له استقلاله بولايته في مقابل جزية سنوية. وتسوق المصادر الأندليسية قصة طريفة تتلخص في أن تدمير عندما شعر بقلة رجاله وخطورة الغزو الإسلامي أمر النساء القوطيات بنشر شعورهن والوقوف مع القلة الباقية من رجاله على أسوار حصن أوريولة، والرماح في أيديهن فخيل للمسلمين أن حامية المدينة كثيرة العدد، فقبلوا مبدأ المفاوضة مع تدمير حيث حصل على أفضل الشروط لتسليم المدينة ، ودخل المسلمون المدينة ، ولم يجدوا فيها إلا قليل من الرجال والكثير من النساء ، فندموا على تسرعهم[٤٧٤] .

ويلاحظ أن المسلمين في جميع المدن والقرى المصرية المفتوحة ، لم يقابلوا مقاومة الأقباط وقتالهم لهم بعمليات السلب والنهب وسفك الدماء ، بل على العكس من ذلك عاملوهم معاملة طيبة وتسامحوا معهم إلى حد كبير ، كما أنهم أدخلوهم في معاهدات الصلح التي عقدت بينهم وبين الروم خاصة صلح بابليون وصلح الإسكندرية ومنحوهم من الامتيازات والحرية الدينية وممارسة شعائرهم وحقوقهم

المسيحية ما لم يتمتعوا به أثناء الحكم البيزنطي ، على النحو الذي أكدته المصادر الإسلامية والقبطية. ويكفينا شهادة المؤرخ القبطي المتعصب يوحنا النقيوسي ، الذي هاجم الإسلام بقسوة، التي يذكر فيها أن عمرو بن العاص لم يضع يده على شيء من ملك الكنائس ولم يرتكب شيئا من النهب أو الغصب، بل إنه حفظ الكنائس وحماها[٤٧٥]. كما لم يتدخل المسلمون في الخلافات المذهبية بين المسيحيين في مصر وتوج عمرو سياسة التسامح تلك بإصدار كتاب أمان لبطريق الأقباط بنيامين ودعوته للعودة من منفاه لزعامة أهل طائفته ، فعاد إلى الإسكندرية بعد غياب دام ثلاثة عشر عاماً ، ولقيه الأقباط بالفرح والسرور ، وأحسن عمرو استقباله وأعطاه الحرية ليشرف على الكنائس ويرعى أحوال الأقباط على النحو الذي أكده ساويرس ابن المقفع[٤٧٦] .

أما الفريق الثاني من الأقباط الذين وقفوا موقفا محايدا من الفتح الإسلامي وكانوا قله ضئيلة لاتذكر ، فإن المصادر الإسلامية والقبطية لم تشر إلى هذه الفئة المحايدة اللهم إلا ذلك النص الهام الذي أورده ابن عبد الحكم[٤٧٧] ومن نقل عنه من المؤرخين مثل المقريزي[٤٧٨] وأبو المحاسن[٤٧٩] الذي يشير فيه بالتلميح دون التصريح إلى موقف الأقباط السلبي تجاه الفتح الإسلامي لبعض قرى مصر السفلى (الوجه البحري) حيث يذكر أنه أثناء تقدم عمرو بن العاص ، بعد إسقاطه الفرما ، حتى وصوله إلى القواصر " كان لا يدافع إلا بالأمر الخفيف"[٤٨٠] وقد تكررت هذه العبارة مرة ثانية عندما واصل عمرو زحفه حتى وصل بلبيس ثم تكررت ثالثة حتى وصل إلى أم دنين، وحاصرها والواقع أن ذكر عبارة " لا يدافع إلا بالأمر الخفيف " في المناطق المذكورة آنفا، والتي استولى عليها بسهولة بالغة يشير إلى مدى ضعف مقاومة الروم ، ويؤكد على حياد الأقباط التام وإظهارهم السلبية التامة تجاه الجيش الإسلامي، طالما أن المسلمين لم يتعرضوا لهم ولا لكنائسهم في تلك المناطق المذكورة أيضا .

بقيت نقطة أخيرة لم تتطرق إليها المصادر الإسلامية ولا حتى المراجع الحديثة حول موقف اليهود من الفتح الإسلامي لمصر. والواقع أن الباحث يجد نفسه في حيرة من أمره ويجد صعوبة بالغة في رسم صورة حقيقية واضحة لموقف اليهود من المسلمين أثناء الفتح خاصة وأن المصادر الإسلامية قد صمتت تماما عن الإشارة إلى هؤلاء اليهود كما أننا نفتقد إلى وجود وثائق تشفي غليل الباحث حول هذا الأمر ، مما يفسر عدم قيام الدراسات الحديثة لفتح مصر بتناول هذا الموضوع بل سلطت ومعها المصادر الإسلامية الكثير من الأضواء حول موقف الأقباط من الفتح ونحن لا نعرف السر وراء ذلك الصمت من المصادر الإسلامية ، بالرغم من عدد الجاليات اليهودية في مصر كان كبيراً ، فنجد ذكر لهؤلاء اليهود مرة واحدة في فتح مصر وبالتحديد عند فتح الإسكندرية عندما أشار عمرو بن العاص في رسالته إلى الخليفة عمر بن الخطاب يبشره فيها بفتح الإسكندرية أنه وجد فيها أربعة آلاف قصر ، وأربعة آلاف حمام ، وأربعين ألف يهودي عليهم الجزية(٤٨١)، ويذكر ابن عبد الحكم في موضع آخر في رواية أخرى أن عدد اليهود عند دخول عمرو الإسكندرية حوالي سبعين ألفا(٤٨٢) وقد بالغ ابن وصيف شاة عندما ذكر أن عدد اليهود في الإسكندرية كان ستمائة ألف يهودي(٤٨٣) .

ورغم ما في هذه الإحصائيات التي أوردتها المصادر الإسلامية من مبالغات باترة إلا إنها توضح العدد الكبير لليهود المصريين خاصة في الإسكندرية، والذين كانوا حريصين على التواجد الدائم فيها، لما لها من ثقل اقتصادي وعلمي بين مدن مصر الأخرى. ويبدو أن اليهود في مصر تعرضوا للاضطهاد من كل من الروم وأقباط مصر أثناء الحكم البيزنطي في كل من مصر وبلاد الشام. فيذكر بتلر، اعتمادًا على بعض المصادر القبطية واللاتينية أن هرقل بعد انتصاره على الفرس واستعادة الشام وبيت المقدس أمر بإجلاء اليهود عن بيت المقدس وحرمانهم من الدخول إليها، كما استجاب هرقل إلى رغبات المسيحيين من رعيته في بلاد الشام

للانتقام من اليهود أعداء المسيح والروم فنكل بهم تنكيلا فظيعا ، وأرتكب ضدهم مذابح مروعة[٤٨٤]. ويبدو أن هذه المذابح لم تقتصر فقط على يهود الشام بل امتدت إلى يهود مصر أيضا ، ومصداقاً لذلك يذكر المقريزي في أن اليهود ذبحوا حتى لم يبقى منهم أحد في دولة الروم ومصر والشام إلا من هرب أو اختفى[٤٨٥] ومنهم من فر إلى الصحراء حيث اتفقوا مع جند الإسلام عند بداية دخولهم بلاد الشام وصاروا لهم أدلاء ومعاونين في تلك البلاد ودنوهم على عورات المدن الكبرى في بلاد الشام[٤٨٦]. والمرجح أن يهود الشام كانوا على صلة بأبناء عمومتهم من يهود مصر ، حيث أخبروهم بمدى التسامح والمعاملة التي عوملوا بها من المسلمين ، ولهذا فمن المرجح أن اليهود في مصر كانوا عوناً للمسلمين داخل مصر خاصة في الإسكندرية، حيث وجدوا في مجيئهم الخلاص والنجاة مما هم فيه اضطهاد وتعذيب وتنكيل على أيدي الروم ويبدو أن الكثير من هؤلاء اليهود طردوا من الإسكندرية مما أضر كثيرا بمصالحهم الاقتصادية . ويؤكد وجهة النظر تلك ما ذكره المؤرخ القبطي يوحنا النقيوسي بالتلميح دون التصريح في رواياته المقتضبة التي تشير إلى دور اليهود ، خاصة يهود الإسكندرية في تقديم العون للمسلمين أثناء زحفهم على مصر[٤٨٧] وتأكد هذا الأمر عن عقد صلح الإسكندرية الذي كان ضمن شروطه الأساسية التى تمسك بها المسلمون "أن يباح لليهود الإقامة في الإسكندرية "، على النحو الذى أكده يوحنا النقيوسى الذى انفرد بذكر شروط صلح الإسكندرية دون غيره [٤٨٨]، ولو أن الترجمة الخاصة بهذه الشروط كانت بهذه الدقة، فإن هذا يؤكد ما سبق ذكره من اضطهاد اليهود وطرد العديد منهم من الإسكندرية ، ولهذا رحبوا بالفاتحين الجدد ، وقدموا لهم كل عون ممكن ، وكانوا بمثابة طابور خامس للمسلمين داخل الإسكندرية ، ورد لهم المسلمون الجميل أن عاملوهم كالأقباط معاملة طيبة ، وسمحوا لهم بالعودة إلى الإسكندرية دون المساس بهم أو بأسرهم أو بمصالحهم الاقتصادية .

وفي الختام أرجو أن أكون من خلال هذا البحث المتواضع قد وفقت في إلقاء أضواء جديدة ومعالجة جديدة في موضوع اعترف بأنه تطرقت إليه الكثير من المصادر القديمة والمراجع الحديثة التى تناولت تاريخ مصر الإسلامية بصفة عامة، والفتح الإسلامي لمصر وموقف الأقباط دون اليهود منه بصفة خاصة ، وحاولت قدر جهدي أن أقوم بقراءة جديدة وبدراسة تحليلية ونقدية مقارنة لنصوص المصادر الإسلامية والقبطية المتضاربة والتي تناولت الفتح الإسلامي بعيدا عن الحماس أو العاطفة، وبما تيسر لنا من نصوص جديدة لأول مرة أغفلتها الدراسات الحديثة ولم تتعرض لها على الإطلاق، وحاولنا قدر الإمكان حسم العديد من القضايا الخاصة بهذا الفتح سواء ما يخص طبيعة الفتح الإسلامى إذا كان تم عنوة أم صلحا، وموقف الأقباط الحقيقى من هذا الفتح ، مدعما بالوثائق ونصوص جديدة تيسرت لنا لأول مرة، وموقف اليهود أيضا من هذا الفتح رغم الندرة الشديدة التى لا تكاد تذكر للوثائق والنصوص التى تناولت موقف اليهود، وهى تعتبر من الموضوعات الشائكة والحساسة في تاريخ مصر الإسلامية ، وأعترف بأنني ربما قد قصرت في تناول بعض القضايا الخاصة هذا الموضوع ، لكن أرجو أن أكون قد فتحت المجال بذلك أمام دراسات أخرى نقدية بناءة تساعدنا في تكوين قاعدة ودراسات أفضل من هذه التى أتينا بها وهى جهد المقل.

حواشي وتعليقات الدراسة

١- الطبري:تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري، ط بيروت المجلد الثاني ص٣٤٧، البلاذرى: فتوح البلدان، تحقيق عبد الله بن الطباع، عمرو بن الطباع، ط الأولي بيروت ١٩٨٧، ص٢٧٠؛ انظر أيضا كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، تعريب نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، ط بيروت ١٩٩٨م، ص٩٤-٩٥.

٢- الواقدى: فتوح الشام، طبعة دار الجيل، بيروت بدون تاريخ، ج١ص٦١، أيضا بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٩٥؛ الفريد بتلر:فتح العرب لمصر، ترجمة محمد فريد أبو حديد، طبعة مكتبة مدبولي بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٦م، ص١٩٦. ويذكر أرشيبالد لويس أن موقعة اليرموك وحدها كانت كافية لتقرير مصير بلاد الشام فى أيدي العرب، أرشيبالد لويس :القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط،ترجمة د. أحمد محمد عيسي ، القاهرة-نيويورك، ص٨٨.

٣- يذكر المستشرق الكبير أرشيبالد لويس أنه مع الظواهر التى تدعو إلى الدهشة ذلك اليسر والسهولة اللذان رافقا الغزو العربي أثناء كفاحه الطويل الذى استمر قرابة قرنين من الزمان مع الإمبراطورية الفارسية، وربما يرجع أيضا إلى عجز بيزنطة بعد أن صار كل اعتمادها على العنصر البحري فى مواجهة غزو بري واسع في قلوب الغزاة والمحاربين. أرشيبالد لويس:القوى البحرية، ص١٨ ويؤيده فى ذلك أحد المؤرخين المحدثين العرب عندما يذكر أن الفتوحات الإسلامية قد جرت بهمه سريعة كبيرة تركت مسحة من الذهول والتعجب لدى المعاصرين واللاحقين، ولا سيما أنها وجهت ضد إمبراطوريتين عريقتين في وقت واحد، وأسفرت عن اختفاء إحداهما، وتقليم إظفار الأخرى وانتزاع أعظم ما فى عقدها من درر د.محمد محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ط٢ إسكندرية ١٩٩٧، ص٨٤.

٤- البلاذرى: فتوح البلدان، ص١٤٣.

٥- د. محمد الشيخ: تاريخ الإمبراطورية، ص.٨٥.معتمدا على مصادر عربية ومراجع أوربية.

٦- هذا هو رأي سيدة إسماعيل الكاشف:مصر فى فجر الإسلام، ط القاهرة ضمن سلسلة تاريخ المصريين ١٩٩٤، ص٩.

٧- سوف نعرض بالتفصيل لعوامل وأسباب الفتح الإسلامي لمصر الخاصة بالجانب الإسلامي فى مكانها المناسب من هذه الدراسة.

٨- راجع فى ذلك نقش أنقرة التذكارى

Res Gestae Divi Augustae Momentum Ancyranum.

وهو نقش عثر عليه فى أنقرة يذكر فيه أوكتافيوس مآثره الشخصية والألقاب التـــى اتخـــذها وفيها لقب قيصر لأنه اعتبر نفسه ابنا بالتبني ليوليوس قيصر للاستزاده راجع د. محمد رضا علام: الأدب الروماني فى العصر الذهبي ط الإسكندرية ٢٠٠٤م،ص٢٠٩ ، أيضـــا

Cambridge Ancient history Cambridge 1934 Vol X4

Schmitthenner. Oktavian und das testament Cae sars, München 1952,P 50

أيضا د. سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى فجر الإسلام ص١.

٩- Johnson,an economic survey of an cient Rome vol ll; Roman Egypt. Baltimore 1936 p484

١٠- ولا أدل على ذلك من أن قمح مصر الذى كانت تعتمد عليه روما لإطعام أهلهـــا لـــم يعـــد كافيا، فكان لا بد من استيراد قمح أفريقية مضافا إلى قمح مصر منذ أوائل القرن الثالث الميلادي. راجع سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى فجر الإسلام ص١. معتمدة على مرجع أوربي.

١١- د. محمد حمدى المناوي: مصر فى ظل الإسلام،ط دار المعارف بمصر ١٩٧٠،ص٢ معتمدا على مصادر ومراجع لم يذكرها.

١٢- د. محمد شفيق غربال: تكوين مصر عبر العصور ط القاهرة ١٩٩٦، ص٤٢.

١٣-د. السيد الباز العرينى: مصر البيزنطية، ط القاهرة ١٩٦١، ص٣٢٤.

١٤-د. محمد الشيخ: تاريخ الإمبراطورية، ص٧٨.

١٥- د. محمد الشيخ: المرجع السابق، ص٨٧.

١٦- د. محمد الشيخ: نفس المرجع والصفحة.

١٧- د. محمد حمدى المناوي: مصر فى ظل الإسلام، ص٢.

١٨-د. محمد الشيخ: تاريخ الإمبراطورية، ص٧٨، د. المناوي: مصر فى ظل الإسلام، ص٢-٣.

١٩- د. جمال الدين الشيال:الإسكندرية: طبوغرافية المدينة وتطورها منذ أقدم العصور، ط دار المعارف(بدون تاريخ) ص٢٠١.

٢٠- د. المناوي: مصر فى ظل الإسلام، ص٣، معتمدا على مصادر ومراجع لم يذكرها.

٢١- د. المناوي: مصر فى ظل الإسلام، ص٣.

٢٢- د. سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى فجر الإسلام ص٢.

Wiet,G.L'Egypt Arabe; Histoire de la nation Egyptienne. To TV.pp13-14. —٢٣

٢٤- د. جوزيف نسيم يوسف: مجتمع الإسكندرية فى العصر المسيحي(ضمن دراسات فى تاريخ العصور الوسطي) ط الإسكندرية ١٩٨٨، ص١٠٩ معتمدا على كتاب بيوري.

٢٥- د. سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى فجر الإسلام ص١٠.

٢٦- د. المناوي: مصر فى ظل الإسلام، ص٣.

٢٧- د. سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى فجر الإسلام ص١٠، أيضا

Munier, H, L'Egypte Byzantin PRECIS DE L Histoire d Egypte 1932 to ll.pp 77-78.

٢٨- د. المناوي: مصر فى ظل الإسلام، ص٣، أيضا.

Munier,L'Egypte Byzantine, p78, Wiet ; Histoire nation :pp15-16. —٢٩

أيضا د. سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى فجر الإسلام ص١٠.

٣٠- د. المناوي: مصر فى ظل الإسلام، ص٤.

٣١- د. السيد الباز العريني: مصر البيزنطية، ص٣٢٦،د. محمد الشيخ: تاريخ الإمبراطورية،ص٧٨.

Rostovzeff, M, The Social and economic history of the Hellenistic world, Oxford 1941, vol.II.605-657

أيضا مقال د. يوسف خليل: الملامح الحضارية القديمة فى الوطن العربي، مجلة مرآة العلوم الاجتماعية(العدد الأول ديسمبر ١٩٦٥)، ص١٠٠، د. جوزيف نسيم يوسف: مجتمع الإسكندرية، ص١٠٨.

٣٣- د. يوسف خليل: الملامح الحضارية ص١٠٠.

٣٤- د. العريني. مصر البيزنطية، ص٢٥١.

٣٥-د. المناوي: مصر فى ظل الإسلام، ص٤

٣٦- د. المناوي: نفس المرجع والصفحة.

٣٧- يذكر أحد المؤرخين المحدثين الكبار أن الأسانيد التاريخية مثل مراسيم التعذيب- كما ورد فى أوراق البردي أيام الرومان- تدل على أن المسيحية قد انتشرت فى مصر فى عهد

الإمبراطور دسيوس راجع د. عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها فى مصر (التاريخ السياسي)، ط ٢ الإسكندرية ١٩٧٦،ص٤٧.

٣٨- يدل على انتشار المسيحية المبكر فى مصر، أن الإسكندرية كانت إحدى كراسي المسيحية الأربعة الهامة فيما بعد، وأن رئيسها اختص بلقب البابا(الحبر الأعظم)، وهو اللقب الذى أخذه منه أسقف روما فيما بعد، د. عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة، ص٤٨ معتمدا على مصادر ومراجع.

٣٩- Municr, L Egypte Byzatin,p.8

أيضا د. سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى فجر الإسلام ص٣.

٤٠- د. سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى فجر الإسلام ص ٣، د. عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة، ص٤٨، أيضا Milne, A history of Egypt under. Roman rule, London 1924,pp128,212

٤١- د. سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى فجر الإسلام، ص٣.

٤٢- د. عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة، ص٤٨.

٤٣-سعيد بن البطريق: كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ط بيروت ١٩٠٥، ج١ ص١٧٣، ٢٨٢، د. جوزيف نسيم يوسف: مجتمع الإسكندرية ص٩٥، د. السيد الباز العريني: مصر البيزنطية ص٢٠٠، د. عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة، ص٤٨، أيضا Atiya, A.s, A history of eastern Christianity, London 1968

٤٤-د. سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى فجر الإسلام، ص٤، د. محمد الشيخ: تاريخ الإمبراطورية ص١٨٣ أيضا

Ostrogorsky,G., A history of the Byzantine state, trans.by hussey (t.), Oxford 1456p.48.

٤٥- Munier, H., L'Egypte Byzantin p.37.

٤٦- من المهم جدا أن نذكر أن القسطنطينية كانت متمسكة بحقها الأعلى على كنيسة الإسكندرية(الكنيسة المصرية) منذ مجمع القسطنطينية المسكونى الذى عقد عام ٣٨١م أيام الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير، والذي نص فى قانونه الثالث على تقدم كرسي القسطنطينية على جميع الكراسي الأخرى بعد روما، باعتبار أن القسطنطينية هي روما الجديدة، وكان ذلك لأسباب سياسية ونفسية منها عوامل الحقد والغيرة، بعد أن طغت الإسكندرية بشهرتها ومدرستها اللاهوتية وعلمائها ومفكريها على روما الجديدة، راجع د. جوزيف نسيم يوسف: مجتمع الإسكندرية ص١١٠-١١١.

٤٧- د. سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى فجر الإسلام، ص٤، د. جوزيف نسيم يوسف: مجتمع الإسكندرية ص١٠٨.

٤٨- Manier, H., L'Egypte Byzantin p.45.

أيضا د. سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى فجر الإسلام ص٤، مصر الإسلامية وأهل الذمة، ضمن سلسلة تاريخ المصرين، ط الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٣، ص٥١ ح١.

٤٩-سمي بذلك لأنه كان يلبس البراذع والثياب البالية المخرقة، وهو قس من أهل نصيبين. راجع مؤلف مجهول: تاريخ النساطرة نشر وترجمة شير(منشور فى مجموعة الـ Patrologia orientalis, vol.vll ص١٣١؛ أيضا د. عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة،ص٤٩ معتمدا على نفس المصدر السابق.

وكان يعقوب البرادعى أسقف مدينة الرها المونوفيزيتى فى النصف الثاني من القرن السادس الميلادي الذى زار مصر ضمن بلاد الشرق التى زارها لتنظيم الكنائس المونوفيزيتية، ولكن يصعب أن نجد اسمه ضمن الحوليات المصرية لأن الأقباط لم يقبلوا بتدخل السوريين فى شئونهم الكنسية مثلما تدخلت كنيسة القسطنطينية من قبل راجع د سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى فجر الإسلام، ص٥ ، د. جوزيف نسيم يوسف: مجتمع الإسكندرية ص١١١.

٥٠- د. سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى فجر الإسلام ص٥،د. عبد المنعم ماجد: خلافة الفاطميين ص٤٩.

٥١-د. جوزيف نسيم يوسف: مجتمع الإسكندرية ص١٠٨.

٥٢- ساويرس بن المقفع: سير الآباء البطاركة، ضمن الـ Patrologia orientalis باريس ١٩٠٧، ج١ص٢٢٦-٢٢٧.

٥٣- Amèlineau, E. , Etudes sur la christianisme en Egypte au 7eme siécle, paris 1887,pp.12-13

٥٤- Ostrogorsky,G., Byzantine state ,p101.

٥٥- د. يوسف خليل: الملامح الحضارية، مجلة مرآة العلوم الاجتماعية ص١٠٠.

٥٦- د. جوزيف نسيم يوسف: مجتمع الإسكندرية ص١٠٩، ١١١.

٥٧-ألفريد بتلر :فتح العرب لمصر، ص٢٠٦-٢٠٧، وقد انتقد الفريد بتلر رأي بيوري حول ذلك نقدا عنيفا: بتلر: المرجع السابق ص٢٠٩ ح٢.

٥٨- Bury, J.B., A history of the later Roman Empire, 2vols, London, 1889 ,vol.ll.p215,f.1

٥٩- الفريد بتلر: فتح العرب لمصر ص٢٠٨ أيضا
Munier, H., L'Egypte Byzantine, p 68.
أيضا د. سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى فجر الإسلام ص٦.

٦٠- Ostrogorsky,G., Byzantine state ,p101 .
أيضا د. محمد الشيخ: تاريخ الإمبراطورية ص٨٧.معتمدا على مراجع أوربية.

٦١- بتلر: فتح العرب ص٢٠٨-٢٠٩.

٦٢- بتلر: فتح العرب ص٢١٧، ويذكر أحد المؤرخين المحدثين بأن الإسكندرية قاست كثيرا على أيدي ولاة بيزنطة، وجعلت الاضطهادات المذهبية بمساكن المدينة يتولاه اليأس والقنوط ويفكر فى العزلة عن العالم والتفكير فى مغادرة الصحراء وقمم الجبال، وساعد ذلك على انتشار الرهبنة وازدهارها فى ضواحي المدينة وبخاصة وادي النطرون. د. جوزيف نسيم يوسف: مجتمع الإسكندرية ص١٠٩.

٦٣- ساويرس بن المقفع: سير الآباء البطاركة ج١ص٢٢٤-٢٢٥، أيضا بتلر: فتح العرب لمصر، ص٢١٧، ويذكر أحد المؤرخين المحدثين أن النزاع بين الرومان والبطالمة، ثم النزاع بين الروم الوثنيين والمصريين المسيحيين، ثم النزاع بين الروم الملكانيين واليعاقبة المصريين كانت له آثاره الواضحة فى تخريب الكثير من معالم مدينة الإسكندرية الهامة التى كانت تميزها وتزينها فى العصر اليوناني.د. جمال الدين الشيال: الإسكندرية:طبوغرافية المدينة ص٢٠٩. معتمدا فى ذلك على رأي بتلر.

٦٤- ساويرس بن المقفع: سير الآباء مجموعة الـPatrologia orientalis ج١ص٢٢٩، وكان قيرس أسقف فاسيس فى بلاد القوقاز. راجع بتلر:فتح العرب ص٢٠٨؛كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ص١٠٠.

٦٥- ابن عبد الحكم:فتوح مصر وأخبارها، نشر هنري ماسيه، ط المعهد الفرنسي للآثار الشرقية(القاهرة ١٩١٤م) ص٥١، البلاذرى: فتوح البلدان، تحقيق عبد الله الطباع، وعمر الطباع، ط بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ص٣٠٧، ابن وصيف شاه: جواهر البحور ووقائع الأمور وعجايب الدهور، تحقيق د محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر عام ٢٠٠٤م ص٢٧، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ط دار الكتب المصرية ج١ ص٧.

٦٦-د. عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين، ص٥٠، ويذكر المرحوم الدكتور ماجد بأن قيرس ربما تعني القوقازي، وإن كان أصل تسمية المقوقس غامضة. د. ماجد: المرجع السابق ص٥٠ ح١.

٦٧- ابن وصيف شاه: جواهر البحور ص٢٧.

٦٨-بتلر: فتح العرب، الملحق السابع ص٥٧٥.

٦٩-الكندي: ولاة مصر، تحقيق د. حسين نصار، ط دار صادر بيروت بدون تاريخ ص٣١.

٧٠- بتلر: فتح العرب ص٥٧٥.

٧١- الواقدي: فتوح الشام، ط بيروت(بدون تاريخ) ج٢ص٣٨ سطور٢٨-٣٢ وهو المؤرخ العربي الوحيد الذي انفرد بذكر هذه الرواية الخاصة باسم المقوقس وبصفاته.

٧٢- بتلر: فتح العرب ص٢٠٩، الملحق السابع ص٥٧٤-٥٧٥، ويلاحظ أن بتلر في الملحق السابع من كتابه القيم عن فتح العرب لمصر قام بدراسة تحليلية ونقدية مقارنة لروايات المؤرخين العرب القدامى وآراء بعض المؤرخين المحدثين وعلى رأسهم المؤرخ الانجليزي ستانلي لينبول حول شخصية المقوقس أو قيرس وهو المؤرخ الوحيد الذي استطاع أن يحسم هذا الأمر ووضع إجابات واضحة حول الغموض الذي أحاط بتسمية المقوقس وأدحض بالأدلة والوثائق روايات المصادر العربية التي ذكرته باسم جريح بن مينا (ابن وصيف شاه) جواهر البحور ص٢٧، ومرة ثانية باسم ابن قُرقب اليوناني(أبو المحاسن:النجوم الزاهرة ج١ ص٨سطر٥ على أنه يلاحظ أن بتلر في قراءاته لاسم المقوقس من خلال نص أبي المحاسن وقع في خطأ كبير واتسم بعدم الدقة في قراءة اسم هذا الرجل فمرة قرأه تحت اسم جريح بن مينا، وأخري تحت اسم ابن قُرقب اليوناني وبالقراءة المتأنية الصحيحة لنصي أبو المحاسن لوحظ أن اسم جريح بن مينا إنما يقصد به أمير أو قائد حصن بابليون الذي كان من الروم ويقال له الأعرج وكان قائدا عليه تحت إمرة المقوقس أما ابن قرقب اليوناني، فكان قائدا لحصن أم دنين وكان يلقب بالأعرج أيضا وكان لقب وظيفته المندقور على النحو الذي أكده أبو المحاسن نفسه في كتابه: النجوم الزاهرة ج١ ص٨سطور٥-٦،أيضا بتلر: فتح العرب ص٥٧٤-٥٩٦.

٧٣- بتلر: فتح العرب ص٢٠٨-٢٠٩، وللاستزادة عن حقيقة فرار بنيامين راجع ساويرس بن المقفع: سير الآباء البطاركة ج١ص٢٢٦، أيضا بتلر: فتح العرب ص٢٠٩-٢١٠، ويذكر بتلر أن بنيامين قد فر في نفس الوقت الذي جاء فيه قيرس إلى الإسكندرية أو قريبا منه، بتلر:فتح العرب ص٢١٢،في حين تري إحدى المؤرخات المحدثات أن بنيامين قد هرب قبل أن

يصل الحاكم الجديد لمصر إلى الإسكندرية د. سيدة الكاشف: مصر فى فجر الإسلام ص٧، أيضا د. محمد الشيخ: تاريخ الإمبراطورية ص٨٨ معتمدا على النص الانجليزى لكتاب بتلر.

٧٤- بتلر: فتح العرب ص١٩٣.

٧٥ ساويرس بن المقفع: سير الأباء البطاركة مجموعة Patrologia orientalis ج١ص٢٢٦، أيضا بتلر: فتح العرب ص٢٠٨-٢٠٩.

٧٦- هو أسقف نقيوس وهى قرية أبشادي الآن فى مركز تلا بالمنوفية، وتوفي حنا النقيوسي فى أواخر القرن الأول الهجري(السابع الميلادي).ووضع حنا كتابه فى تاريخ مصر باللغة القبطية وجاء فيه ذكر الحوادث التى وقعت زمن الفتح الإسلامي لمصر وترجم هذا الكتاب إلى العربية واليونانية ثم قام أحد القساوسة المصريين بترجمة النسخة العربية إلى الأثيوبية ولو يبعد مما كتبه هذا المؤرخ المصري سوى النسخة الإثيوبية التى نشرها البروفسير زنتبرج مع ترجمة فرنسية لها، د. سيدة الكاشف: مصر الإسلامية وأهل الذمة ص٣٠ ح١، وهي الترجمة التى اعتمدنا عليها فى هذه الدراسة.

٧٧- chronique de jean, eveque de nikou (text Ethiopien publle et traduit par M.H.Zotonberg.T.24,paris 1883.p566.

ويذكر يوحنا النقيوسي أن قيرس لم يذهب حقده على عباد الله ولم يمتنع عن اضطهادهم، بل زاد قسوة على قسوة راجع بتلر: فتح العرب ص٢٤٤. معتمدا على رواية يوحنا النقيوسي.

٧٨- ساويرس بن المقفع: سير الآباء ص٢٢٦-٢٢٧، حيث يورد لنا رواية مفصلة عن ذلك.

٧٩- بتلر: فتح العرب ص٢١٧ -٢١٨.

٨٠- ساويرس بن المقفع: سير الآباء ص٢٢٧.

٨١- يظهر بتلر دهشته وتعجبه من استخدام ساويرس للفظة الثيودوسيين ويعلق على ذلك بأنه من المؤكد أنه فى أيام ساويرس بن المقفع كان القبط لا يزالون يسمون أنفسهم الثيودوسيين وأن لفظ القبط كان فى الحقيقة مرادفا للفظ ثيودوسيين، وكان الجيانيون طائفة صغيرة في وقت قيرس راجع بتلر: فتح العرب ص٢٢٤،أيضا حاشية ص٢٥بيورى عندما ذكر تولية قيرس أن أول عمل قام به هو أن يستميل إليه الطائفة الكبري(طائفة الثيودوسيين أو الفطار تولاتزيين راجع Bury,Later Roman Empire,vol.ll.p251.

٨٢- مثل أسقف نقيوس ويسمي قيرس، وأسقف الفيوم ويسمى فيكتور .بتلر: فتح العرب ص٢٢٢،وأما من لم يستطع الهرب فقد لجأ إلى التقية،وأظهر غير ما يبطن.بتلر: نفس المرجع والصفحة.

٨٣- بتلر: فتح العرب ص٢١٧،د. سيدة الكاشف: مصر فى فجر الإسلام ص٧،د. محمد حمدى المناوي: مصر فى ظل الإسلام ص٢، ويذكر.بتلر أن المصريين سعوا أمره إلى التخلص من قيرس مع ما كانوا عليه من الصبر والاحتمال الطويل، فقد أثار حفيظتهم ما رأوه من فعله فهو تارة ينهب أواني كنائسهم الثمينة لا يرقب فيهم إلا ولا ذمة، وتارة يضربهم أو يسجنهم، فاجتمع أتباع الطريقة الجايانية فى كنيسة دفاشير قرب مريوط، وتآمروا على قتل هذا الظالم، ولكن اكتشفت المؤامرة، وقتل جميع من شارك فيها، ونجا قيرس، بتلر: فتح العرب ص٢٢٣.معتمدا على نص ساويرس بن المقفع.

٨٤-عرف المصريين باسم القبط أو الأقباط، والمعروف أن كلمة قبط أو أقباط لم تكن تعنى، وقت الفتح الإسلامي-مذهبا دينيا ولا ترادف كلمة مسيحي مصر، وإنما تعنى أهل مصر، وإن كانت بمرور الزمن والآن، وأصبحت تعنى المصريين المسيحيين. راجع د. سيدة الكاشف: مصر الإسلامية وأهل الذمة ص ٢٨، د. عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين ص٥٠، هذا وقد عرفت مصر منذ العصر اليوناني باسم ايجوبثوس Aigyptiosوربما كانت هذه الكلمة كلها مشتقة من كلمة حت -كا -بتاح أي من اسم معبد الآلة بتاح، على اعتبار أنه الإله الخالق وإله العاصمة منف فى نفس الوقت، وربما كانت ايجوبتوى مشتقة من كلمة مصرية هى"آجبي" التى ربما تشير إلى الماء الأزلي برزت منه الأرض أو فيضان النيل وربما تكون إيجونيوس كلمة لاتينية أو يونانية الأصل، حيث ذكر فى أشعار هوقيروس، ومن هذه الكلمة التى تستخدمها إشارة إلى مصر اشتقت اللغات الأوربية (الألمانية) Agypten(بالأسبانية)Egittoبالإنجليزية Egypt والمرجح أن كلمة القبط اشتقت لغويا من إيجوبتوس أو من حت-كا- بتاح للاستزاده راجع د. سيدة الكاشف: مصر الإسلامية ص٢٨ ح٣٨، د. نجيب ميخائيل: مصر والشرق الإدني القديم، ط مصر ١٩٦٥،ج١ ص١،د. عبد الحليم نور الدين: تاريخ وحضارة مصر القديمة، القاهرة ٢٠٠٠م،ص٩.

٨٥- بتلر: فتح العرب ص٢٠٩، أيضا د. سيدة الكاشف: مصر فى فجر الإسلام ص٧، د. محمد حمدى المناوي: مصر فى ظل الإسلام ص٢.

٨٦- الواقدى: فتوح الشام، ص٣٩ سطر ١.

٨٧- مثلا ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، تحقيق د. على محمد عمر، القاهرة ١٩٩٥م، ص٨٣-٨٤، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص١٠ سطر٥، ص١٦ سطر٣.

٨٨- Chronique de Jean,p.567

وتؤيد ذلك د. سيدة الكاشف: مصر الإسلامية وأهل الذمة ص٢٩، بتلر: فتح العرب ص٣٠١.

٨٩- Chronique de Jean,p.584

٩٠- ساويرس بن المقفع: سير الآباء(Patr.or) ج١ص٢٢٨-٢٢٩.

٩١- هو عمرو بن العاص بن وائل بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك، أبو عبد الله وأمه النابغة بنت خزيمة بن عنزة وهو أحد عظماء العرب ودهاتهم وأولي الرأي والحزم والمكيدة فيهم، كان فى الجاهلية من الأشداء على الإسلام، وأسلم فى صلح الحديبية ولاة النبي ﷺ قيادة جيش ذات السلاسل، ثم استعمله على عمان، ثم كان من أمراء الجيوش فى الجهاد بالشام زمن عمر بن الخطاب.للاستزاده راجع الكندى ولاة مصر، تحقيق د. حسين نصار، ط بيروت (بدون تاريخ) ص٢٩، ابن حزم:جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ط٢ ١٩٧١م ص١٥٤،الذهبي: تاريخ الاسلام ، تحقيق حسام الدين القدسي، القاهرة، القدس(بدون تاريخ)، ج٢ص١٣٥-١٤٥،ابن حجر العسقلاني: الإصابة فى تمييز الصحابة، تحقيق على محمد البجاوي، القاهرة ج٢ص٥٠١، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٦١، وما بعدها ويقال أن عمرو كان رجلا تمتاما أي يتلجلج فى كلامه.أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٦٣. راجع ما كتبه عنه الفريد بتلر: فتح العرب،ص ٢٣٠-- ٢٣٨، وقد أظهر بتلر فى كتابه مدى إعجابه الشديد بفاتح مصر الشهير لدرجة أنه تصدى بقوة لنقد الرواية القائلة بأنه كان يتلجلج فى كلامه.

٩٢- الكندي: ولاة مصر ص٢٩-٣٠: يلاحظ أن الكندي له العديد من المؤلفات غير هذا الكتاب فله أيضا فضائل مصر صنفه لكافوز الأخشيد، وله كتاب" سيرة مروان بن الجعدى وكتاب الموالي وغيرهم.راجع كارل بروكلمان: تاريخ آداب اللغة العربية ج٢ ص٣١؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ص٢٨، ٧١٥.

٩٣- الحميرى:الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق د. إحسان عباس ط بيروت ١٩٨٠م ص٥٥٢(ب) سطور ٦-٧. المؤكد فيه أن الكندي والحميري قد اعتمدا فى هذه الرواية على كتاب ابن عبد الحكم وإن لم يشيرا إلى ذلك، لأن رواية الكندى هنا تعتمد على

الطريقة المعروف بطريقة الإسناد التي جري عليها رواة الحديث وهو نفس المنهج الذى كان متبعا لدى مدرسة التأريخ فى مصر فى القرن الثالث الهجري.

٩٤- ابن زولاق: فضائل مصر وأخبارها وخواصها، تحقيق د.على محمد عمر ط القاهرة ٢٠٠٠م، ص٢٤- ٢٥، والمؤكد فيه أن ابن زولاق قد نقل هذه الرواية من كتاب ابن عبد الحكم، ولكن ابن زولاق لم يشر إلى ذلك.

٩٥- الواقدى: فتوح الشام، ق٢ص٣٩.

٩٦- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٤ سطور١٧-١٨.

٩٧- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٥.

٩٨- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٥-٧٦.

٩٩- الكندي: ولاة مصر ص٢٥-٣٠، ابن زولاق: فضائل مصر ص٢٤.

١٠٠- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٤، سطور١٧-١٨.

١٠١- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص ٧٧، ورواية ابن زولاق هنا كانت بالتلميح دون التصريح عندما قال" حسن له" أي للخليفة عمر، عمرو المسير إلى مصر.

١٠٢- راجع مقدمة تشارلز تورىCharles Torrey لكتاب، فتوح مصر لابن عبد الحكم، ط نيوهافن New Haven 1922.

١٠٣- للاستزاده راجع د. إبراهيم أحمد العدوى، ابن عبد الحكم رائد المؤرخين العرب، ص٥٥وما بعدها.

١٠٤- ابن وصيف شاه: جواهر البحور ص٣٠.

١٠٥- ابن وصيف شاه: جواهر البحور ص٣٠، وربما يقصد بملوك القبط حكام مصر أيام الرومان والبيزنطيين.

١٠٦- Saavedra,E.,Estudios sobre la invasion n de los Arabes en España,Madrid 1892,p.40

أيضا د.عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ط الإسكندرية بدون تاريخ ص٦١.
تقول هذه القصة أنه كان بطليطلة دار ملك القوط، بيت مغلق يحرسه قوم من ثقات القوط، وكانت العادة أنه إذا تولي من القوط تلك، زاد على البيت قفلا، فلما تولي لذريق آخر ملوك القوط وصريع معركة وادي لكة أو بحيرة لا خندا Laguna de La Janda مع المسلمين عزم على فتح هذا الباب والإطلاع عما بداخل هذا البيت، فأعظم ذلك عند أكابرهم، وتضرعوا

إليه أن يكف عن ذلك فأبي وظن أنه بيت مال ففض الأقفال عنه ودخله، فأصابه فارغا لا شيء فيه إلا المائدة التى كانت تعرف بمائدة سليمان وتابوت عليه قفل فأمر بفتحه فألقاه فارغا ليس فيه إلا مائدة مدرجة، قد صورت فيها صور العرب على الخيول وعليهم العمائم، متقلدى السيوف، متنكبي القسي، رافعى الرايات على الرماح وفى أعلاها كتابة بالأعجمية، فقرئت،فإذا هي: إذا كسرت هذه الأقفال من هذا الباب، وفتح التابوت، فظهر فيه من هذه الصور فإن الأمة المصورة فيه تغلب على الأندلس وتملكها وللاستزاده راجع ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس،نشر دون خوليان ريبيرا JulianRibera تحت اسم Historia de Conquista de España مدريد ١٩٢٦،ص٧-٨، ابن عذارى: البيان المغرب ج٢ص٤، المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٩ ج١ص٢٣١-٢٣٢، ٢٣٥، نص عبد الملك بن حبيب نشره محمود على مكى ضمن صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، العدد الخامس ١٩٧٥،ص٢١٥.

١٠٧-د. أحمد مختار العبادي: فى تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية ١٩٧٥، ص٥٥.

١٠٨- راجع تلك الرواية فى الواقدى: فتوح الشام، ص٤٤-٤٩.

١٠٩- وردت قصة فلورندا ابنه يليان فى ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ابن عذارى: البيان المغرب ج٢ص٩-١٠ ويلاحظ أن بعض المؤرخين الأسبان المحدثين قد صدقوا مثل هذه الروايات واعتبروها السبب فى دخول العرب أرض أسبانيا أمثالSaavedra,Estudios,p60وقد تصدى بعض المؤرخين المحدثين لمثل هذه الروايات واعتبروها غير صحيحة ويبدو فيها الخيال بشكل واضح، وأنها مختلفة من ابتكار القصاص والإخباريين، د. عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين ص٦٨؛د.مختار العبادي: فى تاريخ المغرب والأندلس ص٥٥.

١١٠- راجع نص الواقدى الهام فى فتوح الشام ص٥٩، وهذا النص يحتوى على رسالة لعمرو بن العاص أرسلها إليه يطلب العون والمدد العسكري لاستكمال فتح مصر ويأمره فيها الخليفة عمر بأخذ الاحتياطات والحذر من العدو.

١١١- الواقدى: فتوح الشام ص٥٩.

١١٢- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٧، الكندي: ولاة مصر ص٣٠، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٥. معتمدا على رواية ابن عبد الحكم، الحميرى: الروض المعطار ص٥٥٢(ب).

١١٣- الطبري: تاريخ الطبري المعروف بتاريخ الأمم والملوك ط بيروت ١٩٨٧ مجلد ٢ ص٤٤٩، ويؤيد روايته بتلر فتح العرب ص٢٢٧، أيضا د. عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية ط الإسكندرية ١٩٧٤، ص٢٠٥.

١١٤- Cambridg Medieval Histoy, Cambridg 1924,vol III,.349

١١٥- د. سيدة الكاشف: مصر فى فجر الإسلام ص٩،.ومن المهم جدا أن نذكر أننا اضطررنا لتكرار هذا السبب حول فتح مصر أكثر من مرة لأن طبيعة الدراسة حتمت علينا ذلك.

١١٦- د. المناوي: مصر فى ظل الإسلام ص١٠.

١١٧- د. عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية ص٢٠٥، الصلات التاريخية بين الشام ومصر فى العصر الإسلامي، مجلة العلوم ط بيروت ١٩٦٤، العدد رقم (٥).

١١٨- د. سيدة الكاشف: مصر فى فجر الإسلام ص٤٩ ح٢.

١١٩- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٤، الكندي:ولاة مصر، ص٢٩، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٥.

١٢٠- السيوطي: حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، ط القاهرة ٣٢٧ ﻫ ج١ص٩٢.

١٢١- السيوطي: حسن المحاضرة ج١ص٩٩.

١٢٢- الواقدى: فتوح الشام ص٤٤.

١٢٣-الواقدى: فتوح الشام ص٤٤ سطر١٨.

١٢٤-ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٩ ويشير ابن عبد الحكم فى موضع أخر من كتابه إلى انتشار قبائل لخم بالذات فى عمق الأقاليم المصرية نفسها، ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٨٠سطور١٣-١٤. وقد سميت قبيلة لخم بهذا الاسم من لخم وجه أخيه جذام أي لطمه فخصر عينه فسمي لخما. راجع المقريزى: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق د. عبد الحميد عابدين، القاهرة ١٩٦١، ص١٢.

١٢٥-المقريزى: البيان والإعراب ص٥، ٢٩،٣٢-٣٣، ويذكر أحد الكتاب المحدثين الكبار أن قبيلة قضاعة قبل نزوحهم إلي مصر كانوا يسكنون المنطقة الواقعة شمالي صحراء النفود أو فى بادية الشام وأن هذه المنطقة كانت المستودع الذى أمد مصر بالموجات العربية منذ أقدم العصور د. عبد المجيد عابدين فى تعليقاته وشروحاته لكتاب البيان والإعراب ص٨٥.

١٢٦- المقريزى: البيان والإعراب ص١١-١٣، ٥٩-٦١.

١٢٧- د. سيدة الكاشف: مصر فى فجر الإسلام ص٩-١٠.

١٢٨- المقريزى: البيان والإعراب ص٢٢، ٢٧، ٢٩.

١٢٩-د. عبد المجيد عابدين فى شروحاته لكتاب البيان والإعراب ص٨٩.

١٣٠- هذا ويعتبر كتاب المقريزى: البيان والإعراب من أهم المصادر التى تناولت القبائل العربية التى هاجرت من بلاد العرب إلي مصر.

١٣١- د. عبد المجيد عابدين فى شروحاته لكتاب البيان والإعراب ص٩١.

١٣٢-ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٩.

١٣٣-ياقوت الحموي:معجم البلدان ط أوربا(١٨٦٦-١٨٧٦)ج٣ ص٣ ويذكر الإدريسي أن أحد المواضع القديمة لدمشق -قبل أن تبني- موضعا يسمي الجابية وذلك فى أيام الجاهلية، ثم بنيت، دمشق عليها ولها أبواب شتى، منها الجانبية الإدريسي: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ط القاهرة (بدون تاريخ) مجلد ١ص٣٦٨، ٣٧٧، ويذكر الحميرى- استنادا إلى البكري- أن الجابية هي قنسرين، الحميرى: الروض المعطار ص١٥٣-١٥٤، وهذا يثير الدهشة لأنه بالرجوع إلى كتاب معجم ما استعجم للبكري لم نجد ذكر لذلك على الإطلاق. ويذكر الحميري في الروض المعطار أن أبا عبيدة بن الجراح افتتح الجابية مع كل من سرغ واليرموك.الحميري: الروض المعطار ص٣١٥.

١٣٤- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٧٦.

١٣٥- د. عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية ص٢٠٤-٢٠٥، ويذكر أن فكرة فتح مصر أثيرت لأول مرة عندما وفد عمر بن الخطاب إلى الجابية عام ١٧هـ /٦٣٨م ومؤيدا بذلك رواية ابن عبد الحكم وغيره.

١٣٦- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٦-٧٧.

١٣٧- أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٦ ويذكر أبو المحاسن فى موضع آخر من كتابه أن هناك رواية تذكر أن عمرا قد استشار عثمان بن عفان فيما يفعله مع عمرو بن العاص وموافقته له على المسير إلى مصر،فقال عثمان"يا أمير المؤمنين أن عمرا لمجرأ وفيه إقدام وحب للإمارة فأخشى أن يخرج فى غير ثقة ولا جماعة فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لا يدرى تكون أم لا،فندم عمر على كتابه إلى عمرو وإشفاقا على المسلمين، ثم قال عثمان لعمر:فأكتب إليه: إن أدركك كتابي هذا قبل أن تدخل مصر فارجع إلى موضعك وإن كنت وصلت فأمض لوجهك" أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٦-٧.

١٣٨-ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٧-٧٨.

١٣٩-الكندي: ولاة مصر ص٣٠.

١٤٠-ابن زولاق:فضائل مصر ص٢٥، وروايته تتسم بالاختصار.

١٤١-أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٥-٦.

١٤٢- المقريزى:الخطط،ط بولاق ١٢٧٠هـ،ج١ ص٣٢٨.

١٤٣-الحميري: الروض المعطار ص٥٥٢.

١٤٤- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٨.

١٤٥-تكملة هذا النص من كتاب الكندي: ولاة مصر ص٣١.

١٤٦- البلاذرى: فتوح البلدان ص٢٨٩.

١٤٧-الكندي: ولاة مصر ص٣٠-٣١.

١٤٨- المقريزى: الخطط ج١ص٢٨٨-٢٨٩.

١٤٩-ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٨، وهو الوحيد الذى انفرد بذكره الرواية.

١٥٠- مثلا د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية ص٢٠٤-٢٠٥، د. محمد الشيخ: تاريخ الإمبراطورية ص٨٥-٨٦.

١٥١-ألفريد بتلر: فتح العرب ص٢٢٦.

١٥٢- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ط أوربا ج٣ص٨٩٣.

١٥٣- ألفريد بتلر: فتح العرب ص٢٢٦-٢٢٧.

١٥٤- الواقدي: فتوح الشام ص٣٦.

١٥٥- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص ٧٨.

١٥٦- الواقدى:فتوح الشام ص٣٦، ويؤيده فى ذلك البلاذري:فتوح البلدان ص٢٩٨، ويذكر البلاذري أن عمرا كتب إلى عمرو يأمره بالشخوص إلى مصر، فوافاه كتابه وهو محاصر قيسارية.

١٥٧- الواقدى: فتوح الشام ص٣٨.

١٥٨- الواقدى: نفس المصدر والصفحة.

١٥٩- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٨، وقد أخطا بتلر فى الأصل الانجليزى لكتابه فتح العرب لمصر عندما ذكر هذا الرجل تحت اسم شريك بن أهدب.

١٦٠- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص ٧٨.

١٦١- مثلا الطبري: تاريخ الطبري مجلد٢ ص٥١٢، ابن الجوزى: المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عطا، مصطفى عطا، ط بيروت ١٨٩٢م ج٤ص٢٩١، ويلاحظ أن كل من الطبري وابن الجوزي نقلا هذه الرواية من ابن اسحاق، ويؤكد على هذا أيضا رواية ابن وصيف شاه حيث يورد رواية نقلها من الكندي تقول"لما أبطأ خبر مصر على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول له فيه"إني قد وجهتك إلي مصر وأرسلت معك جيشا كل واحد منهم مقوم بمائة فارس، فإذا وصلك كتابي هذا فأجمعهم وأخطب فيهم وحثهم على القتال، ورغبهم فيه، وأبرز للقتال عند غروب الشمس يوم الجمعة فإنها ساعة إجابة.ابن وصيف شاه: جواهر البحور ص٣١، أيضا أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٤.

١٦٢- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٩، وهو الوحيد الذى انفرد بذكر هذه الرواية ونقلها عنه أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ ص٦-٧.

١٦٣- ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، تحقيق أبي الفداء القاضي، الطبعة الأولي ١٩٨٧، المجلد الثاني ص٤٠٥ حوادث سنة ٢٠هـ.

١٦٤-مثلا د. عبد العزيز سالم:تاريخ الدولة العربية،ص٢٠٥، د. محمد الشيخ: تاريخ الإمبراطورية ص٨٥.

١٦٥-ألفريد بتلر: فتح العرب ص٢٢٨، ح١.

١٦٦- د. عبد العزيز سالم:تاريخ الدولة العربية، ص٢٠٥.

١٦٧-د. سيدة الكاشف:مصر فى فجر الإسلام،ص٨، د. حسن أحمد محمود: دراسات في تاريخ مصر فى العصور الوسطي ط القاهرة ص١٩-٢٠. د. محمد حمدي المناوي: مصر فى ظل الإسلام ص٩-١٠، د. صابر محمد دياب: تاريخ مصر الإسلامية وحضارتها ط الفيوم ٢٠٠٣م ص٣١.

١٦٨-د. صابر دياب : تاريخ مصر وحضارتها ص٣١-٣٢. ويؤيد وجهة نظر د. حسن محمود فى كتابه : دراسات فى تاريخ مصر ص٢٠-٢١.

١٦٩- الواقدى: فتوح الشام ص٥٩.

١٧٠- د. عبد العزيز سالم:تاريخ الدولة العربية ص٢٠١.

١٧١- يلاحظ أننا اضطررنا لتكرار هذا النص للواقدى أكثر من مرة لأن طبيعة ومجريات الدراسة حتمت علينا ذلك.

١٧٢- الواقدى: فتوح الشام ص٣٦-٣٧.

١٧٣- الواقدى: فتوح الشام ص٣٨، ويؤكد تلك الرواية ابن وصيف شاه عندما يـذكر اعتمـادا على رواية الكندي"فلما أتي كتاب أمير المؤمنين إلي عمرو بن العاص، جمع المؤمنين وقرأ عليهم الكتاب يوم الجمعة مستهل المحرم الحرام سنة ٢٠هـ، فعند ذلك برز للقتال، وفـتح الله بالنصـر يوم الجمعة، وفتحت على يد عمرو بن العاص" ابن وصيف شاه: جواهر البحور ص٣١.

١٧٤- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٤، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٥.

١٧٥-د. حسن محمود: دراسات فى تاريخ مصر ص٢١-٢٢،ويؤيده د. صابر دياب: تاريخ مصر الإسلاميةص٣٤.

١٧٦- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٤-٧٥، الكندي: ولاة مصر ص٢٩-٣٠.

١٧٧- أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٣١ سطر١٥.

١٧٨- الكندي: ولاة مصر ص٥٤، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٦٣.

١٧٩- الكندي: ولاة مصر ص٥٤، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٦٣-من المهم للغاية أن نذكر أننا اضطررنا هنا لاستباق الأحداث والاستشهاد بأحداث تاليـة للفتـرة موضـوع الدراسة لتأكيد وجهة نظرنا حول طموحات عمرو السياسية.

١٨٠- البلاذري: فتوح البلدان ص٣١٤، سطور ١-٢.

١٨١- البلاذرى: نفس المصدر والصفحة.

١٨٢-الفريد بتلر: فتح العرب، ص٢٢٦ معتمدا على مصادر لم يذكرها وربما اعتمد علـى رواية ابن الأثير الذى يشير إلى رواية غامضة فيما يتعلق بذلك.

١٨٣- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٤، ٧٨، الكندي: ولاة مصر ص٣٠، ويؤيـدهما ابـن وصيف شاه ويذكر"أنه لما فتح عمر بن الخطاب الشام حسن له عمرو المسير إلى مصر، فـامتنع عمر فلم يزل به عمروحتى أنفذه فى أربعة آلاف. ابن وصيف شاه: جواهر البحور، ص٢٥.

١٨٤- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٩، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٦.

١٨٥- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٨، الطبري:تاريخ الطبري، مجلد ٢ص٥١٢، ابـن الجوزي: المنتظم ج٤ ص٢٩١، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٤، ابن الأثير: الكامل، مجلد ٢ص٤٠٥، المقريزى: الخطط ج١ص٢٨٩.

١٨٦- الواقدى: فتوح الشام ص٤٤-٤٥.

١٨٧- الواقدى: فتوح الشام ص٣٦-٣٧.

١٨٨- بتلر: فتح العرب ص٢٣٠.

١٨٩- ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، نشر فولرز ط بـولاق ١٨٩٣م ص٤، ويؤيد هذه الرواية بتلر: فتح العرب ص٢٣٠.

١٩٠- الواقدى: فتوح الشام ص٣٦.

١٩١- ابن دقماق: الانتصار ص٤-٥، ويقول عن هؤلاء الفرس أنهم كانوا من بقية الجيش الذى أرسله كسري الى اليمن بقيادة بازان أو هو رزاد، ويؤيد هذه الرواية بتلر: فتح العرب ص١٧٨ ح٤ ص٢٣٠.

١٩٢- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٧، البلاذري: فتوح البلدان ص٢٩٨، ابن زولاق: فضائل مصر ص٢٥، الكندي: ولاة مصر، ص٣١-٣٢، المقريزى: الخطط ج١ ص٢٨٨، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٥-٦ معتمدا على رواية ابن عبد الحكم.

١٩٣-بتلر: فتح العرب ص٢٣٠.

١٩٤- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٧، يؤيد أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٥.

١٩٥- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٧ سطور ٩-١٠، الكندي: ولاة مصر، ص٣١-٣٢.

١٩٦-أكد على ذلك أيضا الواقدى فى روايته بالتلميح دون التصريح عندما أشار إليهم باسم أهل اليمن. الواقدى: فتوح الشام ص٥ سطر ٢٩.

١٩٧- الواقدى: فتوح الشام ص٣٦، البلاذري: فتوح البلدان ص٢٩٨.

١٩٨-د. حسن محمود:دراسات فى تاريخ مصر ص٢١.

١٩٩-المقري: نفح الطيب ج١ص٢١٤، ٢٣٧. أيضا د. أحمد مختار العبادي: فـى تـاريخ المغرب والأندلس ص٥٧.

٢٠٠- بتلر: فتح العرب ص٢٣٠.

٢٠١- يلاحظ أننا اضطررنا هنا إلى تكرار مثل هذه المادة التاريخية لأن طبيعـة الدراسـة حتمت علينا ذلك.

٢٠٢-ابن دقماق: الانتصار ص٤-٥ يؤيد ذلك بتلر: فتح العرب ص٢٣٠، د. حسن محمود: دراسات فى تاريخ مصر ص٢١.

٢٠٣- بتلر: فتح العرب ص٢٣٠.

٢٠٤- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٧، الكندي:ولاة مصـر ص٣٠، أبـو المحاسـن: النجوم الزاهرة ج١ ص٦.

٢٠٥-يلاحظ أن هذه الجزئية من الدراسة أغفلتها الدراسات الحديثة تماما بالرغم من أهميتها فى دراسة الفتح الإسلامي لمصر.

٢٠٦- مثلا ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٩، أبو المحاسن: النجوم الزاهـرة ج١ ص٧، الحميرى: الروض المعطار ص٥٥٢.

٢٠٧- الواقدى: فتوح الشام ص٤٧ سطور ١٥- ١٦.

٢٠٨ الواقدى: فتوح الشام ص٤٧.

٢٠٩- الطبري: تاريخ الطبري مجلد ٢ص٤٤٩، ويؤيده فى ذلك بتلر: فتح العرب ص٢٢٧.

٢١٠-بتلر: فتح العرب لمصر ص٢٣٩، ويذكر بتلر فى موضع آخر من كتابه أن الروم قد نذروا بمجئ العرب منذ زمن، وكان لديهم الوقت الكافى لترميم ما تهدم من أسوار وحصون المدن المصرية، بتلر: فتح العرب ص٢٤٢.

٢١١- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٨١.

٢١٢- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٨٣.

٢١٣- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٩؛ كذلك أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ ص٧.

٢١٤- الواقدى: فتوح الشام ص٤٧، ٥٥.

٢١٥- الواقدى: فتوح الشام ص٦٠.

٢١٦- الواقدى: فتوح الشام ص٦٢ سطور ١٠-١٣.

٢١٧- الواقدى: نفس المصدر والصفحة.

٢١٨- الواقدى: فتوح الشام ص٤٤-٤٥.

٢١٩-يؤكد بتلر على هذا الرأي عندما ذكر أن جيش عمرو كان كله من الفرسان. بتلر: فتح العرب ص٢٢٨-٢٢٩.

٢٢٠- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٩.

٢٢١- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٩.

٢٢٢- بتلر: فتح العرب ص٢٢٩، ويقال أن أسوار العريش ظلت قائمة بإزاء البحر المتوسط إلى القرن السابع الهجري(الثالث عشر الميلادي) ويقال أن أجود أنواع المرمر وأعظم العمد التى فى القاهرة حاضرة المماليك كانت تأتى من العريش، وقد روى بعض المؤرخين أن سور مصر العظيم كان يبدأ من هناك ويتجه إلى القلزم(السويس)، ثم يتجه مع شاطئ النيل الشرقي إلى الجنوب حتى الجنادل الأولي، ويقال أن أول من بني هذا السور

سيزوستريس وقد سماه العرب(سور العجوز) ولكنه كان قد تهدم منذ زمن طويل حتى أنه لم يمثل عائقا أمام جيش عمرو بن العاص وقد بقيت أطلاله إلى اليوم عند جبل الطير وفي مواضع أخري بمصر. راجع أبو صالح الأرمني: تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمني المعروف بتاريخ نواحي مصر وإقطاعها نشر إيفنتسEvetts ط اكسفورد ١٨٩٤م ص٥٩، ١٦٧، أيضا بتلر: فتح العرب ص٢٢٩-٢٣٠.

٢٢٣- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٧٩، وهو المؤرخ الوحيد الذى انفرد بذكر هذه الرواية ونقلها عنه المقريزى: الخطط ج٢ ص٣٠؛ أيضا بتلر: فتح العرب ص٢٤٦، الحواشي.

٢٢٤-بتلر: فتح العرب ص٢٤٦، وإن ذكر أن ذلك تم بعد سقوط الفرما.

٢٢٥ - The ophanes, Historia in corpus scriptor um historiae Byzatinae, ed, Bonnae 1838.to.44.p.167

أيضا نقفوروس نصوص من كتابه كما وردت في بتلر: فتح العرب ص٢٤٠، ويلاحظ أن كتاب ثيوفانيس الموجود ضمن مجموعة الCorpus عبارة عن سفر تاريخي كبير سجل فيه أحداث الفترة ما بين ٢٤٨ حتى سنة ٨١٣م راجع التحليل الممتع لهذا المصدر في ناجى نوار: العلاقات السياسية بين الإمبراطورية البيزنطية والخلافة العباسية في عهد الإمبراطور ميخائيل الثالث، رسالة ماجستير لم تنشر الإسكندرية ١٩٨٤م، ص١٢.

٢٢٦- سلك هذا الطريق منذ أقدم العصور كل وافد على مصر أو جيش محارب لها، نفذ عبره الخليل إبراهيم حين قصد مصر، كما اجتازت جيوش الاسكندر وجيوش الفرس بقيادة قمبيز وكذلك كليوباترا السابعة، وكذلك سارت عليه أسره المسيح عليه السلام. بتلر: فتح العرب ص٢٤٢ معتمدا على نص حنا النقيوسي.

٢٢٧-عرفت المدينة باسم"برمون" بالقبطية بتلر:فتح العرب ص٤٢.

٢٢٨-أبو صالح الأرمني: تاريخ الشيخ أبو صالح ص١٧٦، أيضا بتلر: فتح العرب ٢٤٢.

٢٢٩- أبو صالح الأرمني: تاريخه، ص١٧٦، كذلك بتلر: فتح العرب ٢٤٢.

٢٣٠- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٨٠، الكندي: ولاة مصر ص٣١، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٧.

٢٣١- بتلر: فتح العرب ص٢٤٣.

٢٣٢- هكذا أجمعت بعض الروايات على أن حصار الفرما وسقوطها استمر شهرا مثل ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٨٠، البلاذرى: فتوح البلدان ص٢٩٨، المقريزى: الخطط

ج١ص٢٨٩، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٧. ويلاحظ أن رواية البلاذرى والكندي هنا كانت موجزة للغاية، ولم يشر إلى فترة حصار المسلمين للفرما حتى سقوطها قائلين" فتقدم(أي عمرو)إلي الفرما وبها جموع الروم فقاتلهم فهزمهم" الكندي: ولاة مصر ص٣١، ويذكر ياقوت الحموي أن فترة حصار الفرما كانت شهرين. ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٦ ص٣١٨، ويؤيد أحد المؤرخين المحدثين الرواية القائلة بأن حصار الفرما استمر شهرين إلا أنه لم يذكر المصدر الذي اعتمد عليه د. صابر دياب: تاريخ مصر الإسلامية ص٤٠، ورواية ابن زولاق عن حصار وسقوط الفرما كانت موجزة للغاية إذ ذكرها فى كلمات قليلة "فقاتلوه(أي عمرو) بالفرما ثم هزمهم إلى قصر الشمع. ابن زولاق: فضائل مصر ص٢٥.

٢٣٣-د. نبيلة حسن: محاضرات فى تاريخ مصر الإسلامية ط الإسكندرية ١٩٨٧م ص٣١.

٢٣٤-هكذا ورد اسمه فى ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٨٠.

٢٣٥- هكذا ورد اسمه فى أبي المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٧.

٢٣٦- هكذا تجمع المصادر الإسلامية على تلك الرواية مثل ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٨٠، المقريزى: الخطط ج١ ص٢٨٩، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٧ويلاحظ أن الحميري هنا كان مضطربا فى روايته عن ذلك فيذكر أن الأقباط قدموا العون للمسلمين بعد سقوط كل من بلبيس وأم دنين وليس قبل ذلك، ويشير أن ذلك كان من قبل أسقف كان بالإسكندرية من أهل العلم بالكوائن، فلما بلغه قدوم عمرو بالمسلمين إلى بلاد مصر، كتب إلى القبط يعلمهم أن ملكهم قد انقطع ويأمرهم بتلقى عمرو بالطاعة له، فأطاعه كثير من القبط فاستعان بهم على من سواهم. الحميري: الروض المعطار ص٥٥٢-٥٥٣. ويؤيد هذه الروايات غالبية المراجع الحديثة التى تناولت الفتح الإسلامي لمصر مثلا د. سيدة الكاشف: مصر فى فجر الإسلام ص١٨٦، مصر الإسلامية وأهل الذمة ص٣١، د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية ص٢٠٦.

٢٣٧- بتلر: فتح العرب ص٢٤٥.

٢٣٨- بتلر: فتح العرب ص٢٤٥، يذكر بتلر أن قيرس كان مؤمنا أن المسلمين لا بد لهم من أن يسيروا إلي مصر بعد أن تخلص لهم الشام فكان الحزم يقتضى منه أن يقيم الأرصاد والربض فى الصحراء حتى أكناف العريش على الأقل ولو أرسل الروم عشرة آلاف ضدهم ليقاتلوا عمرا أثناء سيره، أوجمعوا ذلك الجيش تحت حصن الفرما لما عجزوا أن يهزموا تلك الفئة القليلة من العرب وحالوا بين المسلمين وبين فتح مصر أمدا طويلا.

٢٣٩- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٨١، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٧.

٢٤٠- بتلر: فتح العرب ص٢٤٤.

٢٤١- الواقدى: فتوح الشام ص٤٧، ٥٥.

٢٤٢- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٨٠، ٨١، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٧-٨.

٢٤٣- بتلر: فتح العرب ص٢٤٤.

٢٤٤- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٨٠، ٨١، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٧-٨.

٢٤٥- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٨٠، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٨، ويلاحظ أن رواية الكندي عن حصار بلبيس وقتال الروم فيها كانت موجزة للغاية. الكندي: ولاة مصر ص٣١.

٢٤٦- بتلر: فتح العرب ص٢٤٨.

٢٤٧- تسميه بعض المصادر باب إليون مثلا الطبري:تاريخه مجلد ٢ص٥١٢، ويسميه البلاذرى إليونه.البلاذرى: فتوح البلدان ص٢٩٨، وهو الحصن الذى بناه الإمبراطور تراجان(٩٨-١١٧م) ، وتسميه المصادر الإسلامية الأخرى قصر الشمع أو الحصن انظر مثلا الواقدى:فتوح الشام ص٦٧، ابن زولاق: فضائل مصر ص٢٥، الكندي: ولاة مصر ص٣١، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٨، ويقال أنه سمي قصر الشمع لأنه لم يكن يخلو من شمع الملوك . الواقدى: فتوح الشام ص٥٣، وراجع ما كتبه بتلرعن أصل التسمية بتلر: فتح العرب ص٢٧٥، وتقع بقايا هذا الحصن في مصر القديمة وقد تعددت روايات المؤرخين حول اسمه وتأسيسه، فقد ذكر البعض بأن تسميته ترجع بذلك إلي أن عدوا من الأسري من مدينة بابل العراقية قد جيء بهم إلي مصر على أيدي الفرعون سيزوستريس فعهد إليهم القيام ببعض الأعمال العامة حيث أنشأوا بعدها مكانا حصينا فى تلك المنطقة أطلق عليه اسم بابليون نسبة إلى المدينة التى جاءوا منها وقيل أن هذه التسمية أطلقت على مدينة كان مكانها فى مصر القديمة وحلت محلها منف، غير أن نجمها أفل بعد إنشاء العرب للفسطاط وقيل إنها ترجع إلى عهد الفرس الذين جددوا بناء الحصن بعد استيلائهم على مصر. بتلر: فتح العرب ص٢٧٣.

٢٤٨- موقعها الحالي قرب حديقة الازبكية وسط القاهرة، وكان النيل يومئذ يمر بهذا المكان وفى تاريخ يوحنا النقيوسي يذكر اسما آخر لها وهو Tendounyas راجع Chronique de Jean,p.557 . ويذكر بتلر أنه إذا أزيل الحرف الأول من هذا الاسم وهو

الدليل على المؤنث فى اللغة القبطية صار التشابه بين الاسمين عظيما(دنين،ندونياس).راجع مناقشة بتلر لذلك فى فتح العرب ص٢٤٨ -٢٤٩ ج٤.

٢٤٩-الكندي: ولاة مصر ص٣١، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٨.

٢٥٠- بتلر: فتح العرب ص٢٤٩.

٢٥١- بتلر: فتح العرب ص٢٤٩.

٢٥٢- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٨١، الكندي: ولاة مصر ص٣١، الواقدى كفتوح الشام ص٥٦-٥٧، ٦٧، ورواية الواقدى تتسم بتفاصيل ضافية حول ذلك إلا أن بعضها مبالغ فيه أيضا أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٨.

٢٥٣- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٨١، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٨.

٢٥٤- هكذا أكد الحميري: الروض المعطار ص٥٥٣(أ)؛ أيضا بتلر: فتح العرب ص٢٤٩-٢٥٤، كارل بروكلمان:تاريخ الشعوب الإسلامية ص١٠٠.

٢٥٥-حسك الحديد: أسلاك كالشوك يقطع من الحديد تلقي حول المعسكر لتتشب فى رجل من يدوسها من الخيل والناس الطارقين له، وهى المعروفة الآن بالأسلاك الشائكة. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٨ح٢.

٢٥٦- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٨١-٨٢، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٨.

٢٥٧- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٨٣، المقريزى: الخطط ج١ص٢٨٩، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٨، وأورد ابن عبد الحكم وأبو المحاسن أكثر من رسالة حول عدد القوات المرسلة من عمر إلى عمرو. أيضا ابن زولاق: فضائل مصر ص٢٥، أيضا رواية حنا النقيوسي. ChroniquedeJean.p567.

٢٥٨- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٨٣، البلاذرى: فتوح البلدان ص٢٩٩، الكندي: ولاة مصرص٣٢، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٨، وقد أورد البلاذرى فى رواية أخري تشير إلى أن عدد هذا الجند كان عشرة آلاف رجل. البلاذرى نفس المصدر والصفحة، ويؤيد بتلر الرواية القائلة بأن العدد أثنى عشر ألف رجل. بتلر: فتح العرب ص٢٥٦ ح٢ وتتفق رواية المصادر الإسلامية فى هذا العدد(١٢,٠٠٠) مع حنا النقيوسي المؤرخ القبطي Chroniquede Jean.p567،ويذكر بروكلمان أن عدد جند المدد الإسلامي كان خمسة آلاف رجل بقيادة الزبير بن العوام.بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ص١٠٠ على أن بروكلمان لم يذكر المصدر الذى اعتمد عليه فى ذكر هذا العدد.

٢٥٩- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٨٤، وأبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٩، الحميري: الروض المعطار ص٥٥٣(أ).

٢٦٠- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٨٣، ابن زولاق: فضائل مصر ص٢٥، وأبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٩، ويذكر بروكلمان:أن عمر بن الخطاب بعث بالزبير بن العوام على رأس قوة مؤلفه من خمسة الأف رجل لنجدة عمرو ومراقبته أيضا لما عرف عن عمرو من قبل إلى الاستقلال بالرأي والعمل، بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ص١٠٠ معتمدا على مصادر ومراجع لم يذكرها، ولا ندري من أين أتي بروكلمان بهذه الرواية، كما إننا لا ندرى من أين أتي بهذا الرأي المثير للدهشة من أن أحد مهام الزبير فى مصر هي مراقبة عمرو وتصرفاته، ونحن نرفض هذا الرأي لأنه لا يعتمد على أية أدلة أو أسانيد منطقية.

٢٦١- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٨٣، وأبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١ص٩.

٢٦٢- بتلر: فتح العرب ص٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٦.

٢٦٣- بتلر: فتح العرب ص٢٥٦.

٢٦٤- بتلر: فتح العرب ص٢٥٥.

٢٦٥-مثلا د. حسن محمود: دراسات فى تاريخ مصر الإسلامية ص٤٣،د. صابر دياب: تاريخ مصر الإسلامية ص٤٢-٤٣، كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ص١٠٠.

٢٦٦-د.صابر دياب: تاريخ مصر الإسلامية ص٤٣.

٢٦٧- Chronique de Jean,p.555

٢٦٨-والغريب فى ذلك أن كارل بروكلمان رغم اعترافه برواية غزو عمرو للفيوم، إلا أنه يذكر أن عدد جند عمرو لم يكن كافيا للقيام بهذه الغزوة، وأنه قام بذلك من غير أن يتلقى فيما يبدو أمرا بذلك من عمر بن الخطاب.بروكلمان:تاريخ الشعوب الإسلامية ص١٠٠، وهذا الرأي مرفوض من جانبنا لأنه لا يستند على أية أدلة أو أسانيد منطقية خاصة وأن بروكلمان لم يشر إلي المصدر الذى اعتمد عليه فى تأكيد رأيه هذا.

٢٦٩- Chronique de Jean,p.555

٢٧٠- بتلر: فتح العرب ص٢٥٤ ح٢.

٢٧١-هكذا يذكر الكندي: ولاة مصر ص٣٢، ويذكر أيضا أنه تبقي من هذا الجيش بعد عملية حصار واقتحام بابليون اثني عشر ألفا وهو الوحيد الذى انفرد بذكر هذه الرواية.

(×) بتلر: فتح العرب لمصر ص٢٤٩، ٢٦٠.ويذكر بتلر أن عدد جيش الروم كان يتعدي هـذا الرقم، ويلاحظ أنه يذكر في موصع سابق من كتابه أن عدد جيش الروم داخل الحصن غير معروف بالتحديد. بتلر: فتح العرب ص٢٥٩.

٢٧٢- الواقدى:فتوح الشام ص٣٨.

٢٧٣- يؤيد بتلر هذا التاريخ كسنة وقوع معركة هليوبوليس. بتلر: فتح العرب ص٢٥٩.

٢٧٤- بتلر : فتح العرب ص ٢٦٠

٢٧٥- بتلر : فتح العرب ص ٢٦٢ . ٢٦٣

٢٧٦- ابن زولاق : فضائل مصر ص ٢٥

٢٧٧- الطبري : تاريخه ، ج ٢ ص ٥١٦

٢٧٨- ابن الاثير : الكامل ، مجلد ٢ ص ٤٠٦

٢٧٩- بتلر : فتح العرب ص ٢٦١ - ٢٦٢ ح١

٢٨٠- بتلر : فتح العرب ص ٢٦٣

٢٨١- بتلر : نفس المرجع والصفحة

٢٨٢- بتلر : نفس المرجع والصفحة

٢٨٣- بتلر : فتح العرب ص٢٦٦

٢٨٤- بتلر : فتح العرب ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤

٢٨٥- ابن عبد الحكم : فتح مصر ص ٩٦ - ٩٧

٢٨٦- ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد عطا ومصطفي عطا ، ط . بيروت ١٩٩٢ م ، ج ٤ ص ٢٩١

٢٨٧- بتلر : فتح العرب ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧

٢٨٨- ابن عبد الحكم : فتح مصر ص ٩٦ -٩٧ ؛ الواقـدي : فتـوح الشـام ، ص ٧٠ -٧١ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٠٣ ابن الجوزي المنتظم ، ج٤ ص ٢٩١ ابن وصيف شـاه : جواهر البحور ، ص ٣٢ -٣٣ .

٢٨٩- بتلر : فتح العرب ، ص ٢٧٢ . يذكر بتلر إن جزيرة الروضة يتصل طرفهـا الجنـوبي بالحصن بجسر من السفن .

٢٩٠- ابن دقماق : الانتصار ، ج.ع ص ١٠٩ ويؤيد هذه الرواية بتلر : فتح العرب ، ص ٢٧٢

٢٩١- بتلر : فتح العرب ، ص ٢٧٨

٢٩٢- ابن عبد الحكم : فتح مصر . ص ٨٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١ ص ٩

٢٩٣- بتلر : فتح العرب ، ص ٢٧٨

٢٩٤- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٨٥ – ٨٧ ، المقريزي : الخطط ، ج١ ص ٢٩٠ – ٢٩١ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١ ص ١٠

٢٩٥- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٨٥ – ٨٦ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٠٣ ، الكندي : ولاة مصر ، ص ٣٢ ، الواقدي : فتوح الشام ص ٦٨ . الطبري : تاريخة ، مجلد ٢ ص ٥١٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١ ص ١٠ : الحميري : الروض المعطار ؛ ص ٥٥٣

٢٩٦- بتلر : فتح العرب ، ٢٨٢ – ٢٩٦ ، سيدة الكاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ١١ ، د . حسن محمود : دراسات في تاريخ مصر ، ص ٢٤ – ٢٥، د . صابر دياب: تاريخ مصر الإسلامية، ص ٤٥ – ٤٧ . ويلاحظ أن المؤلف الأخير في تعريفة هذه القضية اتسم بالاضطرابات في تناوله لهذه الروايات الإسلامية التي قيلت حول فتح الحصن .ايضا المناوي : مصر في ظل الإسلام ، ص ١٣

٢٩٧- بتلر : فتح العرب ، ص ٢٤٠ وهو المؤرخ الوحيد الذي انفرد بذكر عدد المدافعين عن حصن بابليون دون أن يشير إلي المصدر الذي اعتمد عليه .

٢٩٨- يؤكد علي ذلك كارل بروكلمان عندما يركز أن ثيودوروس قائد القوات البيزنطية المدافع عن الحصن أرسل يلح في طلب الإمدادات من بيزنطة ولكن بلا جدوى . بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ص ١٠٠ ويضيف بروكلمان إن الروم في بيزنطة كانوا مضطرين إلي ترك الأحداث في مصر وبقية الشرق تسير في نفق مظلم ، وذلك لحاجاتهم الماسة إلي الاحتفاظ بجيوشهم في العاصمة توقعا لقيام ثورات عديدة داخل المناطق الأوربية للإمبراطورية ، لانهماكهم من ناحية أخري بالحرب ضد اللمباردبين في إيطاليا بروكلمان : المرجع السابق ، ص ١٠١.

٢٩٩- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٨٩ ، أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ج١ ص ١٢

٣٠٠- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٨٦ ، أبو المحاسن . النجوم الزاهرة، ج١ ص ١٠

٣٠١- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٨٦ ، أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ، ج١ ص ١٠. ويؤيدهما في ذلك بتلر : فتح العرب ، ص ٢٨٢ – ٢٨٣ . ويذكر الحميري أن المقوقس خرج من الحصن من موضع خفي فيه . الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٥٣ .

٣٠٢- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٨٧ – ٨٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١ ص ١٠ – ١٦ ، الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٥٣ (ا – ب) .

٣٠٣- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٨٩ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١ ص١٤ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٠٣ .

٣٠٤- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٨٦ - ٩١ ، المقريـري الخطـط ، ج١ ص٢٩٠ - ٢٩٢ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١ ص١٠ - ١٦ ، الحميري : الروض المعطـار ص ٥٥٣ . أيضا بتلر : فتح العرب ، ص٢٨٣ - ٢٩٠ .

٣٠٥- سوف نتعرض لمواقف الأقباط من هذه المفاوضات بالدراسة والتحليل في مكانه المناسب من هذه الدراسة .

٣٠٦- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص٨٧ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١ ص١٢ .

٣٠٧- ابن عبد الحكم : فتوح مصـر ، ص٨٩ - ٩١ ، المقريـزي الخطـط ، ج١ ص٢٩١ ، الحميري : الروض المعطار ، ص٥٥٣ . ويؤيد ذلك بتلر : فتح العرب ، ص٢٨٨ .

٣٠٨- بتلر : فتح العرب ، ٢٨٣ ، ٢٩٠ - ٢٩١ .

٣٠٩- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٨٥ ، البلاذري : فتوح البلـدان ، ص٢٩٩ ، ٣٠١ ، المقريزي : الخطط ، ج١ ص٢٩٠ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١ ص١٠ ويلاحظ مدي تشابه روايات كل من الطبري وابن الأثير حول ذلك . الطبري : تاريخه ، مجلـد ٢ ص٥١٤ ، ابن الأثير الكامل ، مجلد ٢ ص٤٠٦: الحميري الروض المعطار، ص٥٥٣ واختلفـت روايـة الواقدي تماما عن روايات المصادر السابقة . الواقدي: فتوح الشام ، ص٦٨ . ويلاحظ إن رواية الكندي كانت مختصرة تماما حول سقوط الحصن . الكندي : ولاة مصر ، ص٣٢ ويتفق بتلر مع رواية المصادر الإسلامية حول نجاح الزبير في اعتلاء الحصن وإسقاطه . بتلر : فتح العـرب ، ص٢٩٨ - ٢٩٩ . ويشك احد المؤرخين المحدثين في الرواية الخاصة باستيلاء الزبير بن العوام علي قمة حصن بابليون، د.صابر دياب: تاريخ مصر الإسلامية، ص٤٩ . ونحن لا نعرف علي أي أدلة أو شواهد أو أسانيد منطقية قوية بني عليها . د. صابر دياب رأيه هذا .

٣١٠- ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص٣٢ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١ ص١٠ .

٣١١- هكذا أكدت أيضا المصادر الإسلامية، وأكد علي ذلك بتلر الذي يذكر إن المقوقس قد وقع علي هذا الصلح بصفته الشخصية وليس ممثلا للإمبراطور الذي لم يقر هذا العهد. بتلـر : فـتح العرب ، ص٣٠٢ ، وهذا الرأي يوضح ويؤكد مدي تحامل وتجني بتلر علي المقوقس .

٣١٢- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٩٢-٩٣، البلاذري: فتوح البلدان ص٣٠١-٣٠٢، أبـو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج١ ص١٧ - ١٨ وراجع العهدة العمرية التي كتبها عمرو بـن

العاص للأقباط بعد فتح حصن بابليون في الطبري : تاريخه ، مجلد ٢ ص٥١٤ – ٥١٥ . ويري البعض أن هذه العهدة تخص المسلمين مع أقباط مصر حيث أعطاهم عمرو الأمان علي أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصليبهم . وقد نقل عن هذا الصلح الصادر عن المؤرخين أمثال القلقشندي : صبح الأعشي ، ط. الأميرية ١٩١٤ ، ج٣ص٣٢٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١ ص٢٤ – ٢٥

ويذكر بتلر في تعليقه علي هذا الصلح بأنة من أكبر الخطأ أن يقال أن القبط عامتهم دخلوا في هذا الصلح الذي كتبه عمرو بن العاص عند فتح بابليون وأن هذا العهد إنما دخل فيه أهل ذلك الموضع فقط: بتلر : فتح العرب ص٣٠٦. وهذه وجهة نظر قاصرة للغاية من بتلر، فإن هذا الصلح الذي يمثل العهدة العمرية من عمرو بن العاص موجه لكل الأقباط في مصر، ويتمثل ذلك فيما ذكره الطبري في كتابة الذي لم يقرأه بتلر بإمعان وروية. كما أن راية يخالف ما ذكرته بقية المصادر الإسلامية الأخرى التي أوردت نص هذا الصلح إذ ذكرت إن أهل مصر كلهم قبلوا هذا الصلح ودخلوا فيه. راجع القلقشندي . صبح الاعشى، ج١٣ ص٣٢٤ . أبو المحاسن النجوم الزاهرة، ج١ ص٢٤ –٢٥ .

٣١٣- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٩٣ – ٩٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١ ص١٨-١٩ . ويذكر بتلر أن العرب والروم اتفقوا علي أن تبقي جيوش الجانبين حيث هي إلي أن يجيء رد هرقل ، أما الحصن فقد اتفق علي أن يبقي مع الروم إلي أن يقر هرقل الصلح . بتلر : فتح العرب، ص٢٩٠ .

٣١٤- يري بتلر أن هذه المعاهدة معاهدة عسكرية أكثر منها معاهدة سياسية وأن هذا الصلح يدحض الرأي القائل بأن حصن بابليون قد فتح عنوة وأن هذا الرأي نوع من الخرافة لا أساس له من الصحة . بتلر : فتح العرب ، ص ٣٠٣.

٣١٥- بتلر : فتح العرب ، ص٣٠٣ .

٣١٦- بتلر : فتح العرب ، ص٣٠٧ .

٣١٧- Chronique de Jean;p , 567

٣١٨- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٩٤ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص٣٠٢ ، ٣٠٧ ، المقريزي : الخطط ، ج١ ص٢٩٣

٣١٩- بتلر : فتح العرب ، ص٢٩١ – ٢٩٢ وكالعادة فإن بتلر في تحليله لموقف هرقل من المقوقس في القسطنطينية لم يكن لديه شعور طيب تجاه المقوقس .

٣٢٠- رواية ابن عبد الحكم عن فتح الفيوم تتسم بالغرابة وتثير الدهشة إذ تشير إلي أن المسلمين ظلوا ما يقرب من عام في مصر لا يعلموا مكانها حتى أتي رجل فذكرها لهم فأرسل عمرو معه ربيعة بن جبيش عرفطه الصدفي في معية هذا الرجل ففتحوها. ابن عبد الحكم: فتـوح مصـر، ص١٩٦-١٩٧. وهذه الرواية مرفوضة من جانبنا خاصة وأن بقية المصادر التي أشارت إلـى فتح الفيوم لم تشر إلي جهل المسلمين بمكانها ويكفي وجود عمرو بن العاص علي رأس الجـيش الفاتح،وكان عمرو كما هو معلوم يختلف كثيرا إلي أقاليم مصر في الجاهلية، كما كانـت هنـاك قبائل عربية في الجاهلية مقيمة هناك، ومنها من كان في معية جيش عمرو منذ دخولـه حـدود مصر الشرقية. وكانت هذه القبائل تعرف الطرق والدروب المؤدية إلي كل أقاليم مصر.

(x) يذكر ابن وصيف شاه أن فتح دمياط كان بعد فتح الإسكندرية عام ٢١ هـ وأنها فتحت علي أيدي المقدام بن الأسود الكندي البهراني الحضري ، وكان حاكمها البيزنطي يسمي الهاموك وهو خال المقوقس ابن راعيل، وتشير رواية ابن وصيف شاه إلي الدور الكبير الذي قام به شطا ابـن حاكم المدينة بعد اعتناقه الإسلام في تقديم العون للمسلمين في فتح المدينة وذلك بأنه دلهم علـي عوراتها وقاتل معهم حتى استشهد . ابن وصيف شاه . جواهر البحر ، ص٣٣ وهـو المـؤرخ الوحيد الذي انفرد بهذه الرواية المنفصلة عن فتح دمياط .

٣٢١-البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٠٤، أيضا راجع مقال د.جابر المصري:مدينة تنيس فى التـاريخ الإسلامي، مجلة كلية الآداب -جامعة الإسكندرية، مجلد ٣٥ عام ١٩٨٧، ص٢٩٥، وما بعدها.

٣٢٢- البلاذري : فتوح البلدان ، ص٣٠٤ .(٣٢٣) المقريزي :الخطط جـ١ ص٢٩١.

٣٢٤ - البلاذري :فتوح البلدان ، ص٣٠٩.وذكر البلاذري أن عمرو بن العاص لم يقرر الزحف علي الإسكندرية إلا بعد أن كتب إلي عمر بن الخطاب ، فكتب إليه الخليفة يأمره بذلك.ويذكر أحد المؤرخين المحدثين في مقدمته لكتاب ابن عبد الحكم فتوح أفريقية والأنـدلس أن عـدد الجـيش الإسلامي الزاحف علي الإسكندرية كان يقدر حوالي عشرين ألفاً.راجع عبد الله الطباع في مقدمته وشروحاته لكتاب فتوح إفريقية والأندلس لابن عبد الحكم ،دار الكتاب اللبناني ١٩٨٧، ص٨.

٣٠٥ - بتلر : فتح العرب ، ص ٣٠٨-٣٠٩.

٣٢٦ - بتلر : فتح العرب ص٣١٠-٣١١.

٣٢٧- chronique de jean,p.568

٣٢٨- ابن عبد الحكم فتوح مصر ص ٩٦ ، أيضاً بتلر: فتح العرب ، ص ٣١٣ .

٣٢٩- ابن عبد الحكم فتوح مصر ص ٩٧ ، أيضاً بتلر: فتح العرب ، ص ٣١٣ .

٣٣٠- بتلر: فتح العرب ، ص٣١٤.

٣٣١- البلاذري : فتوح البلدان ، ص٣٠٩ وهو الوحيد الذي يشير إلي تواجد الأقباط في قتال العرب في الكريون.

٣٣٢-بتلر : فتح العرب ،ص٣١٤.

٣٣٣-ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٩٧؛ أيضا بتلر فتح العرب ،ص٣١٦.

٣٣٤- بتلر : فتح العرب ، ص٣١٦.

٣٣٥-ابن عبد الحكم :فتوح مصر ، ص٩٧ ،البلاذري : فتوح البلدان ، ص٣٠٩.

٣٣٦- ابن عبد الحكم :فتوح مصر ، ص٩٧.

٣٣٧- ابن عبد الحكم :فتوح مصر ، ص٩٧.

٣٣٨- ابن عبد الحكم :فتوح مصر ، ص٩٧. ،البلاذري : فتوح البلدان ، ص٣٠ السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ١ص٥٢.

٣٣٩- ابن عبد الحكم :فتوح مصر ، ص٩٧ ،ابن الأثير : الكامل ، مجلد٢ ص٤٠٧؛السيوطي: حسن المحاضرة ،ج١ ، ص٥٢.ويلاحظ مدي التشابه بين رواية ابن الأثير والبلاذري حول معركة الكريون ، إلا أن ابن الأثير لم يشر إلي المكان الذي دارت فيه المعركة ، والمؤكد فيه أن ابن الأثير قد نقل رواية تلك من البلاذري دون أن يذكر ذلك .

٣٤٠- بتلر : فتح العرب ،ص٣١٧.

٣٤١- يصف بتلر مشاعر الدهشة والإعجاب من قبل الجند المسلمين عندما شاهدوا الإسكندرية ، ونزلوا عليها وحاصروها .بتلر :فتح العرب ص٣١٧ .ويذكر أحدا المؤرخين المحدثين كيف أن المدينة قد بهرت أعين المسلمين عند رؤيتها ورؤية مبانيها فوصفوها وصف المعجب المشدوه. وجمال الدين الشيال : الإسكندرية (طبوغرافية المدينة) ،ص٢١.

ويستثني من ذلك القائد عمرو بن العاص لأنه كان يختلف إلي الإسكندرية كثيراً في الجاهلية للتجارة كما ذكرنا مراراً من بداية هذه الدراسة ولكن ذلك لم يمنع عمرو بن العاص فيما بعد أن يرسل كتاباً إلي الخليفة عمر يصف له فيه المدينة ومبانيها وسكانها ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٠٦ السيوطي : حسن المحاضرة ، ج١ ص٤٥ . كذلك يروي أنه لإعجاب عمرو بها فكر فيما بعد أن يتخذها عاصمة له ، وكتب إلي الخليفة عمر يعلن إليه هذه الرغبة .راجع السيوطي حسن المحاضرة ج١ ص٥٧.

٣٤٢- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ،ص٩٩ ؛ المقريزي : الخطط ، ج١ ص١٦٤

٣٤٣- بتلر : فتح العرب ص ٣٢٥ ، أيضاً Ostrogorsky , byzantin state, p.103

٣٤٤- الواقدي : فتوح الشام ص ٧٤ .

٣٤٥- ابن عبد الحكم. فتوح مصر ص٩٧.

٣٤٦- بتلر: فتح العرب ص ٣٢٠. راجع ما كتبه د. جمال الدين الشيال عن الإسكندرية د. الشيال: الإسكندرية، ص ٢٠٦ وما بعدها، ص٢١٠ وما بعدها.

٣٤٧- بتلر : فتح العرب ص٣١٩ ، ٣٢٠ ، أيضاً د. جمال الدين الشيال الإسكندرية ص٢١٠.

٣٤٨- بتلر: فتح العرب ص٣١٩.

٣٤٩- الواقدي : فتوح الشام ، ص ٧٩ ، ٨٠ . وهو المؤرخ الوحيد الذي انفرد بذكر هذه الرواية.

٣٥٠- البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٠٩ ، ابن عبد الحكم فتوح مصر ، ص٩٧ ، ٩٨ .

٣٥١- البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٠٩، وسنعرض بالتحليل والنقد لهذا الأمر في نهاية الدراسة .

٣٥٢- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٩٧ أيضاً بتلر: فتح العرب ، ص٣٢٠.

٣٥٣- هكذا ذكرنا هنا حنا النقيوسي chronique de Jean , pp.561- 562

٣٥٤- البلاذري : فتوح البلدان ، ص٣١٠ ، الكندي : ولاة مصر ، ص ٣٣ وهو لا يشير إلى عقد صلح بين عمر والمقوقس راجع ابن الأثير الكامل ، مجلد ٢ ص ٤٠٨ . ويذكر ابن الأثير أن المقوقس حاول في بداية حصار عمرو للإسكندرية أن يصل معه إلى صلح أو هدنة إلا أن عمرو رفض بشدة . ابن الأثير: نفس المصدر والصفحة.

٣٥٥- ابن عبد الحكم :فتوح مصر ص ١٠٢ .

٣٥٦- السيوطي حسن المحاضرة، ج١ ص٥٢ .

٣٥٧-ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص١٠٣. المقريزي : الخطط ، ج١ ص١٦٥.

٣٥٨- Chronique de Jean, pp. 570- 571 أيضاً بتلر : فتح العرب ، ص ٣٤١ ، ٣٤٤.

٣٥٩- ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٤.

٣٦٠- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص٩.

٣٦١- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص٩٩

٣٦٢- بتلر: فتح العرب ، ص ٣٣١ ، ٣٣٢.

٣٦٣- Chronique de Jean, pp. 570- 571 أيضاً: بتلر: فتح العرب ، ص ٣٤٢ . ويلاحظ أن المؤرخ البلاذري قد أشار في روايته الفريدة عن الأقباط في الإسكندرية في الهدنة والصلح مع المسلمين "إلا أن القبط في ذلك يحبون الموادعه " لأنهم عبروا عن شعورهم هذا

للمقوقس ، البلاذري فتوح البلدان ص ٣٠٩ . وبذلك اتفقت الرواية الإسلامية والقبطية في جانب واحد يخص رغبة سكان الإسكندرية في عقد الصلح مع العرب وهذه الرواية الإسلامية تدحض ما ذهب إليه بتلر أن الصلح مع المسلمين كانت رغبة ملحة من جانب المقوقس فقط .

٣٦٤- بتلر : فتح العرب ص ٣٤٢. ويذكر بتلر متهكما على المقوقس أنه جاء إلى مصر يحمل معه عقد الإذعان والتسليم للعرب .

٣٦٥- بتلر: فتح العرب ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

٣٦٦- Chronique de Jean, p. 575- ويقال أنه ضمن الشروط أنه فرض على السفن البيزنطية عدم دخول الساحل المصري أو الاقتراب من شواطئ الإسكندرية نهائية، راجع عبد الله الطباع في شروحاته ومقدمته لكتاب ابن عبد الحكم فتوح إفريقيا والأندلس ص ٨ .

٣٦٧- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٠٦ في حين تذكر رواية ابن وصيف شاه أن عدد اليهود في الإسكندرية كانوا ستمائة ألف يهودي ابن وصيف شاه : جواهر البحور ، ص ٣٢ . وتتفق رواية السيوطي مع رواية ابن عبد الحكم أن عدد اليهود كانوا أربعين ألفاً السيوطي: حسن المحاضرة ج١ ص ٥٤.

٣٦٨- من المهم جداً أن نذكر أن يوحنا النقيوسي لم يورد هذه الشروط بالترتيب الذي ذكرناه بالمتن. وتذكر بعض المراجع الحديثة أن الإمبراطور البيزنطي الجديد أقر بشروط هذه المعاهدة راجع بتلر: فتح العرب، صـ٣٦،عبد الله الطباع في مقدمته لكتاب فتوح أفريقيا والأندلس لابن عبد الحكم ، ص٨.

٣٦٩- أكد علي وجهة النظر تلك وأعترف بها بتلر: فتح العرب، ص٣٤٤.

٣٧٠- . CHRONIQUE de Jean, p577

٣٧١- بتلر: فتح العرب ص٣٥٩.

٣٧٢- لاشك أن هذا الموقف من بتلر تجاه المقوقس يدل علي تحيزه وتعصبه تجاه المقوقس وكان حرياً به كمؤرخ محايد ونزيه ألا يتسم فى حكمه علي المقوقس بهذه القسوة لأن المقوقس في الحقيقة لم يقصر في الدفاع عن مصر أمام حصارات المسلمين بل أن التقصير الحقيقي في الدفاع عن مصر أنما جاء من قبل الدولة البيزنطية من قبل هرقل، الذي يتحمل جزءا كبيرا من مسؤولية انتصارات المسلمين المتتالية في مصر في وقت لم يرسل فيه أية قوات لتقديم العون والمدد للحاميات البيزنطية المدافعة عن إقليم مصر ويتحمل بقية المسئولية الأمير الجديد هرقلوناس وأمه الإمبراطورة مرتينة الذين وقفوا موقفا سلبيا تماماً تجاه حصار المسلمين للإسكندرية ، ولم

يحركوا ساكنا وفضلوا تسليمها والتضحية بمصر من أجل مواجهة والنزاعات حول العرش والاحتفاظ بالجيش البيزنطي في مواجهه الأخطار القادمة من البلغار .

٣٧٣- راجع الروايات العديدة التي أوردها ابن عبد الحكم فتوح مصر ص١٠١-١٠٨-١١١ .البلاذري فتوح البلدان ٣١٠-٣١٣، الكندي ولاة مصر ص٣٣ .ابن زولاق: فضائل مصر ص٢٤ الواقدي فتوح الشام ص٨٤ أبو المحاسن النجوم الزاهرة ج١ص١٩ ابن وصيف شاه جواهر البحور ص٣٢ .

٣٧٤- مثلا سيدة الكاشف مصر في فجر الإسلام ص١٤ د. عبد العزيز سالم تاريخ الدولة العربية ص٢١٠ د.المناوي: مصر في ظل الإسلام، ص١٤ -١٥ أيضا بتلر : فتح العرب ص٣٤٣-٣٤٤.

٣٧٥- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص٩٩، ١٠٤-١٠٨.

٣٧٦- الكندي : ولاة مصر ص٣٣.

٣٧٧- ابن الأثير: الكامل مجلد ص٤٠٧- ٤٠٨.

٣٧٨- ابن الأثير: الكامل مجلد ص٤٠٨.

٣٧٩- ابن الأثير: الكامل مجلد ص٤٠٨.

٣٨٠- البلاذري: فتوح البلدان ص٣١٠.

٣٨١- البلاذري: فتوح البلدان ص٣٠٥، أيضا أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج١، ص٤ معتمدا على رواية الذهبي .

٣٨٢- البلاذرى: فتوح البلدان ٤٠، ص٣٠٥

٣٨٣- البلاذرى: فتوح البلدان ٤٠، ص٣٠٥

٣٨٤- البلاذرى: فتوح البلدان ٤٠، ص٣١٠

٣٨٥- الواقدى: فتوح الشام، ص ٨٤. وهو يذكر أن الوليد هو الذى اشترط هذه الشروط وليس عمرو بن العاص وهذا خطأ تاريخي واضح من الواقدى.

٣٨٦- الواقدى : فتوح الشام ، ص ٨٤-٨٥

٣٨٧- ابن زولاق : فضائل مصر ، ص٢٤.

٣٨٨- يذكر بتلر أن الطبرى خلط بين هذا الصلح وصلح الإسكندرية على أساس أن الطبرى أخطأ عندما ذكر هذا الصلح بعد سقوط حصن بابليون والصحيح أنه مُنح لأهل الإسكندرية . بتلر : فتح العرب ، ص٣٤٧.

٣٨٩- يلاحظ وجوده مبالغة كبيرة في هذا الرقم من الطبرى .

٣٩٠- الطبرى: مجلد ٢ص٥١٤-٥١٥. وقد أورد أبو المحاسن نفسه هذا النص دون أن يشير إلى المصدر الذى استقى أو نقل منه، أبو المحاسن: النجوم الزاهــرة، ج١ص٢٤-٢٥. وأورد ابن الجوزى نصوص العهدة العمرية، إلا أنها كانت موجزة . ابــن الجــوزى: المنتظم، ج٤ص٢٩٣.

٣٩١- أكد الطبرى على ذلك بالتلميح دون التصريح . الطبرى : تاريخه ، مجلد ٢ص٥١٤.

٣٩٢- أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج١ص١٩-٢٠.

٣٩٣- ابن وصيف شاه : جواهر البحور ،ص٣٢

٣٩٤- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ،ص١٠٤

٣٩٥- المقريزى : الخطط ، ج١ص٢٩٤. ويلاحظ أن البلاذرى في موضع آخر من كتابه ذكر رواية تتضمن شروطا قريبة مما أورده المقريزى، مما يؤكد أن المقريزى اعتمد علــى البلاذرى في روايته . البلاذرى: فتوح البلدان ، ص٣٠١-٣٠٢. وتذكر رواية البلاذرى تعهد المسلمين للمصريين ألا تباع نساؤهم وأبناؤهم ولا يسبوا وأن تقر أموالهم وكنوزهم في أيديهم فكتب بذلك عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين، فأجازه .

٣٩٦- راجع تفاصيل تحصينات الإسكندرية في بتلر: فتح العرب، ص٣١٧-٣١٩

٣٩٧- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٩٧

٣٩٨- البلاذرى : فتوح البلدان ،ص٣١٠-٣١١. وتذكر رواية ابن عبد الحكم أن عمرو بــن العاص كان قد أقسم ليهدمن أسوار الإسكندرية بعد فتحها حتى تكون مثل بيت الزانيــة تؤتى من كل مكان ، وقد فعل ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص٢٠٢.

٣٩٩- ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص١٠٤. ويورد ابن وصيف شاه رواية مشابهة لذلك إلى حد كبير ولكنه يجعل ذلك في الفتح الأول وليس الثاني . ابن وصيف شــاة : جــواهر البحور ، ص٣٢.

٤٠٠- البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٣٠٥.

٤٠١- البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٣١٢.

٤٠٢- البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٣٠٣.

٤٠٣- البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٣١٣.

٤٠٤- البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٣٠٥.

٤٠٥- البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٣٠٦.

٤٠٦- المقريزى : الخطط ، ج١ص٢٩٤. ويلاحظ أن ابن عبد الحكم وأبـو المحاسـن أوردا العديد من الروايات حول فتح مصر تضاربت بين فتحها صلحا أو عنوة دون أن يحاولا أن يقوما بتحليل أو نقد لهذه الروايات، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٠٨-١١٤؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١ص١٩-٢٠.

٤٠٧- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١سطور١٨-٢٠

٤٠٨- بتلر : فتح العرب ، ص٣٥٥.

٤٠٩- ابن عبد الحكم: فتوح مصر ، ص١٩٦، الواقدى : فتوح الشـام ، ص٨٦،٨٩؛ ابـن وصيف شاة : جواهر البحور، ص٣٣. ويذكر بتلر أنه بقيت بعض البلاد فـي شـمال مصر ترفع لواء الروم ولا ترضى بالتخلى عنه، مع أن فتح الإسكندرية قد قضى على الأمل كله في دولة الروم ، وأصبح من أشد الحماقة أن تصر طائفة على القتال وتـأبى الدخول فيما دخل فيه سائر الناس من العهد ،فكان لابد للعرب من فتح هذه البلاد حتـى يتم لهم الأمر . بتلر: فتح العرب، ص٣٦٠.

٤١٠- راجع أسباب هذه الفتوحات في د. عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص٢١٠-٢١١.

٤١١- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٩٧-١٩٨.

٤١٢- ابن عذارى : البيان المغرب ، نشره ليفي بروفنسال وكـولان ، ط. ليـدن ، ج١ص٨. يذكر مؤرخو العرب أنه صالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار ، على أن يبيعوا مـن أحبوا من أبنائهم في جزيتهم، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٩٧-١٩٨، البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٣١٤. ويستبعد المرحوم الدكتور حسين مؤنس أن يفعل العرب ذلك على أساس أن بيع الذرارى عند البربر كان أمرا شائعا في ذلـك الحـين . د. حسـين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، القاهرة ١٩٤٧، ص٥٦.

٤١٣- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٩٨-١٩٩؛ البلاذرى : فتوح البلـدان ، ص٣١٦-٣١٧؛ الكندي:ولاة مصر ، ص٣٣.

مثلا د. جوزيف نسيم يوسف: مجتمع الإسكندرية في العصر المسيحى، ص١١٣-١١٤؛ د.سيدة الكاشف: مصر في فجر الإسلام، ص١٨٤-١٨٦؛ مصر الإسلامية وأهل الذمة ، ص٢٨-٣٠، د.محمد مرسى الشيخ: تاريخ الإمبراطورية، ص٨٩؛ د. محمد حمدى المناوى : مصر في ظل الإسلام، ص١٨-٢٠.

وتناول هذه القضية من المؤرخين الغربيين بتلر: فتح العرب ، ص٢٤٢-٢٤٣؛ أيضا Steven Runciman ,the Byzatine civili sation, london1948: p.41,

ostrogorsky, Byzatine state, pp.103-104;lone-poole, Ahistory of Egypt in the middle ages, London 1901, vol vI,p.15

٤١٥- يذكر عمرو بن العاص أن عدد الجالية اليهودية في الإسكندرية عندما دخلها كان أربعين ألفا. ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص١٠٦. في حين يذكر ابن وصيف شاة أن عدد اليهود بالإسكندرية وحدها كان ستمائة ألف . ابن وصيف شاة : جواهر البحور ص٣٢. ورغم ما في هذه الأعداد من مبالغات باترة إلا أن هذا يوضح وجود جالية كبيرة من اليهود وفي مصر عامة والإسكندرية خاصة.

٤١٦- Chronique de Jean,p.567

٤١٧- Chronique de Jean,p.567

٤١٨- ساويرس بن المقفع : سير الأباء البطاركة (مجموعة آباء الكنيسة في الشرق patr.or ، ج١ص٢٢٨-٢٢٩.

٤١٩- Chronique de Jean,p.575

ويلاحظ أن يوحنا النقيوسي قد وصف هؤلاء الأقباط الذين اعتنقوا الإسلام بأقذع الألفاظ عندما يشير إليهم أنهم " قوم ارتدوا عن دينهم المسيحي ودخلوا في دين البهائم " Chronique,p.p560,575

٤٢٠- الواقدى: فتوح الشام، ص٤٤-٦٩.

٤٢١- يذكر بتلر أن بعض القبط الذين احتلوا بالمسلمين ورأوا فيهم قوما لم يعمدوا إلى السلب أو النهب ووجدوا منهم، إلى جانب شجاعتهم، التواضع والبساطة، وقارنوا بينهم وبين الروم، مما دفعهم إلى اختيار الإسلام واعتناقه، خاصة أن هؤلاء رأوا أن الإسلام يجعل لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ويساويهم بالفاتحين في شرف محلهم ويجعلهم إخوانهم في كل شيء، فكان ذلك باعثا قويا للكثير منهم على اعتناق الإسلام ولا سيما وقد طحن المقوقس عقيدتهم طحنا وحطم يقينهم باضطهاده . بتلر: فتح العرب، ص٣٠٥.

٤٢٢- المقريزى: الخطط ، ج١ص٢٨٩.

٤٢٣- أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ، ج١ص٧.

٤٢٤- السيوطي: حسن المحاضرة، ج١ص٤٦.

٤٢٥- ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٨٠. وقد نقل الحميرى نفس رواية ابن عبد الحكم مع تغيير في بعض الألفاظ . ولم يشر إلى المصدر الذى استقى منه الرواية وتقول " أنه

أمرهم بتلقى عمرو بن العاص بالطاعة له، فأطاعه كثير من القبط، فاستعان بهم علـــى من سواهم . الحميرى : الروض المعطار ، ص٥٥٢-٥٥٣.

٤٢٦- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ،ص٩٥.

٤٢٧- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ،ص٩٧.

٤٢٨- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ،ص٩٥.

٤٢٩- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ،ص١٠٧.

٤٣٠- البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٣٠٣.

٤٣١- د.سيدة الكاشف : مصر في فجر الإسلام ، ١٨٦.

٤٣٢- الواقدى : فتوح الشام ،ص٨٩،٨٦؛ المقريزى : الخطط ، ج١ص١٧٧؛ ابن وصيف شاه : جواهر البحور ، ص٣٣

٤٣٣- بتشر: تاريخ الأمة القبطية وكنيستها، تعريب اسكندر تـادرس ، ط. القـاهرة ١٩٠٠-١٩٠١، ١٩٠٦، ج٢ص١٠٤.

٤٣٤- د. محمد مرسى الشيخ : تاريخ الإمبراطورية ،ص٨٩.

٤٣٥- د.سيدة الكاشف : مصر في فجر الإسلام ،ص ١٨٦.

٤٣٦- د. جوزيف نسيم : مجتمع الإسكندرية ، ص١١٣.

٤٣٧- Ostrogorsley, Byzatine state, pp.103-104;lone-poole, Ahistory of Egypt in the middle ages, vol vI,p.15

٤٣٨- Runciman ,the Byzatim civilisation,p.41

٤٣٩- بتلر : فتح العرب ، ص٢٤٣-٢٤٤.

٤٤٠- مثلا د. محمد الشيخ: تاريخ الإمبراطورية، ص٨٩؛ د.سيدة الكاشف: مصر في فجـر الإسلام، ١٨٦

٤٤١- د. مجمد حمدى المناوى: مصر في فجر الإسلام، ص١٩-٢٠

٤٤٢- أكدت على ذلك المصادر الإسلامية الأخرى مثل ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٨٧؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ، ج١ص١١.

٤٤٣- بتلر : فتح العرب ، ص٣٠١. معتمدا على حنا النقيوسى الذى أورد هذا النص في كتابه Chronique de Jean,p.567

٤٤٤- Chronique de Jean,p.567

يلاحظ أننا اضطررنا لتكرار مثل هذا النص أكثر من مرة ؛ لأن طبيعة الدراسة ومجرياتها حتمت ذلك .

٤٤٥- ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ٩٥.

٤٤٦- مثل د. سيدة الكاشف : مصر في فجر الإسلام ،ص ١٨٥؛ مصر الإسلامية وأهل الذمة، ص٣٠-٣١، د. محمد حمدى المناوى: مصر في ظل الإسلام، ص ٢٠-٢١؛ جوزيف نسيم: مجتمع الإسكندرية، ص١١٣. أيضا Runciman ,the Byzatine civili sation,. p.41, lane poole, Egypt in the middle ages, Vol vI,p.15

٤٤٧-ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٨٠.

٤٤٨-ساويرس بن المقفع : سير الأباء البطاركة ، ج١ص١٠٥(part.or.)

٤٤٩- Chronique de Jean,p.559

٤٥٠- Chronique de Jean,p.560

٤٥١-هكذا أكد أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١ص٨.

٤٥٢-ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٨٦؛ المقريزى: الخطط ، ج١ص٢٨٩؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ، ج١ص٨.

٤٥٣- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٨٠-٨٣؛ المقريزى : الخطط ، ج١ص٢٨٩. وقد أشار لوصول هذه النجدة أيضا المؤرخ القبطي مع حنا النقيوسى Chronique de Jean,p.557

٤٥٤-ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٨٦؛ البلاذرى : فتح البلدان ، ص٢٩٩؛ المقريزى: الخطط، ص٢٩٠،أيضا ch ronique de Jean,p.557

حيث أشار يوحنا النقيوسى في روايته بقوة مقاومة الأقباط في حصن بابليون ولكنه لا يشير إلى فترة حصار المسلمين للحصن.

٤٥٥-الواقدى : فتوح الشام ، ص٥٨-٦٠.

٤٥٦-د. سيدة الكاشف : مصر في فجر الإسلام ،ص١٨٦.

٤٥٧-ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص٩١؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١ص١٦

٤٥٨-ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٩٥-٩٧.

٤٥٩-ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٩٥-٩٧؛ البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٣٠٢.

٤٦٠-الواقدى : فتوح الشام ، ص٨٩،٨٦، المقريزى: الخطط ، ج١ص١٧٧؛ ابن وصيف شاه: جواهر البحور ص٣٣.

٤٦١-ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٠٧

٤٦٢-البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٣٠٣؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٢ص٢٨٢.

٤٦٣-المقريزى: الخطط ، ج١ص٢٧٢

٤٦٤- Chroniquede.Jean,p.236.

٤٦٥-د. عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين ص٥٢ ج.٥

٤٦٦-د. سيدة الكاشف: مصر في فجر الإسلام ص١٨٦.

٤٦٧-ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص١٩٦، ياقوت الحموى: معجم البلدان، مجلد٦ص٤١٤-٤١٦ Chronique de Jean,pp.560,566.

٤٦٨-د. محمد حمدى المناوى : مصر في ظل الإسلام، ص ٢٠-٢١. معتمدا على مصادر ومراجع لم يذكرها .

٤٦٩-المقريزى: الخطط ، ج١ص١٧٧

٤٧٠-مثلا ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٠٨-١١٤؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١ص١٩.

٤٧١-راجع هذا النص الفريد في البلاذري : فتوح البلدان ، ص٣٠٩-٣١٠.

٤٧٢-البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٣٠٩.

٤٧٣-تدمير هو الاسم القديم لمرسية Murcia وعرفت هذه الكورة باسم تدمير نسبة إلى صاحبها الأمير القوطى تدمير.

٤٧٤-المقرى: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ط. القاهرة ١٩٤٩، ج١ص٢٤٧، مؤرخ مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس، مدريد ١٨٦٧، ج١ص١٣؛ ابن عذارى: البيان المغرب ،ط. بيروت ١٩٥٠، ج٢ص١٦، الحميري: الروض المعطار ص١٣٢، أيضا د. أحمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والأندلس، ط. إسكندرية ١٩٧٥، ص٧٧-٧٨؛ د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ط. إسكندرية (بدون تاريخ) ، ص١١٠-١١١.

٤٧٥- . Chronique de Jean,p57

وأكد على ذلك بتلر في العديد من المواضيع في كتابه : فتح العرب ، ص٣٥٤، ٣٥٨.

٤٧٦-ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة ،ص٢٣١-٢٣٢.

٤٧٧-ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٨٠.

٤٧٨-المقريزى: الخطط ، ج١ص٢٨٩

٤٧٩-أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج١ص٧-٨

٤٨٠-ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٨٠.

٤٨١-ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٠٦.

٤٨٢-ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٠٦

٤٨٣-ابن وصيف شاه : جواهر البحور ،ص ٣٢.

٤٨٤-بتلر :فتح العرب ، ص١٦٩-١٧٠.

٤٨٥-المقريزى: الخطط ، ج١ص١٧٧.

٤٨٦-بتلر: فتح العرب ،ص١٩٥.معتمدا على مصادر أرمينية وبيزنطية .

٤٨٧- . Chronique de Jean,p 575

Chronique de Jean,p 575

مصادر ومراجع الدراسة

أولا: المصادر العربية

- ابن الأثير الجزرى(عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم بن عبد الواحد الشيبانى) ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م.

الكامل في التاريخ، تحقيق أبـي الفـداء عبـد الله القاضـي ، المجلـد ٢(ط. بيـروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

- ابن الجوزى (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بـن علـى) ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق ودراسة .محمد عطا، مصطفىعطا، مراجعة نعيم زرزور، ج٤(الطبعة الأولى - بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

- ابـن حجـر العسـقلانى(أحمـد بـن علـى) ت٨٥٢هـ/١٤٤٨-١٤٤٩م: الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق محمد على البجاوى ، القاهرة (مطبعـة نهضـة مصر) بدون تاريخ ج٢.

- ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد)

جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٧١م.

- ابن العميد (المكين جرجس) ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م:

تاريخ المسلمين ، ط.ليدن ١٦٢٥م.

- ابن زولاق (الحسن بن إبراهيم بن الحسين الليثى) ت٣٨٧هـ: فضائل مصر وأخبارها وخواصها ، تحقيق د.على محمد عمر ، الطبعة الثانية (القاهرة) ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- ابن دقماق(إبـراهيم بـن محمـد بـن أيـدمر العلائـى) ت٧٩٠هـ أو ٨٠٩م : كتاب الانتصار لواسـطة عقـد الأمصـار ، نشـر فـولرز vollers ، ط. بـولاق ١٣٠٩هـ/١٨٩٣م،ج٤-٥.

- ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعـين القرشـى المصرى) ت٢٥٧هـ/٨٧١م:

فتوح مصر والمغرب ، تحقيق وتقديم ، على محمد عمر ، ط. مكتبـة الثقافـة الدينيـة ،القـاهرة ١٩٩٥م.

فتوح مصر وأخبارها، نشر هنرى ماسيه Henri Masset ، ط.المعهد الفرنسـى للآثـار الشرقية (القاهرة ١٩١٤م)

فتوح أفريقيا والأندلس ، تحقيق وتقديم عبد الله أنيس الطباع ، ط. دار الكتاب اللبناني عــام ١٩٨٧م.

- ابــن عــذارى المراكشـــي (أبــو عبــد الله محمــد) تــوفى أواخــر القــرن ٧هـــ:
كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج١نشره الأستاذ ليفي بروفنسال وكولان Colin(ط. ليدن ١٩٤٨م) ، مع الاستعانة بالجزء الثاني ط. بيروت ١٩٥٠م.

- ابن القوطية القرطبي(أبو بكرمحمد) :
تاريخ افتتاح الأندلس ،نشره دون خوليان ريبيــرا Julian Riberal ،تحــت عنــوان : Historia de la Conquista de España
مدريد ١٩٢٦

- ابن وصيف شاه (مجهول الوفاة وربمــا كــان مــن رجــال القــرن ٦أو ٧هــــ) .
جواهر البحور ووقائع الدهور وعجائب الدهور في أخبار الديار المصــرية المعــروف بفضائل مصر وأخبارها ، تحقيق وتعليق د. محمد زينهم ، الطبعة الأولـــى (القـــاهرة ١٤٢٥هــ/٢٠٠٤م).

- أبو المحاسن (يوسف تغرى بردى) ت٨٧٤هــ/١٤٦٩م:
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ط. دار الكتب المصرية ، ج١.

- أبو صالح الأرمني (أبو المكارم جرجس بن مسعود) عاش حوالي ٥٦٤هــــ١١٦٨م:
تاريخ الشيخ أبو صالح الأرمني المعروف بأخبار نواحي مصر وأقطاعها ،نشر إفــتس Evetts مع مقدمة بالانجليزية ، المطبعة المدرسية بأكسفورد١٨٩٤م.

- الإدريسي(الشريف أبو عبد الله محمد) ت٥٦٠هــ/١١٦٤م:
نزهة المشتاق في ختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة (بدون تاريخ) مجلدان .

- البلاذري (الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر) ت٢٧٩هــ:
فتوح البلــدان ،تحقيــق وشــرح عبــد الله الطبــاع، وعمــر الطبــاع ، ط. بيــروت ١٤٠٧هــ/١٩٨٧م.

- الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم) ق(١٠)هــ:
الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق د. إحسان عباس ط.بيروت ١٩٨٠م.

- الذهبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز شمس الدين الحافظ الدمشقي) ت٧٤٨هــ/١٣٤٧م:تاريخ الإسلام،ج٢ تحقيق حسام الدين القدسي ، القاهرة – القدس.

- السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بـن أبـى محمـد بـن محمـد) ت٩١١هـــ.
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة ١٣٧٢هــ جزءان.
- الطبرى(أبو جعفر محمد بن جرير)ت٣١٠هـ:
تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبرى ، مجلد٢ط. بيروت ١٩٨٧م.
- الواقدى (أبو عبد الله محمد بن عمر) ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م
فتوح الشام جزءان دار إحياء التراث العربي ــ بيروت – لبنان.
- الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بـن حفـص التجيبـى) ت٣٥٠هـــ:
ولاة مصر ، تحقيق د. حسين نصار ، ط. دار صادر بيروت ، بدون تاريخ.
- القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على) ت٨٢١هـ/١٤٢٨م:
صبح الأعشى فـي صـناعة الإنشـاء ، ط.القـاهرة (المطبعـة الأميريـة) ١٣٣١-١٣٣٨هـ/١٩١٣-١٩٢٠م،ج١٣.
- مؤرخ مجهول :أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، نشر دون لا فونتى القنطرة Don la fuente Alcantra ، في مجموعة الـOrbas Arabigas التى تصـدرها الأكاديميـة التاريخية الملكية ج١ مدريد ١٨٦٧م.
- مؤلف مجهول : تاريخ النساطرة ،نشر وترجمة شيرScher ، منشور في مجوعة ال: Patrolegia orientalis, vol vii
- المقرى(أحمد بن محمد)
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق محمد محيى الـدين عبـد الحميـد ، ط. القاهرة -١٩٤٩مــ ج١.
- المقريـزى (تقـي الـدين أبوالعبـاس أحمـد بـن علـى) ت٨٤٥هـــ/١٤٤٢م:
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزيـة ، ط. بـولاق ١٢٧٠هــ ، جزءان.
البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق وتعليق د. عبد المجيد عابدين ، ط. القاهرة ١٩٦١م.
- ياقوت الحمـوى (شـهاب الـدين أبـو عبـد الله الحمـوى الرومـى البغـدادى) ت٦٣٩هـ/١٢٢٩م:
معجم البلدان، ستة مجلدات، ط. أوربا ١٨٦٦-١٨٨٩م.

ثانيا : المصادر القبطية

- ســـاويرس بـــن المقفـــع (ت. أواخـــر القـــرن ٤هـــــ/ أواخـــر القـــرن ١٠م)
سير الآباء البطاركة ، ضمن مجموعة الـــ patrollogia Orientalis

باريس ١٩٠٧،ج١
- سعيد بن البطريق المعروف باسم أو تيخا (ت٣٢٨هـــ/٩٤٠م):
كتاب التاريخ المجموع علىالتحقيق والتصديق ، جزءان ط. بيروت ١٩٠٥،١٩٠٩م.
- يوحنا النقيوسى (ت.آواخر القرن الأول هـــ /السابع م)
تاريخ يوحنا النقيوسى منشور تحت اسم

Chronique de Jean, eveque de

Nikou: Textes Ethiopien, publiee et traduit par M.H.Zotenberg

(notes et extraits des manuscripts de la bibliothequees)to.24.Paris1883.

ثالثا : مصادر بيزنطية

-Res Gestae Divi Augustae momentum Ancyranum

نقش أنقرة التذكارى

-Theophanes, Historia In corpus scriptoeum Historiae Byzantinae, ed.bonnae 1838, To.44

رابعا : المراجع العربية والأوربية المعربة

- أحمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والأندلس ، ط.إسكندرية ١٩٧٥م.
- أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة محمـــد أحمد عيسى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربـــال ، القـــاهرة نيويـــورك (مؤسســـة فرانكلين).
- ألفريد بتلر : فتح العرب لمصر ، تعريب وتعليق محمد فريد أبـــو حديـــد ، ط. مكتبـــة مدبولى بالقاهرة (الطبعة الثانية) ١٩٩٦م.
- د. إبراهيم أحمد العدوى : ابن عبد الحكم رائد المؤرخين العرب، ط. القاهرة .
- د. السيد عبـــد العزيـــز ســـالم : تـــاريخ الدولـــة العربيـــة ، ط. إســـكندرية ١٩٧٤م
تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ط. إسكندرية بدون تاريخ.

- د. السيد الباز العريني : مصر البيزنطية ، القاهرة ١٩٦١م
- بتشر: تاريخ الأمة القبطية وكنيستها ، تعريب إسكندر تادرس ، جـزآن (ط. القـاهرة ١٩٠٠،١٩٠١،١٩٠٦)
- د. جمال الدين الشيال : الإسكندرية : طبوغرافية المدينة وتطورها منذ أقدم العصـور إلى الوقت الحاضر ، ط. دار المعارف بمصر (بدون تاريخ)
- د. جوزيف نسيم يوسف : مجتمع الإسكندرية في العصر المسيحي (٤٨-٦٤٢م) ضمن دراسات في تاريخ العصور الوسطى ، المبحث الثالث ، إسكندرية ١٩٨٨م.
- د. جابر سلامة المصرى : مدينة تنيس في التاريخ الإسلامى ، مجلـة كليـة الآداب – جامعة الإسكندرية ،مجلد رقم ٣٥ عام ١٩٨٧(ص٨٩-١٤٢).
- د. حسن أحمد محمود: دراسات في تاريخ مصر في العصور الوسطى ، ط.القاهرة .
- د. حسين مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ط. القاهرة ١٩٤٧م.
- د. سيدة إسماعيل الكاشف : مصر في فجر الإسلام من الفتح العربى إلى قيـام الدولـة الطولونية ، ط. الهيئة المصرية للكتاب ، القـاهرة ١٩٩٣م(ضـمن سلسـلة تـاريخ المصريين) رقم ٨٢.
- مصر الإسلامية وأهل الذمة ، ط. الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٩٣م(ضمن سلسلة تاريخ المصريين) رقم ١٥٧.
- د. صابر محمد دياب : تاريخ مصر الإسلامية وحضارتها ، ط. الفيوم ٢٠٠٣م.
- د. عبد الحليم نور الدين : تاريخ وحضارة مصر القديمة ، القاهرة ٢٠٠٠م.
- د. عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر (التاريخ السياسـي)، الطبعة الثانية – إسكندرية ١٩٧٦م.
- د. محمد شفيق غربال: تكوين مصر عبر العصور، ط. الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٩٦م.
- د. محمد محمد مرسي الشيخ: تاريخ الإمبراطورية البيزنطيـة ، إسـكندرية (الطبعـة الثانية) ١٩٩٧م.
- د. محمد حمدى المناوى : مصر في ظل الإسلام من الفتح العربى إلى نهايـة العصـر الفاطمى ، ط. دار المعارف بمصر ١٩٧٠م.
- د. محمد رضا علام : الأدب الرومانى في العصر الذهبى ، ط. إسكندرية ٢٠٠٤م.

- كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، تعريب نبيه أمين فارس ، ومنير البعلبكى ، ط. بيروت ١٩٩٨م.
- تاريخ آداب اللغة العربية ، ج٢.
- د. نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، ط. مصر ١٩٦٥،ج١.
- د. نبيلة حسن محمد : محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، ط. إسكندرية ١٩٨٧م.
- د. ناجى محمد نوار: العلاقات السياسية بين الإمبراطوريية البيزنطية والخلافة العباسية فى عهد الامبراطور ميخائيل الثالث(٨٤٢-٨٦٧م/٢٢٧-٢٥٣هـ)، رسالة ماجستير لم تنشر- كلية الأداب- جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٤م.
- د. يوسف خليل : الملامح الحضارية القديمة في الوطن العربى ، مقال بمجلة مرآة العلوم الاجتماعية ، العدد الأول . ديسمبر ١٩٦٥.

خامسا : المراجع الأوروبية

- Amèlineau, E. , Etudes sur la Christianisme en Egypte au 7eme Siecle, Paris 1887
- Atieya, A.s, A history of eastern Christianity, London 1968.
- Bury, J.B., A history of the later Roman Empire, 2vols, London 1923.
- Cambridge Ancient history, Cambridge 1934, vol.x.
- Cambridge Medieval. History, Cambridge.1924,vol.III
- Lane-poole(s.), Ahistory of Egypt in the middle ages, London 1401, vol.VI
- Munier, H., L'Egypte Byzatin (précis de l'histiore d'Egypte) To.II,1932.
- Milne, A history of Egypt under. Roman rule, London 1924.
- Ostrogorsky,G., A history of the Byzantine state, trans.by Hussey (t.), Oxford 1956.
- Rostovzeff, M., The social and economic history of the Hellenistic world, Oxford 1941, vol.II.
- Runciman, (s.), The Byzantim, Civilisation, London 1948.
- Schmit the nner, okatavian und das testament caesars,Munchen 1952.

- Saavedra.(Eduardo), Estudios sobre de la invasion de los Arabes en España, Madrid 1892.
- Wiet, G., l'Egypte Arabe,histoire de la nation Egyptienne, To.IV.

قواعد النشر بالمجلة

المجلة علمية محكمة تصدر عن الشعب العشر بمركز الخدمة للبحوث والاستشارات بكلية الآداب جامعة المنوفية ، وهى مخصصة لنشر الدراسات والبحوث فى شتى فروعها عن مصر والعالم ٠

شروط النشر :-

١- تكون البحوث والدراسات المقدمة للنشر إسهامات جديدة فى مجال البحث ، ولم يسبق نشرها ٠

٢- يفضل أن تكون بين حوالى ٢٠ :٤٠ صفحة

٣- يرفق بالبحث ملخص بالإنجليزية فى حدود ٥٠٠ كلمة ، فضلا عن ملخص بالعربية ٠

٤- يتحمل صاحب البحث نفقات الطباعة إلى حين تتمكن المجلة من تمويل ذاتها ٠

٥- يرفق الكاتب نبذة تعريفية عنه باللغتين العربية والإنجليزية ٠

٦- تقدم الدراسات والبحوث المطلوب نشرها مكتوبة على الكمبيوتر على وجه واحد مع ترك مسافات مضاعفة بين السطور وذلك من ثلاث صور إلى الأستاذ الدكتور رئيس التحرير بكلية الآداب جامعة المنوفية ٠

٧- ترسل صورتان من هذه الدراسات إلى أستاذين من أساتذة التخصص للحكم على صلاحيتها للنشر ، وفى هذه الحالة تعاد الدراسة للباحث للقيام بالتصويبات اللازمـــة٠

٨- الآراء الواردة بالدراسات والبحوث المنشورة فى هذه السلسلة تعبر عن رأى صاحبها ولا تعبر بالضرورة عن أراء هيئة التحرير ٠

٩- تلتزم المجلة بإشعار الكاتب بوصول بحثه وإحالته إلى هيئة التحرير فى موعد غايته إسبوعان من تاريخ إستلامه ٠

١٠-تشعر المجلة الكاتب بقرار البت فى النشر وموعده بعد إقراره من هيئة التحرير

١١-لاترد البحوث لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر ٠

١٢-ترسل للكاتب ١٠ نسخ هدية من العدد المنشور به بحثه ٠

١٣-تقبل المجلة الدراسات والبحوث التى يعدها أعضاء هيئة التدريس بكافة الأقسام فى مصر وخارجها ٠

(عنوان المجلة كلية الآداب – جامعة المنوفية – شبين الكوم – مصر العربية)

ت : ٢٢١٠٢٧ فاكس : ٢٣٥٦٩١

The Service Centre for
Research Consulting

Faculty Of Arts

Research of the Historical and Archaeolgical Studie

Anew reading About the Islamic Conquest of Egypt and the Position of Copts and Jews towards it

(19-21 A.h / 640 - 642 A.D)

(a compared criticism and analytic study)

By

Dr.Salah EL-Din Mohamed Nawar

College of Dar AL-oloum

Cairo University - EL Fayoum branch

Minoufiya University Press